



مَشَاهِدُ الْفَيْمِ فِي الْقُرْآنِ



مَسِيدُ قُطَيْبٍ

دار الشروق

مَشَاهِدُ الْقِيَامَةِ
فِي الْقُرْآنِ

الطبعة التاسعة

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الطبعة العاشرة

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

الطبعة الحادية عشرة

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الثانية عشرة

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الثالثة عشرة

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

الطبعة الرابعة عشرة

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الطبعة الخامسة عشرة

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الطبعة السادسة عشرة

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيديويه المصري - مدينة نصر

تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

www.shorouk.com

سَيِّدُ طَيْبٍ

مَشَاهِدُ الْقِيَامَةِ فِي الْقُرْآنِ

دار الشروق —

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهدايا

إلى روحك يا أبي أتوجه بهذا العمل .
لقد طبعت في حسي - وأنا طفل صغير - مخافة اليوم الآخر . لم تعظني
أو ترجرني . ولكنك كنت تعيش أمامي ، واليوم الآخر في حسابك ، وذكره
في ضميرك وعلى لسانك ... كنت تعلل تشددك في الحق الذي عليك ،
وتسامحك في الحق الذي لك بأنك تخشى اليوم الآخر . وكنت تعفو عن الإساءة
وأنت قادر على ردها . لتكون لك كفارة في اليوم الآخر . وكنت تجود أحياناً
بما هو ضرورة لك لتجده ذخراً في اليوم الآخر ...

وإن صورتك المطبوعة في مخيلتي ، ونحن نفرغ كل مساء من طعام
العشاء ، فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة ، ونحن
أطفالك الصغار نتمم مثلك بآيات منها منخرقات ، قبل أن نعيد حفظها
كاملات !

فإلى روحك يا أبي أتوجه بهذا العمل .
ولعله عندك مقبول ، وعند الله مستجاب .
والله الموفق إلى ما فيه الخير والصواب .

ابنك

سيد

بَيَان

هذا هو الكتاب الثاني في « مكتبة القرآن الجديدة » التي صرح عزمي على إنشائها - بعون الله - ... كان الكتاب الأول ، هو كتاب « التصوير الفني في القرآن » الذي صدر في مثل هذا اليوم منذ عامين . وكانت وظيفته هي بيان « طريقة التعبير الفني في القرآن » بصفة عامة ، وبسط خصائص هذه الطريقة وسماتها . وقد انتهت فيه إلى القضية التي بسطتها في تلك الفقرات :

« التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن . فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ؛ وعن النموذج الإنساني ، والطبيعة البشرية . ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها ، فيمنحها الحياة الشاخصة ، أو الحركة المتجددة . فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حي ، وإذا الطبيعة البشرية مجسم مرئية . فأما الحوادث والمشاهد ، والقصص والمناظر ، فيردها شاخصة حاضرة ، فيها الحياة ، وفيها الحركة ، فإذا أضاف إليها الحوار ، فقد استوت لها كل عناصر التخيل . فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة ؛ وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول ، الذي وقعت فيه أو ستقع ؛ حيث تتوالى المناظر ، وتتجدد الحركات ؛ وينسى المستمع أن هذا كلام بلى ، ومثل يضرب ؛ ويتخيل أنه منظر يعرض ، وحادث يقع . فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو ؛ وهذه سمات الانفعال بشى الوجدانات ، المنبعثة من الموقف ، المتساوقة مع الحوادث ؛ وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة ، فتتم عن الأحاسيس المضمرة .

« إنها الحياة هنا ؛ وليست حكاية الحياة »

» » »

هذه القضية لدي كل ما يؤكد لها من الإحصاء الدقيق لنصوص القرآن .
فالقصة ، ومشاهد القيامة ، والنماذج الإنسانية ، والمنطق الوجداني ، في
القرآن ، مضافاً إليها تصوير الحالات النفسية ، وتشخيص المعاني الذهنية ،
وتكثيل بعض الوقائع التي عاصرت الدعوة المحمدية ... تؤلف على التقريب أكثر
من ثلاثة أرباع القرآن من ناحية الكم . وكلها تستخدم طريقة التصوير في
التعبير . فلا يستثنى من هذه الطريقة إلا مواضع التشريع ، وبعض مواضع
الجدل ، وقليل من الأغراض الأخرى التي تقتضي طريقة التقرير الذهني
المجرد . وهي على كل حال محصورة فيما يوازي ربع القرآن .

فليس هناك من شطط حين أقول : « إن التصوير هو الأداة المفضلة في
أسلوب القرآن » .

وإذا وفقني الله فأصدرت الحلقات التالية من هذه المكتبة . وهي : « القصة
بين التوراة والقرآن » و « النماذج الإنسانية في القرآن » و « المنطق الوجداني في
القرآن » و « أساليب العرض الفني في القرآن » فسيجد الناس مصداق هذه القضية
بين أيديهم . وتستريح إليها ضمائرهم كما استراح إليها ضميري .

وطريقة التصوير هي أجمل طرائق التعبير ، وأفضلها في الفن والدين .
ويكفي لبيان هذا الفضل - كما قلت في كتاب التصوير - أن تصور المعاني
في صورتها الذهنية التجريدية وأن تصورها بعد ذلك في صورتها التصويرية
التشخيصية :

« إن المعاني في الطريقة الأولى تخاطب الذهن والوعي ، وتصل إليهما
بمجردة من ظلالها الجميلة . وفي الطريقة الثانية تخاطب الحس والوجدان ، وتصل
إلى النفس من منافذ شتى : من الحواس بالتخييل والإيقاع ، ومن الحس عن
طريق الحواس ، ومن الوجدان المنفعل بالأصدا والأصواء . ويكون الذهن
منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس ، لا منفذها المفرد الوحيد » .

«ولهذه الطريقة فضلها ولا شك في أداء الدعوة لكل عقيدة ، ولكتنا إنما ننظر إليها هنا من الوجهة الفنية البحتة . وإن لها من هذه الوجهة لشأناً . فوظيفة الفن الأولى وهي إثارة الانفعالات الوجدانية ، وإشاعة اللذة الفنية بهذه الإثارة ، وإجاشة الحياة الكامنة بهذه الانفعالات ، وتغذية الخيال بالصور لتحقيق هذا جميعه . . وكل أولئك تكفله طريقة التصوير والتشخيص للفن الجميل » .

° ° °

بهذه الطريقة تناول القرآن «مشاهد القيامة» فإذا بعضها ملاحم رائعة ، وبعضها مناظر شاخصة ، وبعضها صور وظلال . وهذه المشاهد هي التي سنستعرضها في هذا الكتاب .

وفي اعتقادي أنني لم أصنع بهذا الكتاب وبسابقه ، ولن أصنع بلواحقه ، إلا أن أرد القرآن في إحساسنا جديداً كما تلقاه العرب أول مرة فسحروا به أجمعين . واستوى في الإقرار بسحره المؤمنون والكافرون : هؤلاء يسحرون فيفرون ! ويقولون : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون » . وأولئك يسحرون فيلبون ، يملأ نفوسهم الإيمان واليقين . والقرآن : هذا الكتاب المعجز الجميل ، هو أنفس ما تحويه المكتبة العربية على الإطلاق ، فلا أقل من أن يعاد عرضه ، وأن ترد إليه جدته . وأن يستفد من ركام التفسيرات اللغوية والنحوية والفقهية والتاريخية والأسطورية أيضاً ! وأن تبرز فيه الناحية الفنية ، وتستخلص خصائصه الأدبية ، وتنبه المشاعر إلى مكان الجمال فيه . وذلك هو عملي الأساسي في «مكتبة القرآن» . وقد تناولت هذه المشاهد كما بصورها ظاهر اللفظ الواضح المشرق البسيط ، لم أحاول أن أعقدها بالتأويلات البعيدة ، ولا أن أدخل عليها مباحث لغوية ودينية لا يقتضيها العرض الفني الجميل . وفي اعتقادي أن العرب الأولين قد تلقوا الجمال الفني في القرآن هذا التلقي ، فتعمق في إحساسهم وهز نفوسهم قبل أن يعقده المفسرون والمؤولون .

° ° °

تنوزع مشاهد القيامة في معظم سور القرآن وإن كانت كثرتها بالسور المكية . وقد تحتوي السورة الواحدة أكثر من مشهد واحد ، يطول أو يقصر تبعاً للغرض الديني في السياق ، وتمشياً مع أصول العرض الفنية كما سيأتي . وقد استعرضنا في هذا الكتاب خمسين ومائة مشهد ، موزعة في ثمانين سورة من أربع عشرة ومائة سورة .

والذي استعرضته هنا هو ما اصطللنا على تسميته «مشاهد» وهو الذي تتوافر فيه الصورة والحركة والإيقاع . أما المواضع التي ورد فيها ذكر اليوم الآخر مجرداً ، أو ذكر الجنة تجري من تحتها الأنهار ، أو ذكر العذاب الأليم أو العظيم أو المهين ، دون أن يرسم منها مشهد شاخص أو متحرك فلم أتعرض لها ، وهي كثيرة جداً ، فلا تكاد سورة واحدة من سور القرآن تخلو من ذكر أو إشارة أو تلميح . وكذلك أغفلت القليل من المشاهد القصيرة .

والعجيب حقاً أن تعدد هذه المشاهد - وأساسها واحد - لم ينشئ نوعاً من التكرار . فكل مشهد يختلف عن سابقه في كلياته أو جزئياته . وذلك لونه من الإعجاز شبيه بالإعجاز في خلق الملايين من الناس ، كلهم ناس ، ولكن لكل سحنة ومِسة ، في هذا المتحف الإلهي العجيب !!!

وكانت أمامي طرق عدة لعرض هذه المشاهد ونبويها . ولكنني اخترت الطريق الاستعراضى مراعيًا الترتيب التاريخي - على قدر الإمكان - لورودها ، فعرضتها بترتيب السور التي وردت فيها . ورتبت هذه السور حسب نزولها . وذلك عمل تقريبي لا جزم فيه . ولكنه هو الطريق الوحيد المتاح لنا في القرن الرابع عشر من الهجرة .

وما من شك أن هناك نقطة ضعيفة في هذا الترتيب (حتى على فرض أن هناك بقية في ترتيب السور على نحو معين بحسب تاريخ النزول) فالمعروف أن هذه السور لم تنزل كاملة ، إنما هي نزلت آيات متفرقات بحسب المناسبات .

وليس ندينا أي سجل كامل لأسباب انزول وتاريخه المصنوع ، وحتى الآيات
التي يعرف أسباب بروها وتاريخه تختلف فيها الآراء وتتعدد فيها الأقوال ، ولا
محال فيها بغير الطعن والترجيح

ولو كان بين أيدينا ذلك السجل لدقق الذي لا يقوم شمس هياً بما فرضه
لا تقصر لتسع مراحل الدعوة الإسلامية وطرائقها في كل مرحلة ، وكشف لنا
عن العوامل النفسية والعميقة فيها فوق العوامل التاريخية والمحلية . ولكن هذا
كله مع الأسف الشديد لا سبيل إليه الآن بغير الحدس والحدس

سرت يد على طريقة ترتيب هذه المشاهد حسب ترتيب السور التي وردت
فيها وهي طريقة عني ما بها من مآخذ نهى للقارئ أن يتعرض هذه
مشاهد حذره ، ويستحلي حماتها فهي ، بعداً عن حذرات التبويب والتنظيم
وقد ستعصت عنها بعض تحمل قبل ستعراض المشاهد . تحدثت فيه عن
حصائصها عني وجه العموم

وأما عدم أن هذه المشاهد لا نبدو في حماتها الكامل إلا إذا استعرضت مع
السياق الذي وردت فيه . وهذا يقتضي تناول القرآن كله وهو غير مستطاع
هـ ولكني حاولت بقدر الإمكان أن أربط معظم المشاهد بالسباق الذي
وردت فيه . فحققت ما أريد بعض التحقيق

• • •

ولما كانت فكرة «العالم الآخر» عتيقة في التصدير الشرقي ، حتى لقد
مقياساً لبقطة هذا التصدير ، وقد تعرضت لها من الإسلام وثبات وديانة .
أبت أن أعقد فصلاً فصراً أسعرض فيه هذه الفكرة في تاريخها القصويل .
ستعرضاً سريعاً لا يتم لجميع بطوراتها ، ولكن تناول الخطوات الرئيسة في
وإن كان هذا البحث المجمع يسحق رسالة مستقلة

وبعد ، فإنني لأرجو ان أكون قد وقعت في هدي القريب من هذا الكتاب ، كما أنني أن أوهو في الهدف المبدأ الذي رجوه من لواجهه ذلك الهدف البعيد ، هو إعادة عرض القرآن ، واستحياء الحماة التي الحاصل فيه ، واستفاده من ركائز التأويل والتعقيد ، وقرره من سائر الأعراس الأخرى التي جاء لها القرآن كما فيها العرض الديني أيضاً فهدى هذا هدف في حاله محض ، لا أتأثر فيه إلا بحاسة الناقد التي مستقلة بهذا التفت في انبائه قداسة النص بقداسة الدين ، تلك تسحة م أعصم إليها وم أتأثر بها ، كما هي خاصة كامة في طبيعة هذا القرآن ، تلتقي عندها دروب لبحث في لهية ، ولو لم بحسب المسالك حساسها في الطريق . والله وبى التوفيق

سيد قطب

العالم الآخر في ضمير البشري

عمر الفرد على هذا الكوكب الأرضي قصير ، وأماه في هذا العالم القاي محدودة ورعة المرد في أن يعيش رغبة فطرية ، وحاجاته على الأرض لا تنقصي ، وأماه عبر محدودة .
ولكنه يموت !

يموت وفي نفسه حاجات ، ويترك على الأرض آماله ، كما يترك من حلقه أعزاء يفجعه أن يفارقهم ، ويفجعهم أن يعيب . فهل كان لقاء بعد ذلك الميعب ؟

هذه واحدة !

وينظر لإنسان ، يرى الخير والشر يصطرعان ، ويشهد معركة الرديئة والفصيلة أو ما يعتقده رديئة وفصيلة - والشر عديم ، والرديلة متحفة ، وكثيراً ما يتصر الشر على الخير ، وتعلو الرديئة على الفصيلة والفرد - في عمره المحدود لا يشهد رد الفعل . ولا يرى عواقب الخير والشر

فأما حين كان هذا الإنسان صملاً ، وحين كان يحيا على شريعة العاب . فلا صير في ذلك ولا ضرار ، إنما الأمر قوة ، ولحية للأعلى !

وأما حين أحد ضميره يستيقظ ، فقد عرف عليه أن لا تكون للخير كرة ، وأن لا يلقى الشر جراه . ولا اعتماد بوحود الوهنة عادة يستتبع حتماً حواء على الخير والشر ، إذ لم يتم في الأرض في هذا

لعالم ، فلا بد أن يتم هناك في عالم آخر .
وهذه ثاية !

ثم أنكون مصر هذا الجنس لإسائي الذي عمر الأرض وصنع
فيها ما صنع ، كمصير أمة حشرة أو دابة أو رحمة ، حياة قصيرة
محدودة ، لا يتم فيها شيء كامل أبداً ، ثم ينتهي كل شيء إلى
الأبد ٢ . فقد عز عليه أن يكون مصيره هو هذا المصير الدئس المهين .
وهذه ثالثة !

من هذه البنايع التي تفحرت في الصمير الإسائي - واحد بعد
الآخر - فاصت فكرة العالم الآخر . وكما دل السع الأول على شعور
الإنسان بقمة الحياة ، ودل السع الثالث على اعتزازه بحسه ، وانتظاره
أن تحس القوى الكونية حسانا له ، فلا تحمل حثامه هر هذه الحياة
الهردية القصيرة . وكذلك دب السع الثاني على سنيقاط صميره ،
وتسه إحساس العدة فيه ، واتشعه بمصاير الرذيلة والفصيلة
وهذه البنايع هي « الإسائية » في أعماق أعماقها ، وأعلى آفاقها

• • •

شهدت مصر القديمة أول حجر للمسوع الدافق في صمير البشرية
المستيقظ ، وأول عقيدة بالحساب بعد الموت على الحير والشر ،
وأول حراء عدد تنقاه الرذيلة والمصيلة ومضى أكثر من ألفي عام
قبل أن تمتد هذه العقيدة إلى مكان آخر على ظهر هذا الكون المعمور ،
حسبما تهدينا معلوماتنا التاريخية الحاضرة .

فحوالي سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد (أمام لأسرة الخامسة) . إن لم
يكن قبل ذلك . كان هناك عالم آخر يتوقعه المصريون . وكان للحير
والشر حراء ، في هذا العالم الآخر وفي هذا الوقت لم تكن هذه

لعقيدته قاصره عن الكهنة ورجال الدين ، بل انتشرت في الأوساط الشعبية ، مما يدل على أن حدودها ترجع إلى ما قبل هذا لتاريخ ، ويقول المرحوم الأستاذ عبد القادر حمزة ناشأ في كتابه العظيم « على هامش التاريخ المصري القديم » عن هذه الفترة :

« وفي هذا الوقت كانت عبادة «أوزيريس» قد أخذت تنتشر وتصير عبادة شعبية . وعبادة أوزيريس أساسها الأول أن كل إنسان ممكناً كان أم فرداً عادياً - مسؤول بعد الموت عن أعماله في الدنيا أمام محكمة إلهية يتولى القضاء فيها «أوزيريس» نفسه ، ويساعده فيها «توت»^(١) وأوزيريس^(٢) وحورس^(٣) ومعات^(٤) » واثان وأرعون قاصباً فإذا حكمت المحكمة بأن حسبات اثيت ترحح سيئاته كوفي باللعنم الحاد ، وصار مثل «أوزيريس» . أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء في حياته فحرقوه أن يصرسه الوحش ، أو أن يلقى في النار ، أو أن يصرب عليه نوع آخر من أنواع العذاب »

ثم يتحدث عن هذا الحساب في « كتاب الموتى » الذي وجد في أيام الدولة الوسطى ملخصاً هذه لعقيدة

« وكانوا يحسمون هذه المحاسبة فيصنعون لها في كتاب الموتى وعلى التوابيت رسم محكمة ومحاكمة ومبراب وفي هذه المحكمة يجلس «أوزيريس» على عرشه حاملاً عصاه وكرسيه ، ومعه اثان وأرعون قاصباً من الآلهة . ونلاحظ هنا أن مصر كانت مقسمة إلى

(١) إله الحكمة والعدم

(٢) هو مدير دهر الأموات وديلهم في الدار الآخرة

(٣) ابن أوزيريس وإيرس

(٤) إلهة الحقيقة وعدل

اشين وأربعين إقليماً ، فكان كلاً من القصاه يمثل فيمن من هذه الأقاليم فإذا جيء بيت اسمه «أوبيس» وأخذ قلبه موصعه في إحدى كهفي ميزن . ووضع في لكفة الأخرى تمثال الإلهة «معات» أو ريشتها . ثم وقف الإله «توت» بحاب الميران ، وفي يده يميني قلم . وفي يده اليسرى سجل بدون فيه شحنة لميران ، ثم برعه إلى «أورريس» ويقف بالقرب من «توت» «أوحش» إمديت . وهو وحش له رأس تمساح وحسم أسد . مناهماً لأن يلتهم الميت الذي يصدر الحكم بأنهم . وفي بعض الرسوم تصاف يرا إلى المحكمه في مكان خاص بها . تسقى فيها المندوس والقلب في الميزن يمثل أعمال الميت في حياته وهو الذي يشهد بكن ما فعله صاحبه من خير وشر .

ثم يشت نص قصة مصرية قديمة^(١) تصف رحلة إلى هذا العام الآخر قام بها حتى سمى «سيور يربس» مع أبيه «ساتي» ليطلعه على طريقه الحساب وصريعه الحراء وطريقه العقاب في هذا العالم الآخر وهي أول رحلة إلى العالم الآخر في تاريخ لأدب والأديان . ونحن نقل هذه القصة لما فيها من دلالة على أن الحبر والشر والحساب والحزاء لا علاقة لها بالعنى والفقر وسائر مظاهر انجدة

«تطلع «ساتي» ذات يوم من أعلى داره فرأى حجارة رجل عني تسير من ممفيس إلى الخلل في موكب حافل بالساديات والمشيعين ومظاهر لتكريم . ثم رأى في الوقت نفسه حجارة رجل فقير مدرج في حصير . ولا موكب معه ولا مشيعين فانتفت إلى ولده وقال : إنه

(١) وجدت هذه القصة في ورقة بردى عثر عليها منصور توجي جريث في المتحف البريطاني

يرحو أن يكون به في الدار الآخرة مصير كمصير ذلك العبي لا
كمصير هذا الفقير فقال «سيوريريس» به بالعكس يرحو له
مثل مصير الفقير لا مثل مصير العبي فامتعض الوالد ونحط لولد
ذلك ، فأخذ بيد أبيه لير به مصير لاثنين ، ثم قرأ صيغاً سحرية .
وذهب بأبيه إلى مكان في جبل ممحيس ، فزل به إلى الدار التي يحاسب
فيها الأموات ^(١) ، فإذا هما بسبع قاعات واسعة مملوءة بالناس من جميع
الطبقات ، وختاراً ثلاثاً من هذه الدور ، ثم دخلوا الرابعة ، فإذا ناس
يدهنون ويحيثون ، فيما حمر نأكل من حلقهم ، ثم ناس غيرهم
شون إلى طعام معلق فوق رؤوسهم فلا يدركونه ، فيشون ويشون ،
فيما حصرون يحصرون تحت أقدامهم يريدون مسافة ما بينهم وبينه
«ثم دخلوا القاعة السادسة فوجدوا رواحاً من الأنوار لكل منها
مكان تقيم فيه ، فيما في الدار رواح متهمة ، فهي وقفة تنصرع
«ثم رى رجلاً مطروحاً تحت الدار على ظهره ، ومخور هذ،
الدار مركز في عيه اليسرى بدور عندها كلما فتح أو قفل ، وهو لا
يفتح بفتح ولا يفتح بفتح ، ولرجل لا يفتح بفتح من الأم
«ثم دخلوا القاعة السابعة فوجدوا آلهة انحساب حالسين والمددين
يبدون قصايا الأموات واحدة بعد أخرى ، ولآله الكير «أورريس»
حارس على عرش من الذهب متوج بأتاح دي الريشيين ، فيما الإله
«أنويس» واقف إلى يساره والإله «توت» إلى يمينه ، والآلهة الآخرون
الذين يتألف منهم مجلس دار الحساب واقفون يميناً ويسراً والميران
مصوب يرون السيئات والحسابات من حجت سثانه حساته لفي

(١) سمي هذه الدار «الحجم

إلى انوحش « إماميت » يفرسه ، ومن رحت حساته سيئاته قيد إلى
حيث الآلهة ، وصعدت روحه إلى السماء ، أم من تعدلت حساته
وسيئاته ، فلا يفرسه الوحش ، ولا يصم إلى الآلهة بل يعين للخدمة
ونظر الفتى فرأى على مقربة من « أورريس » رجلاً حس نرة
مرفوع المنبة ، فالتفت إلى أبيه وقد أتى هذا الحس بجانب
أورريس ؟ إنه الفقير الذي شاهده مدرجاً في حصير ، ويس في
حارته أحد من المشيعين . لقد حيء به إلى هائم ورب سيئته وحساته
فرحت الثانية الأولى . وكان الإله « توت » قد سجن له في سجنه أنه لم
يتمتع على الأرض سعادة كافية ، فأمر « أورريس » أن يعطى كل ما
كان مجهزة به ذلك العبي الذي رأته حازته مشعة عطاها التكرم ،
وأن ترفع منزلته بين الآلهة ، أما العبي فقد ورت سيئاته وحساته
فحدث الأولى ترجح الثانية ، فقيد إلى الخراء ، وهو الذي رأيت محور
الاب يدور على عبيه البسي وسمعت بصيح من لأم »

ولهذه القصة قيمتها العظمى في الكشف عن تصورات المصريين
القدماء للعالم الآخر ، ومدى تقديرهم لعدالة في هذا العالم ، والدقة
في الخراء الذي يراه الأفراد دون اسطر إلى مظهرهم في الدنيا من
مال أو جاه .

وبكي بسكمل تصور المصريين للحساب ، شت ها نصاً من
كتاب الموتى ، بصور معنى الحير وأشر اللدس يكون عليهما الخراء ،
وهو ملخص عمه « موري » وترحمه المرحوم عبد القادر حمرة
واخطاب موجه إلى أورريس من أحد الموتى للدفاع :
« لقد حنت إليك أحلب الحقيقة وأطرد الحطيئة
« بي لم أقرف الشر ولم أعتد ، ولم أسرق ، ولم أقتل عدراً . »

ولم أمس القرايين ، ولم أكذب ، ولم أسل دموع أحد ، ولم أندس .
ولم أديح الحيوانات المقدسة ، ولم أتلأ أرضاً مروعة ، ولم أقذ ،
ولم أترك العصب يجرخني إلى غير الحق ، ولم أرز ، ولم أرخص أن
أسمع كلمة العدل ، ولم أسيء الظن بالملك ولا بالي ، ولم ألوث الماء ،
ولم أحمل سيلاً على أن يسيء إلى عبده ، ولم أحلف كاذباً ، ولم أغش
في إيمان ، ولم أضع اللس عن أفوه الرضع ، ولم أصيد طيور الآلهة ،
ولم أرد الماء إلا حين الحاجة إليه ، ولم أسد قناه ري على عيري ، ولم
أضئ ناراً يحب أن تشعل ، ولم يحظر على مالي أن أستحف بالآلهة ...
بي طاهر صاهر .

ما تصور هم للنعيم والعذاب ، فقد عرصد حاباً فيه فيما مضى ،
فريد ها أنه كنت هناك صور للنعيم والعذاب غير الصور التي
عرضها .

تقول نصوص الأهرام « إن الثواب هو الصعود إلى السماء بعد
رحلة حمة المحاصر للإقامة فيها مع الآلهة ، أو للإقامة مع إله (رع)
في سمته ، وهؤلاء الذين يثابون بالإقامة في السماء يسمون «الممحدثين»
أو «السعداء» . ولما كان الذي يقيمون فيه من لسماء هو جانبها الشرقي ،
و جانبها الشرقي لبحري ، لأن المصريين كانوا قد لاحظوا في هذين
الجانبين بحوماً ثابتة فأطلقوا عليها اسم البحوم الخائدة ، وجعلوا عندها
مكان النعيم الخائد للذين يصعدون إلى السماء .

« ولم تكتب نصوص الأهرام بهذا لإحمال في تصوير دار
النعيم ، بل مضت إلى التوصل ، فذكرت أن الممحدث يقيمون
في حرر في السماء فيها حقل يسمى «حقل الطعام» ومن هذا الحقل
يتناول الممحدثون أطعمة شبيهة بمحتمة تتحدد ولا تعد ، وهناك حصل

آخر يسمى «حقل يرو»^(١) وشجره حمير عالية تسمى «شجرة الحياة» يحس إليها الآلهة ويأكلون منها ، هم واممحدون !
 «وليس هذا كل ما في النعيم لسماوي ، بل فيه في حاس دلت
 أن السماء (موت) والثعبان اندي يحيي الشمس يعطيان الصاعد إلى
 السماء حين وصوله إليها ثديهما يرضع منهما ، فتى رضع عدد صبيًا !
 «وهو يأكل الحمر مع الآلهة ويشرب الحمر ، وصحته تزداد
 تحسناً على مر الأيام ، فهي اليوم أحسن منها أمس ، وتكون عداً أحسن
 منها اليوم

«هذا موخر ما ذكرته بخصوص الأهرام عن النعيم الذي يثاب به
 المحسبون في الدنيا ، أما كتاب الموتى فيذكر من مظاهر الثواب أن
 الميت يجلس في قاعة أمام «أورريس» وتخرج إلى حقل يرو ، ويأكل
 خبثاً وفطائر ، ويكون له حقل من القمح والشعير وبلغ غنو السات
 فيه سبع أدرع ، وتخدم «حوريس» يحصدون له هذا الزرع يأكل
 منه وله أن يدخل «العالم السفلي» ويخرج منه وله أن يقيم في حقل
 يارو أو في حقل الطعام ، وفهم يكون ممحداً بررع ويحصد ، وتكون
 له ساء يتمتع به ، ويعمل كل ما كان يعمل على الأرض

«أما العقاب ، فقد تقدم أن من صورته وحشاً له رأس تمساح وحجم
 أسد ، يلتهم الميت ، ودر يلقى الميت فيها وهناك صورة أخرى هي
 أن يبقى الميت في قعره فريسة للجوع والعطش ، محروماً من رؤية
 الشمس وفي بعض الأحيان يكون مع انقضاة الاشين والأربعين الذين

(١) يقول إيمان في ص ٢٥١ من كتاب (The Book of the Dead) «كلمة يرو
 معناها في اللغة المصرية ذات الحيرران ويرى علماء حروف أن هذا حقل يسمى حصر

يخلصون مع «أورريس» في محكمته سيوف بصرون بها المدسين
«وبد قصّة سبي وولده التي أشرنا إليها من قبل على أنه كانت
توحد صور غير هذه أيضاً للعداء منها تعذيب الميت تعدياً
دائماً تركيز محور باب في عيه ، وهذا الباب يفتح ويقفل ، واميت
نصيح من لألم كلما فتح أو أقفل ومنها تعليق طعم فوق رؤوس
المعدين ، وهؤلاء المعدون يقفرون ليحاولوا الوصول إليه . فكلما
قفزوا بعد الطعام عنهم» (١) .

* * *

ولقد يخطر لأحدنا اليوم أن هذه الفكرة عن العالم الآخر ، قد
أحاطت بها شوائب كثيرة ، تحدث من قيمتها وبكر بحب أن يذكر
أن هذه الفكرة قد قامت في ظل عقيدة ونية ، وأنها ضاربة في بطون
التاريخ ، فلقد مر عليها الآن ما يقرب من خمسة آلاف سنة ، فهي
لهذا السبب نفسه ، تبدو عظيمة القيمة

وإذا أضفنا إليها أن مصر منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قد
عرفت عقيدة التوحيد أيضاً في ديانة الملك «أحياتون» أمكس أن
نتصور عظمة هذا الصمير الذي اهتدى إلى ذلك كله في فجر التاريخ
على أن هناك مقياساً آخر هذه العظمة هو أن ألف سنة كاملة
قد انقضت بعد انتهاء الصمير المصري إلى عقيدة الحساب ، قبل أن
نعرف أنه أمه أخرى شئت عن «العالم الآخر» وحيثما عرف السامليون
«الكلدايون» شيئاً عن هذا العالم بعد ألف سنة لم تكن العدة
انطلقة هي التي تتحكم في مصائر الموتى ، ولم يكن الجزاء على لحي

(١) كتاب على هامش تاريخ مصر القديم

واشر في العالم الآخر . بل كان الموتى يتقلون إلى مكان مظلم يسمى
« دابو » تحت الأرض أو في الركن الشرقي منها ، حيث تنزل الإلهة
(آلات) محاكمتهم

وفي هذا يقول مسيرو

« لم يكن للحير أو الشر الذي فعله الميت في حياته قصة كبيرة في
تقدير أعماله وإنما كان التقدير كله لما ظهره الإنسان على الأرض
من النعق بالآلة عامة ، وبالإلهة «آلات» خاصة ، بتقديم قرابين
الدمايح واهدايا وتقديمه أسباب لعى للمعدن»^(١)

ثم تمضي ألف سنة أخرى حتى يرى فكرة انعام الآخر تدر عند
الفرس في ديانة «ررادشت» وعند الإغريق في أساطيرهم التي تعتمد
عليها «هوميروس» في ملحمة «الأوديسة» التي ورد فيها ذكر «هيدرا»

فما لديانة الررادشتية تتصور مصير الروح على هذا النحو
«عندما يموت الميت تظل الروح ثلاثة أيام وثلاث ليال معلقة بين
حسب الجسم . منعمة نعيمه أو معدة عذابه . وفي فجر اليوم الرابع
سحب عليها ريح . إما معصرة إذا كان الميت حياً ، وإما شدة إذا كان
شريراً ، فتحملها إلى موضع يلتقي فيه إما نعمة جميلة ، وإما معجور
مفرقة . ويسبب الأولى فناء حقيقية ، ولا الثانية عجزاً حقيقية
وإنما هي صورة أعمال الميت وهي صميره الذي يفوده بين حيث
معبر الحسب واحكمه الأحية . وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة
فصاة بينهم «مسير» وهناك نصب ميزان توضع في إحدى كفتيه

(١) ترجمة عبد القادر حمزة ناش

حسبات سب ، وفي الأخرى سيئاته ، ورساء على صعود إحدى الكفتين
أو هبوطها يصدر الحكم على مصير هذا البيت

« ولاحظ أن الثواب والعقاب لم يكونا مضافين على كل حسنة أو
كل سيئة على حدة ، بل على مجموعة النوعين ، فإذا رجحت الحسبات
كثرت السيئات مهما كانت كل واحدة منها في ذاتها حسنة ، كما
يلاحظ أن البدن والتوبة لم يكونا معتبرين ، وأن العفوان في الحساب
لا وجود له البتة ، لأنه مؤسس على العدل لا على الرحمة

« وعلى إثر اسهام الورق وصعود الحكم يؤمر المحاسب بالمرور فوق
هذا النعير أو الصراط الممتد فوق الحجيم الذي يتسع أمام الأحيار ،
وبصيق حتى يكون أدق من الشعرة وأحد من الشعرة أمام الأشرار ،
« فهؤلاء الأحيرون يهولون في حجيم مصمم صلاماً كثيفاً إلى حد
يستطع معه لمسها باليد ، فإذا هورا في الحجيم كانوا متراحمين كأنهم
كمية من لشعر في معرفة حصان ومع ذلك فكل واحد منهم يشعر
في وسط هذا الزحام بوحدة قاسية وعرة ممضة .

« أما الأخيار فيذهبون إلى نور حيث يستقبلهم « أهورا ماردا »^(١)
بعد أن عمروا في وسط العمل الصالح والقول الحير والفكرة العظيمة
وهالك يستمتعون في كنف «ماردا» بالسعادة الأبدية

« هذا كله بالنسبة لمن ثقلت موازينهم أو خفت أما من استوت
حساباتهم وسيئاتهم ، فهم يوصفون في مكان فسيح بين لسماء والأرض
يفسسون فيه ألم الحر والبرد ، ويحسون بجميع التعيرات الخوية ،
ويطلون ينتظرون في أمن ورهبة الحكم الآخر على مصيرهم الذي

(١) إله الحير حادق الكون وحافظه من الفساد الذي يحاول إله الشر «أهريمان»

ظل مصداً ، ما داموا في هذا المكان وأشهر أهل هذا الموضع هو
 « كيريراشا » الذي قتل وحشاً مرعياً فحسب له ذلك حسه ، ثم دس
 النار لمقدسة فحسبت عليه سيئة مساوية للحسنة الأولى ، فظل بين
 النعم والجحيم^(١)

ولعل القارئ يلاحظ تشابه الكثير بين هذه العقيدة الررادشنية
 وعقيدة مصر القديمة في الحساب على الخير والشر ، وفي صور النعم
 والجحيم ، وفي طريقة الحساب وطريقه الجراء ، فهي واضحة لا
 تحتاج إلى بيان

• • •

وأما الأساطير لإعريقية فيرد فيها ذكر لعالم الآخر ، وتظهر هذه
 العقيدة في « أوديسة هوميروس » الذي يقال إنه عاش حوالي القرن التاسع
 قبل الميلاد ، والغالب أن يكون الأسطورة الخاصة بالعالم السفلي (هيدس)
 سابقة على هوميروس ، وأن يكون هو قد انتفع بها في ملحمة .
 وتذكر الأسطورة أن هذه الـ (هيدس) تحت الأرض وهي مظلمة
 تهبط إليها أرواح الموتى بعد موتهم مباشرة ، ويقوم عليها الإله « بروتو »
 وقد حطف « بروسفويه » ربة الربيع لتفاسمه ظلامها بعد أن أتت الإلهات
 جميعاً مشاركنه . ويستطيع بعض الأحياء أن يهضوا إليها بطرق خاصة
 كما هبط « عوليس » بطل الأوديسة

ويستطيع أن يفهم عن « هوميروس » أن هذه الأرواح تترعى
 أشباحاً في « هيدس » لا تقل ألمس لأنها مجرد أشباح تركت أجسادها
 على الأرض ولا يعود إليها هذه الأجساد ذلك أن « عوليس » لم يستطع

(١) من كتاب « الفلسفة الشرقية » للدكتور محمد علال

أن يصم إليه شبح أمه على شدة رغبته وحنينه ، لأنها عادت شبحاً لا
يلمس ، كما يفهم أن هذه الأرواح تحتفظ بذكريات الديوبه
وعواطفها وانفعالاتها فإن اسطر «أح كس» كان عائداً على (عوليس)
لأنه استأثر دونه بدروع «إجيل» بعد موته ، مع رغبة إحاكس فيها
وقد قتل هذا الأخير في معركة «طروادة» بسبب حرمانه تلك الدروع .
فما لقيه في العالم لسلي لم يسلم عليه على الرغم من استرضائه الطويل
به وكذبت برى «إجيل» برهني وينتشي حيناً يسمع ثناء «عوليس»
على اسمه «نيوبتلموس» الذي لا يزال حياً في الدنيا .

ويذكر «هوميروس» على سنان «عوليس» أنه رأى في «هيد»
لأله «ميوس» حالباً على عرشه والصوحيان الإلهي في بده ، ولوتى
بعرصون عليه قصاياهم . وقد تجمعت جموعهم عند البوابات الكبيرة
ينتظرون دورهم في عرض قصاياهم .

ومن أنوار عذاب التي رها أنه شاهد «تيتوس» لحدار مسطحاً
على الأرض بحيث شغل قصء تسعة فدانة ، وعلى كل من حسيه
أفعول هائل رقم يتعدى لمصع من كسده الكبير الدامي ، ومن أحشائه
العلاظ (ودلت حراء على أنه حارل اجتذاب «لاتوما» عشيقه كبير
الآلهة . لا لأنه صنع شراً في العالم لديوي ا)

ويذكر أنه رأى «تاتلوس» يتحيط في عين حمئة من الماء
الساحر ، وقد عاص فيها إلى دقته ، والموج بصرب وجهه ، وهو مع
دنت بلهت من شدة اطمأ ، ولا يحدا ما يبل به غلته ، وفوق رأسه
شجار «لماكهة» قطوفها دابة ، ولكن يده لا تصل إليها ، فكلما
رَد اقتطف ثمرة هت ربح عاتية فدهت بالعصون عنه بعيداً
وشاهد «سيموس» يدعم أُممه صخرة عظيمة يصل بها إلى

قمة جبل ، حتى إذا كاد ينتهي من عمله مصي بدحرجت الصحراء مرة أخرى فاستوت في أرض الخحيم . والعرف يتحدو من جسمه . وقد أضناه التعب المضيع .

ورأى « هرقل » الحمار محكوماً عليه بأن يطيع ويخدم ابن عمه « يوريدوس » (وذلك لحرد تصيد شهرة لحبراً روحه كبير الآهة وهرقل هو اسم من إحدى الإسيات ^(١)) . رآه يحاون صرع الكلب « سيريروس » وهو كلب إله هيدر « بلوبو » وله ثلاثة رؤوس . وهو أداة تعذيب يشب أصفاره في أرواح المجرمين ^(٢) .

وبلاحظ المرحوم عند القادر حمرة رشا أن هناك شيئاً كبيراً بين قصة ساتي وولده ، وقصة عوليس في الأوديسة ، فسقتطف ملاحظاته ها . ولما زيادة عليها :

« أوه أن « عوليس » يرن إلى خحيم في قصة هومير ، و« ساتي » وولده ينزلان إلى الخحيم في القصة المصرية .

« وثانيها أن « ميبوس » يقصص بيده على صولجان من الذهب في خحيم هومير ، و« أورريس » يقصص بيده على صولجان في العقيدة المصرية

« وثالثها أن الأموات يعرضون قصصهم على « ميبوس » في خحيم « هومير » ، والأموات يناديهم اسدون تعرض قصصهم على « أورريس » في القصة المصرية

« ورابعها أن الأموات واقفون أو حالسون في دور « الهاديس » دت الأبواب الواسعة ، والأموات واقفون أو حالسون في سبع قاعات في القصة المصرية

(١) غنبلت في تصوير « هيدر » على كتاب « الأوديسة » للأستاذ دريني شنة

ونريد أن المحرم في القصة المصرية يعنى إلى الوحش « إمديت »
وفي حليم « هومير » الأفعول بهش كند المحرم ، أو الكلب ذو الرؤوس
الثلاثة المنحف وكذلك في الحليم المصرية لطعام بعد كلما حاور
المدب الوصول إليه ، وأشجار الفاكهة تعد كلما مد محرم يده
إليها في حليم الإعريق

وكذلك يلاحظ عند القادر ناش أن هناك عارفاً جوهرياً بين
الحليمين . ذلك أن هومير يقول إن « ميسوس » يقصي بين الأموات
وإن هؤلاء الأموات يعرضون عليه قصاياهم . وهذا معه في رأي
« موري » وهو مصيب فيه أن القصايا مناعات بين الأموات بعد
الموت كالمنازعات التي تكون بين الأحياء ، ويست حساباً يؤديه
الأموات عن أعمالهم في الحياة .

ثم يقول :

« إذن يست حليم « هومير » دار حساب عن أعمال الناس في
الحياة ، بل هي دار حساب عن مشاحرات وممارعات بعد الموت
وإذن نفقد حليم « هومير » كل لقيمة التهذيبية التي للحليم المصرية
وإذن يحق لنا أن نقرر هنا أن « هومير » أراد أن يقتبس قصة « ساتي »
وولده المصرية ومحكمه « أورريس » فقصر ، لأنه قنن بعض الشكل
وفاته كل الجوهر .

وهذه ملاحظات مهمة تؤدي ما رأينا في حليم « هومير » من أن
بعض المعذنين هناك لا دس هم إلا أنهم وقفوا في طريق شهوات كبير
الآلهة وروحته حيرا أو غيرها من الآلهة و لأساطير الإغريقية حافلة
بما يؤدي إلى الشهوات والنزوات هي التي كانت محكمة ، وأن القصير
والعدالة لا حساب عما في الحياة ندبا ، ولا في العالم لثني كذلك !

وهنا تنفرد العقيدة المصرية ، وتتحلى آفاقها العالية في وسط هذه
الوثنيات التي جاءت بعدها بحوالي ألفين من السنين

○ ○ ○

وقبل أن سابع تطور فكره العالم الآخر عند لإعريق وعند الرومان
بعد عصر هوميروس . يحاول أن يبحث عنها في الديانات الهندية
القديمة

لا نجد في الديانات الهندوكية . ولا في الديانة لبودية ، وهي
عقيدة صائفة من اليهود وعقيدة أهل سيلان ومعظم آسيانيين وكثير من
انصسين ، لا نجد في هذه الديانات علماً آخر للحساب والجراء
إلى نجد مكانه « البيرفانا » وهي النفس في الروح الأعظم وإن حثلت
وسائل الوصول إلى هذه المرتبة بين الديانتين .

« والديانة الهندوكية كتبها وهي « لفيدا » و « براهمانا » و « ابوبشاد »
و « الفيدانتا » (وهذه أحدثها)

« والفيدا » و « براهمانا » و « ابوبشاد » هي كتب الوحي عند الهندوكيين .
وهي تشتمل على زعمات مختلفة متباينة ، يرى فيها تعدد الآلهة
والإلهات ، وبرعة التوحيد ، وبرعة التحول ، ووحدة الوجود ؛ فهي
نظام اجتماعي يسمح « لعقائد المختلفة أكثر منها دعوة إلى عقيدة معينة
تعددت الآلهة في لفيد وتزوج اختصاصها ، وأسند إلى كل عمل ،
واحتللت أعمالها ، لأنها كانت آلهة قائل متعددة ، ونزقت هذه
الآلهة المتعددة إلى وحدة منها استق الحلق وإلها يعود ، وظهرت هذه
البرعة راعه على الأحص في ابوبشاد ، وبصل هذا لرقى إلى
« الفيدانتا » ومعناها الحرفي خاتمة الفيدا

« ومحور لفيدانتا هو أن الله نفس الإنسانية شيء واحد ،

فإن حين الإنسان أنهما شيئان مختلفان . فما ذك إلا لأن إدراكه
صحيح من أن يرى اتحادهم ، وإن الإنسان ليصل على صلاته هذا
حتى يحطم من نفسه حدود الذات ^(١)

وتحطم حدود الذات بفكره بعضهم بالتخلص من الحسد . ويشأ
عن هذا ما هو مشهور عن الهندوكيين من تعذيب الحسد وتعريضه
لأشق التحارب في سبيل تكميل الروح من سيطرته لتتطرق منه في
الهيبة وتتحد مع الذات الأقدس وتصل إلى درجة اليرقانا
وهو لا يصل إلى هذه الدرجة إلا حين تنطهر روحه وتخلص
وتصبح حذيرة بأن تتحد بذات الأقدس .

ها يقوم الناسح بتحقيق هذه الغاية . والإنسان حين يموت يتقل
روحه إلى جسم حيوان أو إنسان ، وتلاقي العذاب نواتاً حتى تنصهر
هذا العذاب . فتصل في ليله إلى «اليرقانا» ونسريح من الناسح
أم البودية وهي حديثة شأت قبل الميلاد بحوالي ٥٠٠ عام فلا
تؤمن بهذا الناسح ، ولا ترى تعذيب البدن لتطهير الروح ، وترفع
عن الروح الإنسانية عبء المحاول وتطمعه في رحمة الله ، وتشر
نهرد بتوصول إلى درجة «اليرقانا» متى صفت روحه وتخلصت من
حب الذات ولدائد الحسد ، وانتهت إلى الروح الأعظم بكل قواها .
ومن كلمات بودا عند احتضاره تلميذه «أناندا» بهم هذه
المرعة :

«أشار إلى جسده قائلاً . هذا المريح يجب أن يتحلل في عناصره
وينتلاشى ، لا بحوثك شأن من شؤون عن مواصلة جهادك الروحي

(١) كتاب قصة الأرب في العدد صفحة ٥٥ غرة . لاون الاستاذين أحمد أمين كوركي
عجب

يا أنداء ، وسوف نخلص من سوءة الشهوة الملحة ، وسوءة الكيونة
الفردية ، وسوءة الحرعلات والجهالة .

وكذلك من وصايا بعض أتباعه :

« يا أيها الرهبان ، تلكم هي الحقيقة السمية عن الآلام : الميلاد
عذب ، الشيخوخة عذاب ، المرض عذاب ، الموت عذاب ،
فراق ما يحب عذاب ، فوات ما يتوق إليه عذاب ، وقصارى القول
التعلق بالحياة عذاب .

« تلكم أيها الرهبان ، الحصة السامية عن وقوف الآلام تصف
الآلام بوقوف هذا الظمأ ، وهو وقوف لا يتنى إلا في عذاب العواطف .
تقف بالتحلي عن الظمأ ، بالاستعلاء عنه . ناستخلص منه ، بقضاء
على شهوات النفس

« تلكم أيها الرهبان ، الحقيقة السامية عن السبل إلى وضع
حد للآلام هو السبل ذو لمسات الثابتة . صدق الإيمان ، وصدق
الحديث ، وصدق لسلوك ، وصدق الكسب ، وصدق الاحهاد ،
وصدق التفكير ، وصدق لتأمل^(١) .

كلتا العقيدتين : الهندوكية والبودية ، ليس فيهما إذن عالم آخر
على السحر المعهود في الديانة المصرية القديمة ، والديانة الزرادشتية ،
والأساطير الإغريقية إنما هو تماسح وآلام وعذاب تكفر عن السيئات
في الديانة هندوكية ، ومدومه للشهوات وتحرر من الأصماغ ، وسلاح
من الذاتية في الديانة البودية ، تؤدي في النهاية إلى انهاء في الروح
الأعظم ، إلى التبرغانا والاتحاد بذات الإله !

° ° °

(١) كتاب سديداد عصري للدكتور حسين عوري . يلاحظ أنها سبعة لا ثمانية

ويعود إلى الإغريق فيجد الشاعر « بدار » في القرن الخامس قبل الميلاد يقول في قصيدته الأوسية الثانية « سيحد لعصاء في الأرض قاضياً في الحميم ، فاندس ارتكوا منهم أعمالاً محرمة تحاكمهم الإلهة « أناكى » . ومع أنه لا يبين كيف تحري هذه المحاسنة ، إلا أنها خطوة كبيرة في القرب من العقيدة المصرية في عدالة هذا الحساب ثم تمر لسنوات حتى يأتي أفلاطون (مولده بين سنتي ٤٢٩ و ٤٢٧ ق . م) فيقول :

« فإذا جاءت الأموات أمام قاضيهن دعاهن « ردامت » (وهو أخو ميسوس) إلى القرب منه ، ثم فحص روح كل واحد منهم من غير أن يعرف لمن هي . فإذا وجدوا مملوءة فساداً وحيث ، وكنت قد عاشت بعيد عن الحقيقة ، بعثت إلى السحر لتتلقى فيه العقاب الذي تستحقه » ثم يقول :

« و ردامت يرسل المحكوم عليهم إلى قاع الحميم بعد أن يسمهم بمسمى تبعاً لقائليتهم أو عدم قدينتهم لتطهير ، أما الروح الذي يرى أنه عاش في الظهور وفي الحقيقة فإنه ينتهج به ويرسله إلى الحرث السعيد^(١) »

وهذا يرجع أفلاطون إلى استدراك ما فات هوميروس . وبصن إلى شاطئ العقيدة المصرية التي صهرت قلبه بالفن وحماسه عام ١ ثم يمر نحو خمسة قرون حتى يجيء « فرجيل » شاعر الرومان الأكبر (٧٠ - ١٩) قبل الميلاد فيؤلف ملحمة « الإبيادة » من ثي

(١) ترجمة المرحوم عبد القادر حمزة « بشا عن » مورتي .

عشر فصلاً ، ستة منها على مثال «الأوديسة» وستة على مثال «الإلياذة»
 هو ميروس وفي أحد المصنوعات ستة مذهب «بيياس» بطل المسحمة إلى
 العالم السفلي للانتقاء بروح أبيه «نشير» لاستفتائها في مستقبله ومستقبل
 دريته ويهبط مع كاهنة تقوده إلى مزارع الموتى ، وقد امتلأت أشباحاً
 وأرواحاً ، ويعبران نهر «ستكس» (وهو نهر في لحجيم مليء بالحيات
 والحيوانات المحيطة) ويشرف على عبورها «شرون» لوني الكتيب
 (الذي يقود أرواح الموتى) . ثم عصي لكاهنة يتبعها «بيياس» في
 عالم كله بأس وقنوط ، نروح فيه وتعدو صوف من أشباح الموتى ،
 وهالك يلتقي «بيياس» بكثير من أبطال «صروادة» وأخيراً
 ينفى أباه فينه عما قد كتب لسلالته من محذوفات

وحجيم «فرجيل» هي نفسها حجيم «هو ميروس» استقاة من
 الحجيم المصرية كتب مر منذ قديم ، مع بعض القصص وتعديلات

وبدع الإغريق ورومان لتنتج إلى بني إسرائيل ، بحث في
 عقائدهم عن العالم الآخر ، أما في العهد القديم كتاب اليهود
 الأول^١ فلا يجد ذكرًا للعالم الآخر شيئاً . ومن أسياق كله يفهم
 الحراء على أشرف كان يتحقق في الدنيا بالقياس إلى الأفراد وإلى
 الجماعات ، فإنه بني إسرائيل لم يكن يفعل عن أحد المسيء منهم
 بإساءته ، فرداً كان منهم أو حياً من أحيائهم

(١) مسمى من كتاب «قصص الأرب في العدم» ومن «أساطير الحب والجمال عند
 الإغريق» للأستاذ دريني حش

(٢) الذي هو التعمود ، وقد ترجمت حراء منه إلى بعض اللغات غير العبرية

ولكن هذه العقيدة لم تستطع أن تقوم المشهود في واقع الحياة ،
وهو أن الشر قد يذهب بعافية ، والبحير قد يعكس ، وعندئذ أحد
الصراع يرد في الضمير الإسرائيلي بين العقيدة السادسة وهذا الواقع
في الحياة ، ويبدو هذا الصراع على أنه في «سفر أيوب» أحد أسفار
العهد القديم

وهنا أقتبس من فصل جيد كتبه الأستاذ «علي أدهم» عن هذا
السفر في كتابه «مطرات في الحياة والمجتمع» ما يعيني عن الكد في
التلخيص والتعيق .

«في الإصحاح الثالث عشر من سفر أيوب يقول أيوب في رده
على أصحابه ، وتحدثه عن الذات العبية : «إنه ولو قتلي أنقى آملاً له ،
غير أنني أحتج عن طريقي أمامه» وهذه الكلمة التي تجمع بين الإيمان
اتمام بطائف من الإيثار والمروق ، وتمتدح فيها الثقة المطلقة بطل من
لشك والارتباب ، تختصر تلك الحجاج والبسات التي يقدمها أيوب
دفاعاً عن نفسه ، وتبريراً لموقفه . بعد أن حاول كم منه . وقمع
عواطفه ، والصبر على ما ابتلاه به الله من فادح الحطب ومبرح الألم في
ذلك السفر القيم البعيد المعرى المسبب إليه ، وهو من أروع أسفار العهد
القديم ، وأحصنها باللمحات الكاشفة ، والمطرات الباهرة ، والحواسر
الحرية ، وقد تناول بصراحة قليلة الطير موقف الإنسان «موود
المرأة ، قليل الأيام ، كثير الشقاء» من الله «صانع عظامهم بصوت
الحث ، وعجائب تفوق العدد» والتماس الإنسان اعدالة ، وبحته
عن الحكمة في حوادث الحياة ، وحقائق الوجود وهو يصور أندع
تصوير وأدقه وأصدقه الصراع الشديد بين الشكوك التي تساور الإنسان
من ناحية وحوادث عدالة إلهية منحلته في تجارب البشر ، ومصاير الأمم .

والإيمان القوي الذي يحاول أن يدرأ عن نفسه عوالب الشكوك ،
ويبقى هجماتها ، وتمكنه في النهاية من مطاردتها وقهرها

وهذا السهر يكشف عن مرحلة هامة من مراحل تفكير بني
إسرائيل الديني عندما بدأت انشكوك تتسرب إلى الاعتقاد القائل بأن
رحل الصالح المستقيم يلقي في حياته المثوبة العاجلة ، لاستقامة طريقه ،
وسلامة طريقته ، وأن من يحنك الصلاح ويقترب لآثام . يحل به
العقاب ، ويهان اخراء الوفاق . فقد لوحظ أن حقائق الحياة اليومية
وحوادثها المتواترة المألوفة لا تؤيد هذا الاعتقاد الساذج ، ولا تؤكد
أن الشرير يلقي حزاء شره . وأن الحير يثاب على ما قدمت يداه ، بل
قد يعذب على أمره وتحبي عليه استقامته وقد أخذت هذه المسألة تشغل
العقول ، وتقلق النفوس ، وتثير الحواظر ، فهل يشك في العدالة
الإلهية ، أو أن هناك في وقائع الحياة وحركات الكون عدالة تخفي
عن العين وتدف عن الفكر متوارية في هذا الظلم البادي . وبذلك
تتسع آفاق فكرة العدالة ، وتسمو وتكتسح ما في طريقها من
الاعتراضات التي نهم عن النظر الكليل والفهم القاصر ؟ وكان يريد
الأمر خطورة أن فكرة الحياة الأخرى لم تكن بعد قد استنابت طلاها
وانحجعت إليها الأفكار .

ولا بد أن تكون فكرة العالم لآخر قد أحدث سمو عند بني
إسرائيل في تاريخهم الطويل بعد كتابة العهد القديم . فبنا نجد في
إنجيل متى في الإصحاح الثاني ولعشرين منه : « في ذلك اليوم جاء
إليه صندوقون الذين يقولون ليس قامة . إبح » ففهم أنها ورقة من
فرق الإسرائيليين على عهد المسيح طلت على أنه ليس قيامة . فيما
نعرف أن « النريسيين » يقولون بالقيامة نعم هذا من سفر أعمال

الرسول « الإصحاح الثالث والعشرين » حين يقول موسى الرسول .
« أنا فرسي ابن فرسي على رجاء قيامة الأموات » .

يقول ذلك نواب قيصرية الذي حرصه يهود ليقصص على موسى
بحجة أنه مفسد ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة .
ثم يقول في الإصحاح الرابع والعشرين .

« هكذا أعد به آتائي مؤمناً بكل ما هو مكتوب في لئاموس
والأنبياء . ولي رجاء بالله فيما هم يتطرونه أنه سوف يكون قيامة
للأموات الأبرر والأئمة » فقد وجد اعتقاد بدر بين جماعة من بني
إسرائيل يوم آخر .

ولكن لا يعرف على وجه التحديد متى سرت هذه العقيدة إلى
بني إسرائيل وأور إشارة لحدتها في سفر أشعيا الذي كانت حياته
حوالي القرن الثالث ق م ولكن ليس هناك ما يحرم بأن المقصود بها
هو يوم القيامة ، ذلك قوله على هيئة نوءة .

« هو ذا الرب يحيي الأرض ، ويرفعها ويقلب وجهها ويبدد
سكانها » إلى أن يقول :

« ويكون أن الهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة ،
والصاعد من وسط الحفرة يؤخذ بالهلع لأن مياريب من الأعلى
انفتحت وأسس الأرض تزلزلت . اسحقت الأرض اسحقاقاً .
تشفت لأرض تشقاً ترعرعت الأرض ترعرعاً ترسحت الأرض
ترسحاً كالسكران ، وتدلدلت كالعيزون ، وثقل عليها دنسها فسقطت
ولا تعود تقوم .

« ويكون في ذلك اليوم أن الرب يطرب حد الأعلى في الأعلى ،
وملوك الأرض على لأرض ، ويجمعون جميعاً كأسارى في سجن » .

ويعتق عليهم في حسن ثم بعد أيام كثيرة يتعهدون ، ويحجل بقمر ،
وتحري اشمس ، لأن رب الحود قد ملك في حل صهيون وفي
أورشليم . وقدم شيوخه مجد .

ولكن هذا اليوم قد يكون يوماً من أيام الدنيا ، بل الأرجح
هو هذا . فهو يقول في الإصحاح الخامس والعشرين :

« ويقال في ذلك اليوم : هو ذا إلهنا انتظرناه فخلصنا ، هذا
هو الرب الذي انتصرناه . ستهج ونهزج بحلاصه لأن يد الرب تستقر
على هذا الحبل ، ويداس « مؤاب » في مكانه كما يداس المس في
ماء المربة . فيسط يديه كما بسط السبح ليسح ، فيصع كزيده
مع مكايديده ، وصرح ارتفاع أسوارك بحمصه ، يضعه ، يلصقه
بالأرض كالتراب . »

وفي الإصحاح السادس والعشرين :

« في ذلك اليوم يعني هذه الأغنية في أرض يهودا ، لئامدينة قوية .
يحجل لحلاص أسواراً وممرسه ، افتحو الأبواب لتدخل الأمة البارة
الحافظة الأمانة . . . »

وإذن فهذا اليوم قد يكون يوم انتصار « إسرائيل » على عدوه
« مؤاب » ويكون بذلك يوماً محلياً يتساء به أشعياء كقبة السوءات
في العهد القديم

كذلك ترد إشارة أخرى إلى يوم كيوم القيامة في الإصحاح الثاني
عشر من سفر « دانيال » الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد وهي
أدل على يوم قيامة من إشارة أشعياء ، ولكها هي لأخرى قد تكون
حديث عن يوم من أيام الأرض ، وسوءة من سوءات المستقبل لشعب
إسرائيل . فهو يقول حكايه عن وحي الرب إليه :

« في ذلك الوقت يهوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لسي شعنت ،
 ويكون زمان صديق لم يكن مند كانت أمة إلى ذلك الوقت وفي ذلك
 الوقت يسجي شعنت ، كل من وحد مكتوب في السمر ، وكثيرون من
 الرافدين في تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية ،
 وهؤلاء إلى العار ، بلازدرء الأندي ، والهامون يصيئون كصباء
 الخلد ، ، والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور »

ولكن هذا يحيى بعد حديث طويل عن قديم ثلاثة ملوك في فارس
 وملك رابع أغنى وأقوى ، بهحمون على مملكة يونان إلح ، ثم
 يحيى ذلك ليوم في النهاية وهذا ما يحمل تلك الإشارة ليست بصا
 مؤكداً على يوم قيامة . فقيام الرسل والصالحين من الملوك كثيراً ما
 يرد في سورات كهذه على أنه علامة لشعب إسرائيل ، تقع في سياق
 الحياة ، ولا تدل على نقلة إلى عالم آخر

على أن الإشارة في الإنجيل وفي أعمال لرسل إلى اعتقاد اليهود
 بيوم قيامة كافية في إثبات وجود هذا الاعتقاد في السهية وإن يكن
 حدث متأخراً جداً كما يبدو مما يدل على أنهم لم يتأثروا في هذه
 النقطة بالعقائد المصرية

• • •

أما المسيحية فعندها « مذكوت لرب » و« الحياة الأبدية » لنعيم .
 وعندها « جهنم » و« النار » و« الطمة » للعذاب وهناك « يوم الدين »
 يوم يأتي ابن الإنسان (المسيح) مع ملائكة الله . ولا يستطيع أن يحرم
 متى ؟ أيوم القيامة أم يوم قيامته بعد هذه ثلاثة أيام كما ورد في
 الأناجيل

وحاء في الإصحاح ١٦ من إنجيل متى « فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يحاري كل واحد حسب عمله الحق أقول لكم : إن من لقيام هنا قوماً لا يدركون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته »^(١)

وحاء في الإصحاح ١٩ من هذا الإنجيل « فقال يسوع لتلاميذه بحق أقول لكم : إنه يعسر أن يدخل عبيّ ابن مملكة السموات وأقول لكم أيضاً : إن مرور حمل من ثقب إبرة يسر من أن يدخل عني إلى ملكوت الله » .

وحاء في نفس الإصحاح « متى حمل من الإنسان عبي كرمي محله نجلسون . ثم يصعد على اثني عشر كرسيّاً تدينون أسباط بني إسرائيل لاثني عشر وكل من ترك بيوتاً ، أو إخوة ، أو أخوات ، أو أباً ، أو أمّاً ، أو امرأة ، أو أولاداً ، أو حقولاً ، من أجل اسمي ، يأخذ مائة ضعف ، ويرث الحياة الأبدية »^(٢) .

وحاء في الإصحاح ١٢ من إنجيل مرقس « أقول لكم : إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسداً يوم الدين » .
وحاء في الإصحاح ١٦ من هذا الإنجيل « وأنا أقول لك أيضاً : أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستي ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيكم مفاتيح ملكوت السموات »

وحاء في الإصحاح ١٨ منه « فإن عُثْرَتَكَ بَدَكَ أو رَحْلَكَ فاقطعها ، وثقها عندك ، خير لك أن تدخل الحياة أعرجاً أو أقطع من

١ هذا النص يعني قدماً : من بعد ثلاثة أيام من صلبه كما جاء في « إنجيل المجد »

٢ قد يوجد من هذا النص : من بعد ثلاثة أيام »

أن تلقى في نار الأبدية ولك يداك ورجلاك وبن أعثرتك عبث
واقمعهما وألقها عليك ، حير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تنقى
في جهنم النار ولك عيان » .

وحاء في الإصحاح التاسع من إنجيل مرقس زيادة على ما جاء في
إنجيل متى في هذا الموضع قوله . « من أن تلقى في جهنم النار التي لا
تطفأ حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ » .

وحاء في الإصحاح الثامن من إنجيل متى : « وأقول لكم : إن
كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب ، ويتكثون مع إبراهيم وإسحاق
ويعقوب في ملكوت السموات وأما هؤلاء الملوك فصرحوا إلى
الظلمة الحارحية هكذا يكون الكاء وصرير الأسنان »

وحاء في الإصحاح ١١ من هذا الإنجيل : « وأنت يا كفر ناحوم
المرتفعة إلى السماء سنهطين إلى الهوية ، لأنه لو صعب في « سدوم »
القوات المصنوعة عليك لنفيت إلى اليوم . ولكن أقول لكم إن أرض
سدوم تكون لها حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لك »

وجاء في الإصحاح ٢٦ منه « وأقول لكم إلي من الآن لا
أشرب من ثاح لكرمة هذ . إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم خديداً
في ملكوت أبي » .

وهكذا لا نغثر إلا على هذه الإشارات المختصرة للنعيم في ملكوت
السموات وللمعذاب في جهنم النار أو في الظلمة الحارحية ومرة واحدة
نغثر على بعض التفصيل في الإصحاح الخامس والعشرين من إنجيل
متى

« ومتى جاء من لإسار في محله ، وجميع الملائكة يقفون
معه ، حينئذ يجلس على كرسي محله ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ،

فيميز بعضهم من بعض كما يميز ايراعي لخراف من الخداء ، فيقيم
الخراف عن يمينه ، والخذاء عن اليسار ، ثم يقول الملك للدين عن
يمينه : تعالوا يا ماركي أبي ، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس
العالم ، لأنني جعت فأطعمتموني ، عطشت فسقيتموني ، كنت غرباً
فأوثقتكم ، عرياناً فكسوتكم ، مريضاً فزرتكم ، محبوساً فأتيتكم
إني . فيحييه الأبرار حينئذ قائلين : يا رب منى رأيناك جائعاً فأطعمناك ،
أو عطشاً فسقيناك ، ومنى رأيناك غرباً فأوثقناك ، أو عرياناً
فكسوناك ؟ ومنى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك ؟ فيحجب
الملك ويقول : الحق أقول لكم : كما أنكم فعلتموه لأحد إخوتي
هؤلاء الأصاغر ، فبني فعلتم

« ثم يقول أيضاً لندس عن اليسار : اذهبوا عني يا ملاعين إلى
البار الأندية المعدة لإبليس وملائكته : لأنني جعت فلم تطعموني ،
عطشت فلم تسقوني ، كنت غرباً فلم تؤوؤوني ، عرياناً فلم تكسوني ،
مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني . حسد بحسبه هم أيضاً قائلين : يا رب ،
منى رأيناك جائعاً أو عطشاً أو غرباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً
ولم نخدمك ؟ فيحييهم قائلاً : الحق أقول لكم : كما أنكم لم تفعلوه
لأحد هؤلاء الأصاغر فبني لم تفعلوا ، فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي ،
والأبرار إلى حياة أبدي »

هذه هي الصورة لوحيدة المفصلة للقيامة والحساب ، والنعيم
والعذاب ، في الأناجيل التي بين أيدينا ، والتي عنها المذاهب المسيحية
إلى يوم . هي الرسائل ولشروح التي ليس لها مكان تفصلها على
كل حال

ومع وجود بعض اليهود والمسيحيين في حرية العرية فإن عقيدة
لعالم الآخر لم تستطع أن تنتشر في عرب الحرية . فطلت فكرة لعنة
فكرة عرصة تقابل بأشد استنكار حينما جاء محمد صلى الله عليه
وسلم بالقرآن :

﴿ وَقُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَدْعُونَكَ عَلَىٰ رِجْلِ يَسْئُوكُمْ - إِيَّا
مُزِقُّكُمْ كُلَّ مَزْقٍ إِنَّكُمْ لَهِيَ خَلْقٌ حَدِيدٌ ؟ أَفَتَدْعَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ
حِجَّةٌ ؟ ﴾ وقالوا : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ، وَمَا
يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ، وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .

ومن هنا نقلهم لقرآن إلى آفاق انعام لآخر كما لم تحل قط في
تاريخ الإنسانية ، وكما لم ينصورها حيال شرى منذ أن ست في
ضمير مصر القديمة حتى أطل انشورية الإسلام ولعل عرص مشهد
انقيامة يبين مدى هذه الفقرة التي رفع العرب ايها الإسلام ، فإذا هم
يؤمنون بعالم آخر ، ونحة وبار ، ونعيم وعذاب وعدالة مطلقة ، ورحمة
واسعة ، في صورة أكمل وأبقى من كل تصور سابق في تاريخ الإنسانية
الطويل

وقصة ذلك العالم مفصلة فيما يأتي من الفصول .

العالم الآخر في القرآن

«مشاهد القيامة» في القرآن من ثمر مواضع التصوير فيه ، وهي التي تنطق عليها - بصفة خاصة - جميع السمات التي تحدثت عنها في كتاب «التصوير» والتي قطعت بعضاً منها في مقدمة هذا الكتاب . لقد عني القرآن بمشاهد القيامة البعث والحساب ، ونعيم وعذاب ، فلم يعد ذلك لعالم الآخر الذي وعده الناس بعد هذا العالم لحاصر ، موصوفاً وحسب ، بل عد مصوراً محسوساً ، وحياً متحركاً ، وبارزاً حياً ، وعاش المسلمون في هذا لعالم عيشة كاملة : رآوا مشاهدته ، وبأثروا بها ، وحفقت قلوبهم ناره ، واقشعرت حلودهم ناره ، وسرى في نفوسهم الفزع مرة ، وعادوهم لاطمئنان أخرى ، ونفحهم من النار شواط ، ورف بهم من الجنة نسيم . ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل ليوم الموعود

هذا العالم سيط كل الباطنة ، وأصبح وضوح العقيدة الإسلامية - موت وبعث ، ونعيم وعذاب - قائماً بذات أممها وعملوا الصالحات فلهم الجنة بما فيها من نعم ، وأم الدين كهرو وكسبوا لقاء الله ، فبهم النار بما فيها من ححيم ولا شفاعة هناك . ولا فدية من العذاب ، ولا احتلال قيد شعرة في ميزان العدالة الدقيق :

﴿من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾

﴿يوم لا يحزى والد عن ولده ، ولا مولود هو حار عن والده شيئاً﴾ .

ولكن هذه الحقيقة البسيطة الواضحة تعرض في صور شتى . وترسم في عالم كامل ، حفل بالمشهد ، وتترى عشرات من الأوصاف والأشكال واسماء ، ويؤلف نديت ملاحم هبة رائعة ، تتعلاها النفس ، ويتابعها الخيال ، ويستغرق فيها الحس وتترى فيها لظلال ، وتصيف إلى الثروة الأدبية القوية صفحات مفردة ، لا شبه لها ولا مثال

وياً ما كانت الأوصاف والأشكال التي سعرض لها من بعد بالتفصيل فإن هناك سمة واحدة شاملة ، إنها مشهد حية ، مترعة من عالم الأحياء ، لا ألوان مجردة ، ولا خطوط جامدة مشهد تقاس فيها الأبعاد والمسافات بالمشاعر والوجدانات ، ولحواطر والخلجات ، وترسم المواقف وهي تنهد عن في نفوس آدمية حية ، أو في شحوص من الطبيعة تلح عيب الحياة ثم تغرق الشيات والسمات بعد ذلك في شتى لمشهد . فلا نخل هذه السمة الأصلية اشتماع جميع المشاهد

* * *

وسمة أخرى كذلك أصيبت في هذه المشاهد جميعاً ، إنها حاضرة ليوم تراها العين ، وتحسب النفس والفارق السحيق بين العالمين فارق هرب . بل لا هرب هناك في بعض الأحيان بل ربما كانت «الأخرى» هي الحاضرة وكانت «الدنيا» ماضياً بعيداً يتذكره المذكورون !

تلت سمة بحي هذه لمشهد في انفس ، وهوي تُره في بحس ،

وتتحقق بوسائل شتى ، ستعرض بعضها على سبيل الإحسان
 مرة يبدو أول المشهد في لعنة الدنيا ، وهمايته في الحياة الأخرى .
 دون توقف وبلا فواصل ، فحمل بسك أنها قرب من قريب . وأن
 الإنسانية تقطع الرحلة على مشهد ملك في ستطراد عجيب

﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾
 يا خلقنا لإسان من نُطفةٍ أمشاجٍ استتليه . فجعلناه سميعاً بصيراً . إنا
 هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً . إنا اعتدنا للكافرين سلاسل
 وعلالاً وسعيراً . إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً
 عما شربوا عباد الله يمجّزونها تفحيراً ﴿ إنج

وستنمر السباق إلى صور من العيم والعذاب ، فتحس أنك
 قصفت الرحلة الطويلة في لحظات وهي رحلة تبدأ قبل خلق الإنسان .
 يوم أن لم يكن شيئاً مذكوراً ، ونسبي في الجنة وفي نار ، ونصم في
 حلالها الحياة . في بصع فقرات قصار ا
 ومرة يريك الدنيا والأخرى حاصرتين معاً وهؤلاء جماعة
 يستعجلون النبي بالعذاب بينما هم في حوزة جهنم

﴿ يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ ١

ومرر يد في قصة تقع في الدنيا . ثم تناع بقبتها فإذا نحن في
 الأخرى : هذا فرعون يؤم قومه في الحياة ، ثم يستمر الشوط ، حتى
 يؤمهم إلى النار .

﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وشيطان ميين . إلى فرعون وملئه ،
 فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيده . يقدم قومه يوم القيامة ،
 فأوردهم النار ، وبئس الوزر المورد ! ﴾

ومرة يراوح بين مشاهد لدن ومشاهد الآخرة ، ويسوقهم مساقاً
 واحداً كأى هم حاصر في الرماح ، يتبدلان لتقديم والتأخير

﴿ وإذا الحوم طُمست ، وإذا السماء فرحت . وإذا الحار
 بُسفت ، وإذا الرمل أقيست ، لأي يوم أُحلت ، ليوم الفصل ،
 وما أدراك ما يوم الفصل ؟ ويل يومئذ للمكذبين . ألم نهلك الأولين ،
 ثم نتبعهم الآخريين ؟ كذلك نفعل بالمحرمين . ويل يومئذ للمكذبين
 ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه في قرار مكين . إلى قدر معلوم ،
 فقدرنا فبعم القادرون ؟ ويل يومئذ للمكذبين . ألم نجعل الأرض
 كفافاً^(١) ، أحياء وأمواتاً ، وجعلنا فيها رواسي شامحات ، وأسقيناكم
 ماءً فراتاً ؟ ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا إلى ما كنتم تكذبون ،
 انطلقوا إلى طل دي ثلاث شعب ، لا طيل ولا يعي من اللهيب ،
 إنها ترمي شر كالقصر^(٢) ، كأنه جمانة^(٣) صفر . ويل يومئذ
 للمكذبين ﴾ .. إلخ

(١) كفافاً وعاء

(٢) القصر : جمع قصرة ، وهي الشجرة الغليظة

(٣) جمانة - جمع جمل وهو الحمل الغليظ

ومره يستقل من البحر إلى الإيلاء ، أو من الوصف إلى الحوار ،
فيحيل إليك أن المشهد حاصر يوحه فيه انحطاب ، و يدور فيه
الحوار :

﴿ وجاءت مكرة الموت بالحق ذلك ما كسب منه نجيد
وفُخ في الصور ، ذلك يوم الوعيد . وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد . لقد كنت في غمة من هذا فكشفنا عنك عطاءك فصرُك
أيوم حديد^(١) . وقال قربه . هذا ما لدي عند^(٢) لُقيا في جهنم
كل كفار عنيد . مناع لبحير مُعْتَلِ مُريب . الذي جعل مع الله إله
آخر فألقياه في العذاب الشديد ﴾ الخ

ومرة يتحدث عن الدنيا كأنها ماضي كان ، والأخرى كأنها
الحاضر الآن :

﴿ وسبق الذين كفروا إلى جهنم رمياً ، حتى إذا جاءوها فُتحت
أنوارها وقال هم حزنتها . ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات
ربكم ، ويدرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : بلى ولكن حقت
كلمة العذاب على الكافرين ﴾ !

وهكذا ينتقي هذه الألوان من اتعبر عند سمة وحدة ، هي

(١) مد

(٢) حاصر

ستحصار المشهد وإحيائه . كأي هو مشهود محسوس . ودلت بلا
ريب أعظم تأثيراً في النفوس

° ° °

وسمة ثالثة في هذه المشاهد . وفي صور القرآن جميعاً ، تلك هي
سمه «التناسق» ولقد أوردت لهذه السمة فصلاً موصولاً في كتاب «التصوير
الهي» وكل ما فيه ينصو على «مشهد القيامة» وهو تناسق يتحلى أولاً
في حزنيات المشهد ، فتبدو هذه الحزنيات مسقة ، بين بعضها البعض
دون من التماثل أو التشابه أو التداخي أو التقابل . ولكها من حو واحد
لا شور فيه ولا مفارقات . ويتحلى ثانياً في حرس الألفاظ لدن
هذا الحرس على صورة معاه في بعض الأحيان ، وليؤلف مع بقية
الألفاظ إيقاعاً يناسب حو المشهد في جميع الأحيان ، وهذا الموسيقي
بصاحبه للمشهد تكل حو ، وتناسب أحاسيسه ، وتشترك مع
الألفاظ في تصوير العرض العام . ويتحلى ثالثاً في اتساق المشهد كنه
بالفاظه ومعانيه وحرسه وإيقاعه ، مع اتساق الذي يعرض فيه ، سوء
حاء تعقياً أو مقدمة لرهان ، أو تأكيداً لقضية أو تثبيتاً لإيمان
إلح . ومشهد القيامة في القرآن كلها موقفة لأداء العرض الديني ،
ذلك انعرض الأول لقرآن . ولكها تتصل بالوحدان الديني عن طريق
الوحدان الهي .

وتفصيل هذه الألوان من تناسقها يستغرق فصلاً كقصص
الذي استغرقه في كتاب «التصوير الهي في القرآن» . لذلك نكتفي
بهذا القول المجمل . ونحيل على ستعراض المشاهد في هذا الكتاب .
وقد وقصا عند بعضها لمر هذا التناسق فيها بما يقتضيه انقام .

أقرب وقصا عند بعضها دون سائرهما . وجعلنا هذا بعض

نكادح لنساق . لأن تقصيه في كل مشهد يصحح الكتاب . وقد
بدو فيه بعض التكرار . وبعد أن يقرأ القارئ تلك النكادح المفصلة
يستطيع أن يطق هو عليها بلا عسر ولا اقتسار

• • •

تعنى هذه المشاهد بتصوير هلول في يوم القيامة . ذلك هلول
الذي يشمل الطبيعة كلها ، ويعيش النفس الإنسانية ويهره . ولا نكاد
نخلو مشهد واحد من اشتراك الأحياء فيه ، وقلما تنفرد الطبيعة به
إلا أن يلب فيها نوع من الحياة . وكس مرة تكون الشحوص لدارة في
لمشهد هي أفراد الطبيعة جميعاً ، ومرة تكون هي النفوس الآدمية
الواعية أو المخلوقات الحيوانية المتنوعة ، ومرة يكون المسرح مشتركاً
بين هؤلاء وهؤلاء .

مرة تدر تلك الشحوص كاملة في الطبيعة لصامته وفي الحيوان
الأعجم وفي الإنسان سواء :

﴿ إذا الشمس كورت ، وإذا السحوم اكسرت ، وإذا الحبال سئرت
وإذا العشار^(١) عطيت ، وإذا الوحوش حشرت ، وإذا البحار
سجرت^(٢) ، وإذا النفوس رجّت ، وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب
قتلت ، وإذا الصحف بُشرت ، وإذا السماء كُشِطت ، وإذا الحُجُجُ
سُغرت ، وإذا الحنة أُرعت ، علمت نفس ما حُضرت ﴾

(١) العشار النوق الحوام

(٢) سجرت : ملئت

فحس أن الهول يشمل الأرض والسماء ، والحيوان والإنسان ،
والصغار والكبر ، والحية والبار وكلها في موقف هول والانتظار
ومرة ترر مشاهد الطبيعة وحدها يحركها الهول ويرحها

﴿ إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعها كدده ، حافضه رافعه . ١٥
رُحَّتْ الأرض رَحاً ، وتُتَّ الحبال نَساً ، فكانت هباءً منثاً ﴾
ومرة يلمح الهول في طلال نفسية ، وحلحات شعرية .

﴿ يوم يَهْرُ امرءٌ من أخيه ، وأُمِّه وأبيه ، وصاحبه وسبه لكل
أمرئٍ مهم يومئذ شأنٌ يُغنيه ﴾ ..

﴿ فكيف إذا حثا من كل أمه شهيد ، وحثا بك على هؤلاء
شهداء ؟ يومئذ يودُّ الذين كفروا وَعَصُوا الرسول لو تَسَوَّى بهم الأرض
ولا يكتُمون الله حديثاً ﴾ . ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة
الساعة شيء عظيم يوم تَرَوْنَهَا تَذْهَبُ كل مرضعة عما أرضعت ،
وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سُكَّاراً وما هم
بسُكَّارى ، ولكنَّ عذاب الله شديد ﴾ .

ومرة تشترك محالي الطبيعة مع شحوص لآدميين ، في تصوير الهول
العظيم :

﴿ القارعة ما القارعة ؟ وما أدراك ما القارعة ؟ يوم يكون الناس
كالفرأش المشوث ، وتكون الحبال كالعُيُش (١) المنفوش ﴾ ﴿ يوم
(١) الصوف

تَرْحُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ، وَكَانَتْ الْحَدْسُ كَثِيلاً مَهِيلاً ، إِنْ أُرْسِلَ
إِيَّكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أُرْسِلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ، فَعَصَى
فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ ، فَأَحْدَدَهُ أَحَدًا وَيِلًا فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَهَرْتُمْ
يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ، السَّمَاءُ مُسْفِطَةٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٠﴾

* * *

ونعني هذه المشاهد بتصوير مواقف الحساب ، قبل العيى والعذاب
وهنا سقى بألوان شتى من صرق العرص الكثره ، وسعات شتى للموقف
المعروض .

مره بطول مشهد العرص ولحساب حتى نحسبه سوف بدوء ؛
ومرة يعرض سريعاً حاطفاً لا تكاد تتملأه لعيون وهذا أو ذلك تقرره
الأصوب العسية ، القائمة على أسس عسية شعورية ، وتحدد طبيعة
الموقف ، ويلتقي بالعرص الدينى فى النهاية فيؤديه .
مرة يطول على هذا النحو :

﴿ وَنُرِزُّوْا لِلّٰهِ جَمِيعًا ، فَقُلِ الصَّعْدَةُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا
فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ قَالُوا : لَوْ هَدَانَا اللَّهُ
هَدَيْنَاكُمْ ، سَوَاءٌ عَيْنَا أَمْ صَبْرُنَا ، مَا لَنَا مِنْ مَّحِيطٍ ، وَقَالَ
الشَّيْطَانُ لَمَّا قُصِيَ الْأَمْرُ : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ، وَوَعَدْتُكُمْ
فَأَخَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجِمْتُمْ
لِي ، فَلَا تَلُمُونِي وَتُلْمُوا نَفْسَكُمْ ، مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَ أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ،
إِنِّي كَهَرْتُ نَافِلًا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ..

﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الطَّغْمُ عَلَى يَدَيْهِ ، يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرُّسُوبِ سَيْلًا . يَا وَيْلَتَا ! لَيْتَنِي لَمْ أَخْذْ فَلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضْسِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ حَاءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا ﴾ .. ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ . إِلَّا أَصْحَابَ الْإِيمَانِ فِي حَذَتْ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُحْرَمِينَ : مَا سَلَكَكُمْ فِي سَفَرٍ ؟ قَالُوا : مَا كُنَّا مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمُسْكِينِ ، وَكُنَّا مَحْصُورِينَ مَعَ الْحَائِضِينَ ، وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ .

وهكذا يترك المشهد الأول للحوار والحصاء ، ويترك المشهد الثاني للدم والحصرات ، ويترك الثالث للاعتراف الطويل ، لأن كلا من هذه المواقف يستدعي التسهل والتطويل ، بيّن التأثير والتأثير .

ومره يقصر العرص حتى ليدو كاللمح

﴿ رُوِّيتَ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾
 ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ..
 ﴿ يُعْرِفُ الْمُحْرَمُونَ سَيِّمَهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالْوَصِيِّ وَالْأَقْدَامِ ﴾

وتختلف أسباب القصر هنا بحسب المواضع التي ترد فيها تارة يكون القصر لأن الموقف موقف هدوء وسكون وحلال وحشوع . لا يليق فيه الأخذ والرد والحد والبقاش . وتارة يكون القصر وهو المقصود ، فتذكر حملة وحدة ينتهي بعدها كل حدال وتارة يكون مرادف كل شيء واضح ، فلا حاجة إلى كلام أو محاد

وهكذا من شتى الأعراض التي تستدعي العرض بحاطف القصير

* * *

وتعني هذه لمشاهد تصوير النعم والعذاب ، بعد البعث والحساب
وهي تعرضهما مرة مدبرين بينهما الحسن ، ومرة معويين تدر كهما
النفس ، ومرة تجمع بين هذا اللون وذلك .
يتحسم لعذاب المادي المحسوس في مثل هذه بصورة .

﴿ وَاَنْذِرْ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِصَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ اَلِيمٍ يَوْمَ يُخْفَىٰ عَنْهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَنَكُورِيهَا جَانِبَهُمْ
وَحُجُومَهُمْ وَظُهُورَهُمْ ، هَذَا مَا كُنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴾ .. ﴿ هَذَا حَصْبَانِ احْتَصِمُوا فِي رِجْلِهِمْ ، هَٰؤُلَاءِ كَفَرُوا
قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ، يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ، يُصْهِرُ بِهِ مَا
فِي بَطُونِهِمْ وَأَخْلَادُهُمْ ، وَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كَلِمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا
مِنْهَا - مِنْ عَمْرٍ - أَعْبَدُوا فِيهَا ، وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾
وهو عذاب - كما ترى - نفس الخلود والبطون ، وشوي الأمعاء
والحجوم !

كذلك يتحسم النعم المادي المحسوس في مثل هذه الصورة :
﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ، أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ في سننٍ محصود^(١) ،
وطلحٍ مضوئ ، وطلحٍ ممدود ، وماءٍ مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا

(١) لا به شرك

مقطوعه ولا ممسوعة ، وفُرش مرفوعة إنا أنشأناهن إشة ، فجعلناهن
أكرأ ، غرباً^(١) أترأ ، لأصحاب اليمير ﴿ ١ ٠ ﴾ وإن للمتقين
لحُسْن مآب : جناب عذْ مفتحة لهم الأبواب ، متكين فيها يدعون
فيها بما كره كثيرة وشراب ، وعندهم قصرات الطرف أترأ
هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴿ ٢ ٠ ﴾

وهو نعم تتمتع به الصور والأحسام ، وتلتذذ به الحور والأتدان
ويدق اللعيم والعداب ويعمقان . حتى يبعدوا صلالاً نفسية
رفيفة ، تفرد بها النفوس أو تضح منها على الوحود ، في مثل هذه
الصور . للنعيم :

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ .
﴿ ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ﴾ ...
وللعذاب : ﴿ إنا أنذرناكم عذاباً قريباً ، يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه ، ويقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً ﴾ . ﴿ ولو ترى إذ أقفروا
على ربهم . قل : ليس هذا بالعق ؟ قالوا : بلى وربنا ﴾ ..
إلى آخر هذه المشاهد التي تدور فيها اللعيم والعداب حالصين في
النفس والصمير ، من حور وأصمشان وود ، أو سم وحري وتذيب

(١) منحجب إلى أرواحهم

وباره تختط مظاهر النعيم أو مظهر لعذاب وتردوح . هيدو
 نعيم أو العذاب المادي . ممدوحاً لنعيم أو العذاب الروحي وهذا
 هو الغالب في مشاهد نعيم ولعذاب نصرب منها بعض الأمثال :
 للنعيم .

﴿ إن الخقيين في حناتٍ وسهرٍ في منقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ ﴾
 ﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغلٍ فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلالٍ
 على الأرائك متكئون ، لهم فيها فاكهة ، وهم ما يدعون . سلامٌ قولاً
 من ربِّ رحيمٍ ﴾ . ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
 أيديهم وبأيمانهم ، بشراكم اليوم حناتٌ تجري من تحتها الأنهار ﴾ .
 وللعذاب ﴿ إن شجرة الرُّقوم ، صعامُ الأثيم ، كالمهل يغلي في انطون
 كغلي الحميم حذوه فاعتلوه ، إلى سواء الجحيم ، ثم صُوبوا فوق رأسه
 من عذاب الحميم دُقْ إبتك أنت العزيز الكريم ! إن هذا ما كنتم به
 تمسرون ﴾ . ﴿ يوم يدعون إلى نار جهنم دعاءً هذه النار التي كنتم
 بها تكذبون . أفسحوا هذا أم أنتم لا تصرون ؟ ﴾ .. ﴿ ولذير كنهموا
 لهم نار جهنم ، لا يُقضى عليهم فيموتوا ، ولا يُخفف عنهم من عذابها ،
 كذلك يجري كلُّ كهورٍ وهم بصطرحون فيها . ربما أخرجنا نعمل
 صالحاً غير الذي كنا نعمل ! أولم نعيّركم ما يتذكر به من تذكر ؟
 وحاءكم البدير ؟ فذوقوا ما للطالمين من نصير ﴾ .

وهكذا يصحب النعيم المادي لون من التشكيري المعوي ، ويصحب

العذاب بحسبي ذلك السكيت لنفسي ، فببقني كلاهما في احسن
والنفس ، ويكون النعيم مصاعفاً كما يكون العذاب .

* * *

وكما يوصف النعيم وانعذاب وصفاً مصوراً مشخفاً ، كذلك
قد يبدو في هيئة ظلال ، تلقىها التعبيرات ، فتدل على الاسترواح
النعيم ، كما تدل على الصيق بالنعذاب ، ولو لم يوصف ذلك النعيم
وهذا العذاب

تسمع المؤمن يقولون ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، إن
ربنا لعفورٌ شكور ﴾ الذي أحلنا دار المقامة من فضله ، لا يَمَسُّنا فيها
نَصَبٌ ولا يَمَسُّنا فيها لعوب ﴿ فتحس برد لراحة ، ولذة النعيم ، وروح
الاطمئنان ، وهناء الصمير .

وتسمع الكافرين في جهنم ينادون من وراء الأسوار ﴿ يا مالئ ،
ليقص علينا ربك ﴾ . فتحس ضيق الصدور ، وألم العذاب ، ووهج
النار ، ولفح الحميم وإن لم يقل لك كيف هذا الحميم .

ونقرأ عن الذين كهروا وعصوا الرسول ﴿ يومئذ يود الذين كهروا
وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ﴾ فتراءى لك ظلال نصبة
واصبحة للبخزي القاتل والخلل الميت ، في موقف المواجهة ، حين
يسندعي الشهود من كل أمة ، ويحيا بالرسول شهيداً على الدين كهروا
وعصوا الرسول !

كما تقرأ عن العذاب ﴿ من يُصْرَفْ عنه يومئذ فقد رَجِمه ﴾

فیرتسم لك هول هذا العذاب الندی يعد محرد صرعه رحمة ، ولو لم
یقل لك شیئاً عن هول هذا العذاب .

وهكأ تقوم الطلال السریعة الحیمة ، مقام الصور الكاملة
العیفة ، فتعی عاءها فی لتصویر ، وتقوم مقامها فی التعبیر ، وتدع
تلخیال محده فی رسم الطلال ، وتصویر لسماء ، وتالیف الأشكال

ن د ن

ومن أطرف مشاهد القیامة ، ذلك اخلد العیف الندی يقوم بین
الشركین وآلهتهم أو بین المتوعین وأتباعهم ، وذلك السمر المطیف الندی
یدور بین المؤمنین والملائكة ، أو بین المؤمنین والمؤمنین . وفي انكتاب
الراش شتی مشروحة ، فكتبی هما معرض بعض لمشاهد بلا تعلیق .

﴿ ولو یرى الذین ظلموا ید یرون اعداباً أن القوة لله جمیعاً ،
وأن الله شدید العذاب ید تیراً الذین اتعوا من ایدین اتعوا ، وراوا
لعداباً وتقطعت بهم الأساب وقال الذین اتعوا لو أن لنا كرةً
فسراً منهم كما تراءوا منا ! كذلك یریهم الله أعماهم حسرات
عینهم ، وما هم بحارجین من النار ﴾

﴿ ویر تری ید الظالمین موقوفون عند ربهم ، یرجع بعضهم إلى
بعض القوا ، بقول الذین استضعفوا للذین استكبروا . لولا أنکم كنتم
مؤمنین ! قل الذین استكبروا للذین استضعفوا . أنحن صددناکم عن
الهدی بعد ید جاءکم ؟ بل كنتم محرمین ! وقال الذین استضعفوا للذین
استكبروا بل مكر اللیل واسهر ، ید تأمرونا أن نكسر بالله ومحمل

له أسداً ! وأسروا الدمامه لما رأوا العذاب . وجعلنا الأعلال في أعناق
الدين كهرو . هن يُحزَّونَ إلا ما كانوا يعملون ؟ ﴿

... ﴿ قال قرينه : ربنا ما أطعته ولكن كان في ضلال بعيد .

قال . لا تحتصموا لديّ وقد قلتُ إليكم بالوعيد ﴿

ذلك لون من الجدل العيف بين أهل بار . فأبيك نوناً من سمر
المطيف بين أهل الجنة .

﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتسألون . ولوا : إنا كنا في أهلنا
مُشْفِقِينَ ، فنَّ الله عينا ووقدا عذاباً أليماً ، إنا كنا من قبل ندعوه .
إنه هو أرحم الراحمين ﴿ .

﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتسألون : قال قائل منهم ، إني كان
لي قرين ، يقول أئنك لمن المصدقين ؟ أنذا ميت وكنا تراءاً وعظماً أنا
لما ينون ؟ قال . هل أنتم مُطَّلَعُونَ ؟ فاطَّعَ فَرَّاهُ في سواء الحميم
قال : تالله إن كنت لَأُزْدِين . وبولا نعمة ربِّي لكنتُ من المُخْصَرِينَ .
أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعدين ؟ ! ﴿

و هذا القدر يكفي من هذه امشاهد الطريفة ، فكيفها واردة بعد
ذلك في الكتاب مع اشرح الكامل واسأل الطويل وحسب أن
كشفنا في هذا القصر المحمدي عن طبيعة هذه امشاهد وابواب وطرق
بلا تفصيل ولا تطويل

مشاهد القيامة

سورة القلم (ن) (١)

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ ، وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ
سَالِمُونَ﴾ .

* * *

هنا يرر للحيان مشهد شاحص من مشاهد لقيامة . فهؤلاء الذين
كانوا يُدْعَوْنَ في الدنيا إلى اسجود فلا يلبون ، اعتماداً على أنه لن يكون
هناك يوم آخر هؤلاء يُدْعَوْنَ الآن ، وقد حذ الجلد ، وشمر عن الساق
ولساعد ، يدعون إلى السجود تسكيناً لهم وتوبيخاً . وقد فات الأوان
عن استدراك ما كان ، فلا يستطيعون السجود بما لموت الوقت
المناسب ، وإما لهول الذي يعيشهم ويعجزهم عن الحراك . وهم
مسكوس الرؤوس ، حاشعون حشوع الدلة ، وقد كانوا يأبون حشوع
العادة . فالجزاء إذن وفاق على ما كانوا يصنعون .

وهول الموقف هنا هو مصيحي ، يستشع من الضلال لنفسية
التي يبقيا موقف هؤلاء لأحياء حاشعين ترهقهم دلة ، بواحهول

(١) السورة الدنية ، سبقتها سورة العلق ، وفيها إشارة عارضة للقيامة وهي مكية إلا عشر
آيات الدنية

السكيت والتويح ، ويطلب إليهم حيث لا يستطيعون ، ما كانوا يأبونه
قادرين^١

وهو وقد شحص الموقف حتى لكانه مشهود ، توجه إلى الرسول
الأمير الذي تلقى العت من المكذبين ، فيقول

« قدرني ومن يكذب بهذا الحديث » ولا غلبت منه فأنا

كعبين إنه لعاص عما يراد به ، معتمد على ما بين يديه من نعيم
وإن هو إلا أحموه تؤدي به إلى مثل هذا المشهد الذي مر مد حين

« مستندرجهم من حيث لا يعلمون وأُملي هم في كيدي متين »

وسيعلمون ذلك ولكن حيث لا يسمعهم ما يعلمون « يوم يكشف عن
ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون . . » !

وهذا التهديد المستر ، بعد الاستعراض المؤثر ، يلح من نفس
لإساية أعماقها ، وقد ارتعش الحسن ، وتهيب للأعصار .

سورة المرملة^(١)

﴿ واصر على ما يقولون واحذرهم هجرأ جميلاً ، وذرني
والمكذبين أوى النعمة ومهلهم قليلاً إن لدينا أنكالا وحجيماً ،
وصعاباً ذا غصّة ، وعدائاً ليماً . يوم ترحف الأرض والحبال ، وكانت
لجبان كئيباً مهيباً ﴾ .

﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولاً ، شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون
رسولاً فعصى فرعون لرسول ، فأخذناه أحداً وبيلاً فكيف تتقون

(١) السورة الثالثة مكية إلا ثلاث آيات

إن كهرنم - يوماً يجعل الولدان شياً ، السماء مُفْطِرٌ به ؟ كان وعنه
مفعولاً إن هذه تذكرة ، فمن شاء اتَّحد إلى ربه سيلاً ﴿

~ ~ ~

« إن لدينا أنكالاً وححيحاً وصعماً ذا عصة وعدناً أليماً » نحيء
هذا التهديد رداً على تكذيب « أولي العمة » حاصة « لطفهم ذو العصه
هو الخراء المقابل للعمة وأولو العمة يستأهلونه ، لأنهم لم يراعوا
نعمتهم ، ولم شكروا واهبها ياهم فاصبر على كيدهم واهجرهم ،
واكضم أعمالك ، وليكن هذا أحر حبيلاً لا أحره ، وإن هذا
يحي حاجة إلى طفه أخرى من اصبر الحميل صبر ودعهم لي
فأنا هم كفيل ، وإن مهنتهم بقصيرة إن لدينا قيوداً تنكس بهم
وتؤدبهم ، وححيحاً تحمهم وتشويهم ، وطعدماً تلاممه العصه « ذو
عصه » ! وعدناً أسماً في يوم رهيب محف . .

ثم يرسم مشهد اليوم المحيف :

« يوم ترخف الأرض والجنات وكانت أحوال كئساً مهلاً »

فها هي دي صورة المهول نحاور لإسب ونفسه إلى الطسعة كلها
والإسبان من حملها فليتمل الحبال إن استطاع - صورة ذلك
المهول الذي ترخف له الطبيعة في كثر محاليل الأرض وحنان
وإنا لا نعرضكم لهذا اليوم إلا بعد أن نرسل إليكم رسولاً يحول
هدايتكم وبشهد عليكم :

« إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون
رسولاً » وإيكم لنسود بقوتكم ، فأبى أم من فرعون في قوته »

« فعصى فرعون الرسول فأحده أحدًا وبلا » ، فتريدون أن تؤحدوا
 إذن كما أحد فرعون القوي ؟ وإذا انتهت هذه الندية « فكيف
 تقرب إن كهرتم يوماً يحمل أولاد شيئاً ، السماء منهطر
 ٤ »

إن صورة الهول هنا لتعطر لها السماء ، ومن قبل ارتحفت لها الأرض
 والحل . وإيها لتشيب الولدان وإيه هون ترنسم صوره في الطبيعة
 الصائمة ، وفي الإنسانية لحية وعلى الحبال أن تملئ هذه الصور
 الشاخصة . وإيه يتملاها فيهر لها الوجدان ، وإيه بيؤكد لها تأكيداً
 « كان وعده معولاً » ، فلا شك فيه ، ولا مفر منه ، وما هذا الإبداء
 إلا للذكرى . « إن هذه تدكرة ، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً » وإن
 السيل إلى الله لآمن وأيسر ، من السيل إلى هذا الهول اعصيب !

سورة المدثر (١)

﴿ فإذا نُفِخَ فِي النُّاقُورِ ، فذلك يومئذٍ يومٌ عسيرٌ ، على الكافرين
 غيرُ يسير . فذُني ومن خلقتُ وحيداً ، وجعلتُ له مآلاً ممدوداً ، وتبينَ
 شهوداً ، ومهدتُ له تمهيداً ، ثم يطمع أن أريدَ إلا كلاً إيه كان
 لآيات عيدا سَأَرْهَقُهُ صَعُوداً . إيه فَنَكَّرَ وَقَتَّرَ ، فَنَقَلَ ! كيف قَدَّرَ ؟
 ثم قَتَلَ ! كيف قَدَّرَ ؟ ثم نظر ، ثم عَيَسَ وَيَسَّرَ ، ثم أدبر واستكبر ،
 فقل : إن هذا إلا سحرٌ يُبْثَرُ ، إن هذا إلا قولُ البشر سَأُصْذِبُهُ
 سَقَر . وما أدراك ما سَقَر ؟ لا تُبْقِي ولا تَدْر ، لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَمِيَّا

(١) السورة الرابعة مكية

تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للدين كفروا ، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ، ويزداد الذين آمنوا إيماناً ، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين في قلوبهم مرض ولكافروا : ماذا أراد الله بهذا مثلاً ؟ كذلك يصل الله من يشاء ويهدي من يشاء ، وما يعلم حدود ربه إلا هو ، وما هي إلا ذكرى للبشر كلا ، والقمر ، وليل إذا أدر ، والصبح إذا أسفر . إنها لإحدى الكبر ، تدبراً للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر كل نفس بما كَسَبَتْ وهيئة إلا أصحاب اليمين ، في حذرت ، يتساءلون عن المحرمين ما سألكم في سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الحائضين ، وكنا نكذب يوم الدين ، حتى أتانا اليقين فما تفهم شاعة الشاعرين . فما لهم عن التذكرة معرضين ، كأنهم حُرّ مستفيرة ، قرأت من قسورة ؟ ﴿

حاجات هذه تشهد للقيامة ، بعد أمر لرسول بالصبر على مكره الرسالة .

﴿ يا أيها الماثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز واهجر ، ولا تمشن تستكبر ، ولربك فاصبر ﴾
 ويرجح أن هذه السورة تالية سورة الرمل والأمر بالصبر هنا كالأمر بالصبر هناك تقريباً

ولأول مره ها يذكر البقر في الدقور أي السمع في الصور^(١)
 حيث يحدث لسمع ما يشه البقر لشده وقعه في لسمع وذلك تمهيد
 لقوله : «ذلك يومئذ يوم عسر ، على الكافرين عمر يسير»
 وفي هذا تعبير إسهام للعداب يقف الإنسان أمامه راعياً على
 أنفاسه ، محسناً إحساساً عامضاً بالشدة ، دون أن يرسم حيده صورة
 معينة لليوم العسير هو وقع العام المهم هو المقصود ها ، والحالة
 النفسية الرهيبة هي الهدف المرسوم .

إذا فعل الموقف فعله في النفس ، وإذا دب فيها الروح الحي في
 سكوت وصمت ، كان هذا الوقت هو أسب الأوقات لتهديد ذلك
 المعتر بماله وحاهه حين يحكي الرسول سه وبن الله صاحب القوة الرهيبة ،
 وصاحب اليوم العسير :

«دري ومن خلقت وحيداً ..» إسخ .

دري له مفردتين يا بلهول ! حين تترر القوة الكبرى هذا المخلوق
 الضعيف . لقد أنعمت عليه بشتى النعم (ونعاداتها ها والإطالة
 ها عرص مقصود) . «ثم يطمع أن أريد !» فهو لا يشكر ،
 ولا يؤمن بالنعم كلاً ، من أريده شيئاً ، بل «سأرهقه صعوداً»
 بعد أن «مهدت له تمهيداً»

سأحشمه انصعاب الوعرة (وبكه لا يمونها هكذا في لأسلوب
 اللطفي المعوي إى هو يرسم صورة حسية ، صورة الإصعاد في
 نوع من الطريق ، والتوقل في عسر ومشقة) سأرهقه صعوداً .

(١) البرى

«سأصليه سقر وما أدراك ما سقر؟ لا تُثقي ولا تدر لروحة
للشعر . عليها تسعة عشر»

وبذلك يرسم صورة لسقر يبدوها بالاستهوان والتحهيل
«وما أدراك ما سقر؟» ثم يحتملها بصورتها تلتهم كل شيء ولا تبقى
على شيء . وهي بعد هذا كله سبطة بلوح للشعر وتعرض في عصف
وتنجع . وتلوح شررهم بلطاها المستعر . وعليها حراس متعددون لا
تحدي معهم قوة صاحبها ولا أهله وسوءه . وهذا العدد محدد الكثير
«وما يعلم جنود ربك إلا هو» .

وبدا كانت صورة سقر هذه إما تتعرض للتذكير والتأثير ،
ولإظهار الحقيقة وإشهارها . فقد تلاها قسم لمشاهد سافرة طاهرة ،
كأنما هي إطار مشع لصورة ميرة :

«والقمر ، والليل إذا أدير ، والصبح إذا أسفر . إياها لإحدى
الكُر بديراً للشعر» وهما الناسق في المشهد لذي يرسم في لحسن
القمر المضيء ، والليل المندر ، والصبح المسفر كله إطار واضح ،
وبداخله . «إياها لإحدى الكُر بديراً للشعر» إياها لإحدى أعظم
الساهرة الظاهرة التي يراها الشعر بديراً هم ليس فيه من حياء . فكل
إنسان إدر وما يشاء لنفسه . «لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر»
وكل إنسان مسؤول عما يكسب مقيد به كالرهين «كل نفس
ما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين» وإياهم لمسؤولون عما كسبوا
مرهونون به . ولكن لما كانوا قد صنعوا خيراً ، فكان قيد الرهن قد
فك عنهم . فصيح أن يستشروا من هذا لتعميم «إلا أصحاب اليمين»
واسعهم هذا لا يكون بالحاجة والعيالك وحدهما ، وبكده كذلك
بشعور به ، وبالامتيار دون المجرمين ، فهو نعيم بصلي معوي .

برسمه في مشهد حوار بينهم وبين محرمين « يتساءلون عن المحرمين
ما سلككم في سقر »^١

وهنا يطبق المحرمون بحبوس في إسهاب وتطويل .
« قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نحوس
مع الخائضين ، وكنا نكذب بيرم الدين ، حتى أتانا اليقين »
وكان يكفي أن يجيبوا بحملة واحدة : كنا كافرين ولكن في
هذا الإسهاب تساق مع قوله : « كل نفس بما كسبت رهينة » فهم
هم يدكرون « حيثيات » الحكم « على أنفسهم تطويل وإسهاب وفي
طول العرض للمشهد حكمة أخرى هيبة تحقق لعارض نفسي ولديني من
عرضه . شوقف الاعتراف موقف مؤثر ، ومن الأصول لفسة أن تطول
ليسري إلى نفوس النظرة في بطة وتطويل »

فإذا استوفت حيثيات ، صدر الحكم العذب . « فما نفعهم
شهادة الشاهدين » وكل النظرة موافقون »

وإذا كان هذا العرض كله للتذكير والتحذير « فما نفعهم عن
التذكيرة معرضين ؟ » هذا برسم هم صورة منكرة « كأنهم حمر
مستنفرة ، هرت من قسورة » حمر وحشية تهر من لأسد الكاسر
أحل . « فما يعرض عن التذكيرة بعد هذا كله إلا الحمر » والحمر
المستنفرة ، « وثلك هم الذين لا يخافون الآخرة »^٢

سورة المسد^(١)

﴿ نَسْتَبْدَأُ بِمَا أَنبَىٰ لَكَ وَنَبَأَ مَا أَعْنَىٰ عَنْهُ مَالَهُ وَمَا كَسَبَ سَيِّئًا يُصَلِّيٰ

(١) السورة السادسة مكية سمعها سورة الفاححة وبس فيها شيء من مشهد الضامه و
كانت فيها إشارة إلى

باراً دات هب . وامرأته حمالة الحطب . في جيبها حل من مسد

° ° °

أبو هب سبيلي باراً دات هب . وامرأته حمالة الحطب .
سفل عنقها بحل من مسد^(١)

تناسق في اللفظ وتناسق في الصورة فجهم هب بار دات هب .
بصلاها أبو هب . وامرأته أبي بحمل الحطب ويلفيه في طريق محمد
لأيدائه والحطب محمد يوقد اللهب وهي تحرم الحطب بحل .
فعداسها في انار دات الهب أن تعل بحل من مسد . لينم الحرء من
حس العمل . وتم الصورة بمحتوياتها بسدحة الحطب والحل
ولدر واللهب نصي به أبو هب . وامرأته حمالة الحطب .

وتناسق من لون آخر في حرس الكلمات . مع الصوت الذي
يحدثه شد أحمال الحطب . وحذب العنق بحل من مسد اقرأ
«تت بدا أبي هب وتب» تحذفها عنف لشد وحرمة . الشيه شد
الحطب وحرمة . والشيه كذلك عن العنق وحذبه . والشيه نحو
الحق وتهديد الشائع في السورة

وهكذا يتنقي تناسق الحرس الموسيقي . مع حركة العمل الصوتية .
تناسق الصور في حرياتها انشامسه . تناسق الحساس اللفظي ومرعه
انطير في التعبير . وينسق مع حو السورة وسب البرول ويتم هذا
كله في خمس فقرات قصار . وفي سورة من أقصر سور القرآن .
قد لا يسو في طهرها حمال . حين يتحه «الدهن» إلى البحث عن
«المعاني» ولكن حين يتحه لوحدها إلى الصور والطلال . وإلى

(١) لب

الإيقاع والتناسق ، يحدد هذه الوفرة من اسماء الفية . وهذه لصور
المطوية ، وملك اللوحات والألوان ، التي تجتمع في فقرات قصار
حد قصار !

سورة التكويد (١)

﴿ إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال
سُيِّرَتْ ، وإذا العشار عُطِّلَتْ ، وإذا الوحوش حُشِرَتْ ، وإذا البحار
سُحِرَتْ ، وإذا نفوس زُوِّجَتْ ، وإذا الموعودة سُئِلَتْ ، وأي ديب
قُتِلَتْ ، وإذا الصحف بُشِرَتْ ، وإذا السماء كُشِطَتْ ، وإذا الحميم
سُعِرَتْ ، وإذا الحة أُرِلَتْ ، عمت نفس ما أُخْصِرَتْ ﴾ .

• • •

ها مشهد انقلاب تام لكل معهود ، وثورة شامة لكل موحود ،
تشرك في لانقلاب والثورة لأحرم السماوية والأرضية ، والوحوش
باهرة ، والدواجن الأبيمة ، ونفوس الشر ، وأوصاع الأمور .
وها يكشف كل مستور ، ويتضح كل مجهول . وها يتها كل شيء
لموقف الفصل ، والبراء على الحر والشر ، في يوم عجب عرب
ويدأ لمشهد بحركة جائحة ، وثورة تائرة وكأما اصطقت من
عقما امردة المدمرة ، فراحات قلب كل شيء ، وتثر كل شيء
نهج لساكن ، وترؤع الآمن .. وموسيقى المصاحفة للمشهد سريعة

(١) السورة السابعة مكة

الحركة ، لاهثة الإيقاع ، تشترك بإيقاعها السريع في تصوير المشهد ،
وتمثيله في الإحساس .

فالشمس التي ترسل بأشعتها الطبقة المنتشرة ، قد احمر صورها
وطويت أشعتها ، فلا ضوء ولا شعاع واسحوم التماسكة الميرة .
قد انصدم رباطها فتناثرت وحاً بورها فأطمت والحبال الشنة
الحامدة ، قد حمت ورق وسيرت والوق عشار الساكنة المربوطة ،
قد أرسلت وأهملت . والوحوش الباهرة قد هالها الرعب فحشرت ،
وابروت تتجمع من الهوى وهي النشادة في الشعاب ! والبحار المسطحة
السارية قد تجمعت مياهها فامتلات بحريها والنفوس المردة من
أحسادها قد التقت بها فهي أرواح والموءودة نبي قتبت في صمت
ولا محاكمة ولا حريجة ، بعثت لنسأل وتناقش في دسها الذي وثدت
له ، ولا دب لها فليحيب عنها اندس لم يسألوها ولم يحاكموها !
وابصحف المطوية قد نشرت فهي مكشوفة مقروعة واسمها التي كانت
حجاباً للأرض وستاراً للحو قد كشفت وأر بحت فلا ستر ولا حياء
ولججيم قد أمدت بالوقود وتأححت ناسيران ، والحنة قد هبت
وقربت للموعودين . وفي هذا اليوم الذي يقلب فيه كل شيء ، وبتهياً
فيه كل شيء في هذا اليوم العريب العجيب ، الذي يصنع لعرائب
والعجائب في هذا اليوم تعلم كل نفس ما أحصرت معها من أعمال
حيث لا ستر لشيء ولا خفاء

• • •

الانقلاب هو طابع المشهد الذي تعرضه هذه السورة . وهو
تقلاب شامل للأوصاف والأشياء والانقلاب محيف ، والنفس

الإسائية بطبيعتها تستريح للمألوف ، وتثقف من التقنيات . فما باب
هذه الانقلابات .

إن عرصه في هذه الصورة لمروعة تكهيل بإثارة الحوف
والإشفاق ، والتفكير مرة ومرة ، قبل العصيان والإباق !

لهذا يعقب على المشهد المثير بأنه لا يقسم شيء من مشهد الطبيعة
على أن انقرن ولابس عد الله ، أرسلهما رسولا أميناً من ملائكته
إلى نبيه الكريم فلا شك فيها ولا تطير هيؤمن بها من كان يكفر .

﴿ فلا أقسم بالخنس ^(١) ، الخوار الكس ^(٢) ، والليل إذا
عسفس ^(٣) ، والصبح إذا نفّس . إنه لقول رسول كريم ﴿ . إلح .

واقسم به من حس المشاهد التي عرست آفاقاً وشاسق
التصويري واضح ، واقسم عليه هو صميم الدعوة الإسلامية .
يؤكد أنه ليس في حاجة إلى القسم عليه ، ودلت في نسب الظروف
النفسية للإدعان والتصديق ، فلا حاجة إلى قسم ولا تؤكد

سورة الأعلى ^(١)

﴿ فذكر إن نعمت الكرى سيدك من يحشى ، ويتحسها
الأسقى ، الذي يصن النار الكرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيا ﴾

o o o

(١) الخنس : الكواكب التي تحس في بعض دورتها فلا تظهر

(٢) الكس : الحوم التي يحجبها ضوء الشمس ، فكأن في كس أي بب الظلمة

(٣) شند ظلامه

(٤) السورة الثالثة سكتة

في هذا المشهد نوع من العذاب حديد لم يسبق من قبل عرضه وهو عذاب عمل لا يؤدي إلى موت ولا ينقي على حياة وهي صورة محسوسة من جانب ، تنقي طلاء غير محسوس من الجانب الآخر فأما الصورة فهي هذه أسار الكبري ، والمعذبون فيها لا يجدون الموت ولا يذوقون الحياة وأما الطل فهو الحالة النفسية هذا الذي لا يموت فيستريح ، ولا يحيا فيستمتع ، ولكنه يبقى هكذا معلقاً إلى غير مد معلوم !

وتستطيع أن تكتب السطور الصوان في وصف ذلك العذاب ، فلا تلغ ما بلغته هذه الفقرة وحدها : « لا يموت فيها ولا يحيا » فقد درج الناس على أن يروا أنفسهم إما أحياء وإما أموات فتلك صورة جديدة لا موت فيها ولا حياة . وهي تعمق في المشاعر في صمت ورهبة ، لتحرك فيها الإحساس بالحيرة والقلق العاصفين من تلك الحال ، التي لا نهاية لها في الواقع ولا في الحيات

« قد كبر إن سمعت الذكرى » ذكر هذا الذي يكون ، وهذه الصورة من العذاب ذكر مستحد قلوباً « تحشى » ! وستحد قلوباً تتحبب الذكرى تلك قلوب كتبت عليها الشقوة كتبت عليها أن تصلي البار الكبري ، ثم لا تموت فيها ولا تحيا

سورة الفجر^(١)

﴿ كلا إذا دُكَّت الأرض دُكاً دُكاً ، وحاء ربك والميث صفاً صفاً ، وحى يومئذ يحهم يومئذ يتذكر الإنسان ، وأنى له الذكرى ؟ ﴾

(١) السورة العاشرة مكية سبعا سورة الليل ومع إشارة قصيرة لنداء

يقول : يا ليتني قدمت لحياتي ! فيومئذ لا يعذب عباده أحد ،
ولا يوثق وثاقه أحد .

﴿ يا أيها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية ،
فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي ﴾ .

° ° °

ذلك نموذج لمقابلة النفس بين الكافرين والمؤمنين في يوم الروع
العظيم فهي وسط الهول الذي ترسم صورته هذه الفقرات :
« إذا دكت الأرض دكا دكا ، وحاء ربك والملك صفا صفا ،
وحيء يومئذ جهنم ... » تلك الفقرات التي تصور العرض العسكري
تشارك فيه جهنم ثموسفه لمنظمة الإيقاع ، القوية التسعيم ، المسعنة
من الساء الملقطي الشديدا الأسس يوم لا يعذب أحد كعذب الله
ولا يوثق أحد كوثاقه - والوثاق هنا وما فيه من الشدة يتسق مع ذلك
والصف يوم يقف الإنسان نادماً بعد فوات الأوان . يتذكر
وأنى له الذكرى ؟ يقول : يا ليتني قدمت لحياتي وليت ما عادت
تحدي ...

في وسط هذا الهول المروع ، يقف المر آمن
« يا أيها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية ،
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » .

هكذا في عطف ولطف « يا أيها » وفي روحانية ومكرمة
« يا أيها النفس » وفي وسط الروع « المطمئنة » وفي وسط الوفاء والشدة
لاصلاق وارجاء « ارجعي إلى ربك » عما يثبت وسمه من صلة وصدقه
« راضية مرضية » بعد الاستحمام الذي يعمر الحور كله بالرضى

والنعاطف « ودحلي في عبادي » مفرحة بهم مودة معهم « وادحي حسي » الحنة المصافة بي ، والموسيقى حول مشهد مطمئنة متموجة رحية ، في مقابل تلك الموسيقى الشديدة العسكرية .
فالمقابلة هنا بين حالة وحالة ، وبين موسيقى وموسيقى والإيقاع دائماً في القرآن وسيلة من وسائل التصوير ، يتسق مع جو المشهد ويوحى به للتصوير .

سورة العاديات (١)

﴿ والعاديات صُحُفاً ، والمُوريات قُدْحاً . فالمُعيرات صُحُفاً ، فائِزْنَ به نَفْعاً ، فوسَطْنَ به حَمَماً ... إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ، وإيه عني ذلك لشهيدٌ ، وإيه يحُبُّ الحيرَ لشديدٌ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذْ تُعَذِّبُ مَا فِي الْقُورِ ، وَحَصَّلَ مَا فِي الصُّدُورِ . إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ تَوْثِيقٌ لِّخَيْرٍ ﴾ .

في هذا المشهد صورة ، وإطار للصورة !
صورة ليوم يعثر فيه ما في القبور بعثرة شديدة شاملة عبر تخصيص أو تحديد ، ويؤخذ الحادي في الصدور أحداً شديداً شاملاً كذلك عبر عنه بالتخصيص ، أي جمع الحصول ، كُنْ ما خفي فيها وما عملته في ديبها حصاد يجمع ويحصل . بعد ما تنثر القبور وتنعثر .
وإطار للبعثرة وما فيها من إثارة إطار من منظر الجبل العادية الر كصة ، تضح بصوتها اللاهثة ، وتوري الشرر بحوافها القدحة ، حينما تعبر صبحاً وعلى حين عجلة ، فتثير القمع وتعكر حو ، وتتوسط

(١) هذه السورة هي الرابعة عشرة (مكنه) وقد تربت ثلاث سور حائلة من مشهد القيامة

الجمع في اندفاع وقوة . بقسم يهد كله على أن الإنسان حاد
بريه ، مكر لفصله ، شديد الأثرة ، يطوي صدره على الحب
البعيض لذاته ، غير مفكر في اليوم الذي تعثر فيه لقبور ، ويكشف
عما في الصلور

والإطار من جس الصورة ، والمشاهد كلها معثرة معبرة . في
المصاحفة واللعب ، وفيها الشد والدمع ، والموسيقى المصاحفة تلقى مثل
هذا لأثر في الحس ، وفيها تناسق الملحوظ بين الصورة والحرس .

سورة عبس^(١)

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ . يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمُّهُ وَأُيُّهُ ،
وصاحته وسبه . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُعْطيه . وجوه يومئذ
مُسْفَرَةٌ ، ضاحكة مُسْتَشْرَةٌ ووجوه يومئذ عبيها عسرة ، ترهقها
قترَةٌ أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ .

» * «

الصاحفة مقط دو حرس عفيف نافذ . كد يحرق صياح الأذن .
وهو بشق الهواء شقاً . حتى يصل إلى الأذن صاحاً مدحاً .. وهو يمهّد
هذا الحرس المرعج للمشهد الذي يبيّه . مشهد المرء يهر ويسلح من
ألصق الناس به . « من أخيه وأمه وأُيُّه وصاحته وسبه » أولئك الذين
تربطهم به روابط لا تنقسم ، ولكن هذه الصاحفة تسرح الروابط
شرخاً وتشققها شقاً .

(١) السور (٢٤) مكية . وقد مرّ مع سور من في مساهد للمصاحف ، وقد ذكرت بحمد
ذكر في سورة التكاثر (١٠٠) وسورة النجم (٢٣)

والهول في هذا المشهد هول نفسي تحت ، يصرع النفس ويفصلها
عن محيطها ، ويستند بها ستنداً ، فلكل نفسه وشأنه ، ولديه
الكفاية من اهم الحاصل به الذي لا يدع له فضلة من وعي أو جهد :
« لكل امرئ منهم يومئذ شأن يعيه » .

وما بين السطور أكثر بكثير مما تحويه اسطور ، وإطلاق الكامنة
في طياتها ظلال عميقة سحيقة ، مما يوحد أحصر ولا أشمل من هذا
التعبير ، لتصوير الهم الذي يشعل الحس ونصير . « لكل امرئ
منهم يومئذ شأن يعيه » .

ثم تعرض تحت الصورة الأولى صورة ثانية للمقابلة بين الفريقين
في هذا اليوم الحائل الذي يلهم المرء عن أحبه وأمه وأبيه وصاحبه
وسيه يرى في اللوحة وحوها مسفرة مشرقة صاحكة مستشرة ،
أولئك هم الأحبار المرره ويرى نحاسها وجوهاً معبرة مكدره ، عشاها
ظلمة والكدر ، ويدو عليها مصص وهرهاق أولئك هم الكفرة
الفجرة .

سورة ابروح^(١)

﴿ إِنَّ لِلَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ، فَلَهُمْ عَذَابٌ
جَهَنَّمُ ، وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
حُجَّتٌ تَخْرِي مِنْ تَحْتِهَا ، لَأَمْهَارٌ ، ذَلِكَ الصُّورُ الْكَبِيرُ ﴾

(١) السورة (٧٧) مكية سقنتها القدر والشمس ، ولا ذكر فيها المقدمة

جاءت هذه الآيات تعقياً على قصة أصحاب الأندلس وهم جماعة من بحر نأمو، بالمسيحية ، فعذبهم ذو نواس اليهودي الحميمي بأن شق لهم أندلساً وأوقد فيه ناراً ، ثم كهم فيه ، فماتوا بالحريق . على مرأى من الجموع التي جمعها لشهد مصرعهم ، وهم لا يرتدون عن دينهم الذي احاروه .

واستدات السوره بالقسم كشهد جمع عظيم في يوم اقيامة يناسب مشهد الجموع التي شهدت يوم الأندلس :

والسما ذات الروح ، واليوم الموعود ، وشهد ومشهود « هذه التكبير لتحويل واشكثير فيمر يشهد ومن يشهد من تلك الجموع التي ستكون في « اليوم الموعود » أما السما ذات الروح ، فتشارك في نهويل المطر وتصغيم اليوم وتنس روعتها مع روعته وصحاتها مع صحاته

والقسم هذه السما ذات الروح وما يوم الموعود وما فيه من شهد ومشهود يحيى لإثبات أن أصحاب الأندلس قد كتب عليهم لقتل وانتهى الأمر ، كما قتل أولئك المؤمنين : « قتل أصحاب الأندلس »

وما كان المشهد لأول مشهد « حريق » في الأندلس ، كان من التناسق الذي بين المظاهر أن يكون عذاب جهنم فيه « حريق » « فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب لحريق » فهذا تناسق في اللوحات ملحوظ دائماً في تصوير القرآن للمشاهد ولعل من تناسق التقابل مع الحريق ، أن يكون للمؤمنين حيات ، وحيات تحري من تحتها الأسماء « وما الأسماء متقابلة » ولما كان أصحاب الأندلس قد هربوا في الدين قوتهم ، جاء التعقيب على دخول المؤمنين حنة أنه « نور الكبير » وذلك تناسق ملحوظ

سورة القارعة^(١)

﴿قارعة . ما انقارعة ؟ وما أدراك ما القارعة ؟ يوم يكون الناس كالفرأش المبثوث ، وتكون الحبال كالعهن المنروش . فاما من ثقلت موازينه ، فهو في عيشة راضية . واما من خفت موازينه ، فاما هاربة . وما أدراك ما هبة ؟ نار حامية ﴾ .

القارعة القيامة ، وفي هذه التسمية ما يلقي صورة القرع والنطم على حين غملة والمشهد المعروف هذا مشهد هول مادي يسلو الناس في طله صتالاً على كثرتهم ، فهم « كالفرأش المبثوث » مستطارون لذلك مستحقون ، وتبدو لحبال الثبته كالصوف المنفوش تنقدهه الرياح اهوح فمن تناسق العرض أن تسمى لقيامة بالقارعة ، ليشق انطل الذي يلقيه اللهط ، والحرس اندي تشترك فيه حروفه كلها ، مع مظهر الدس كالفرأش المبثوث والحبال كالعهن المنفوش .

وقد أقيمت الكلمة أولاً بلا خبر ولا تمبير ، لتلقي ظلها وحرسها « القارعة » ثم أعفها سؤال لتحويل « ما القارعة ؟ » ثم الإحادة سزوال آخر لتجهيل . « وما أدراك ما القارعة ؟ » وحبيها بلغت النفس أقصى درحات الصبر على اجهل واهول ، كان الخواب أشد هولاً « يوم يكون الناس كاهرش المبثوث ، وتكون الحبال كالعهن المنفوش » وتمشياً مع طريقة « التحسيم » التي تكثر في تصوير القرآن حمل لوز الأعمال المعوية موزين حسنة ، على مشهد من الناس استثنئين

(١) السورة (٣١) مكية سقيا سورة النمل وسورة قمرش ، ولا ذكر فيها لبوم الآخر

كبراش « فأما من ثقلت مواربه فهو في عيشه رصية » وكفى .
 « وأما من خفت مواربه فأمه هوبة » وهب يأخذ في التفصيل وصور
 العذب شد تفصيلاً في القرآن من صور العيم على العموم ، لأن الإطالة
 فيها أوقع في لحس وروع للنفس و « أمه » أي مروه ، ولكي أحسب
 أن في ذكر هذا اللفظ هـ مكتة خاصة يشتهر ثروهم العارض من طاهر
 اللفظ كما ألح نوعاً من ساسق التحيل بين حفة المواربين وارتفاع
 كفها ، وبين هوي لماوى إلى تحصيص فهو تعاليل بين هذه وتلك في
 الارتفاع والانخفاض

ولما كان النعر « فأمه هاوية » عامصاً لم يسق وروده وهذا
 العموص مقصود للتحويل بالمصير المجهول فقد أعقبه سؤال بالتحهين
 « وما أدراك ما هبة ؟ » ثم التفسير « نارٌ حامية » .

وهذا اللون من التعبير المطول عن العذاب ، يتسق مع الأصوب
 المسية ومع الأغراض الدينية . فموقفها يطول عرضه عن طريق إضاعة
 التعبير وتثت إحدى صرق التطويل في العرص لأن مكته أمام
 المحيلة أشد إثارة للحس وترويعاً للنفس ودانت عرص في وعرض
 ديبى يلتقيان . وتثت سمة دائمة في تصوير القرآن

سورة القيامة^(١)

١ ﴿إِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمئذٍ : أَيْنَ الْمَقَرُّ ؟ كَلَّا ! لَا وَرَّ^(٢) ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ

(١) السورة (٣١) مكية

(٢) لا محاب

اسْتَغْفِرَ يُسَاءُ الْإِنْسَانُ يَوْمئِذٍ مِمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ نَصِيرَةٌ
وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴿١﴾

٢ ﴿كَلَّا بَلْ تَحْوِنُ الْعَاحِلَةَ تَتَدَّرُونَ الْآخِرَةَ وَحَوَّةُ يَوْمئِذٍ
أَصْرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وَوَحَوَّةُ يَوْمئِذٍ نَاسِرَةٌ (١) ، بَطْلٌ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا
فَاقْرَأْ (٢)﴾

٣ ﴿كَلَّا ۚ إِذَا بَعَتَ الْبِرَّاقَ ، وَبَيْلَ مَنْ رَفِيَ ۚ وَطَرُّهُ أَنَّهُ
الْفِرَاقُ ، وَالتَّمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۚ بَلْ رُبَّكَ يَوْمئِذٍ الْمَسَاقُ ۚ فَلَا صَدَقَ
وَلَا صَلَّى ، وَبَكَى كَدَّبَ وَبَوَى ، ثُمَّ دَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿١﴾

• •

المشهد الأول هما مشهد هول انقيمة ، شترك فيه الحواس الإنسانية
ولمشاهد الكونية ، والنفس البشرية ، فالنصر تحطفت ، والقمر
يحسف ، والشمس تقرر بالقمر بعد اقتراق ، وقد شرط بضم الكون
على نحو ما مر في سورة التكوين وفي وسط الدعر والانقلاب ،
تساءل الإنسان اندعور اندعوت أين للمهر ٢ ولا ملحا ولا مستقر .
فالمستقر والمرجع إلى الله ، حيث : يُسَاءُ الْإِنْسَانُ يَوْمئِذٍ مِمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ
وحيث لا نقل منه المعادير ، فهو على نفسه بصير

ومما يلاحظ هنا أن كل شيء سريع قصير ، افقر ، وانعوصل .
والإيقاع الموسيقي ، والمشاهد لحاطفة ، وكذلك عملية لحساب

(١) كاذبة

(٢) دهم نصير صار يظهر

﴿يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ عَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ هكذا في سرعه وإحمال وقد تم
استناسق بين هذا كله بالقصر والسرعة ولقد كان هذا كله مقصوداً
كذلك ، فهو إجابة على سؤال من يتحكم بالقيامة ويستطيل آمادها .
«يسأل ثبات يوم القيامة ؟» فجاءه الجواب سريعاً حاصفاً حاسماً ليس
فيه ريب ولا إبطاء ، حتى في إيقاع النظم ، وحرس اللفظ : «تَرَقَّ
حَسَفَ . أَيْنَ الْمَرْءُ ؟ كَلَّا لَا وَرَرَ» ... إلخ .

أما المشهد الثاني فتكملة للمشهد الأول . عترضه أمر للرسول ألا
يعجز لسانه بترديد ما يوحى إليه فلا خوف من أن يساه . «لا تحرك
به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه ...» ويبدو أن هذه
كأت حادثة ملاسة للآيات السالفة ثم خطب لمن يتساءلون عن
القيامة كأنها لا تحيى !

«كَلَّا ! بَلْ تُحَوِّلُ الْمَاحِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ : وَحُورٌ يَوْمَئِذٍ
بَاضِرَةٌ ...» إلخ

ومما يلحظ هنا أن هناك نوعاً من تداعي الصور في الحسن فقد
أسلفت أن أشهد الأول سريع الحظف ، فجاء بعده «لا تحرك به
لسانك لتعجل به» وجاء بعده كذلك تسمية الدنيا باسم «العجلة»
وهو مناسق في الحسن لطيف دقيق ، تنبع فيه نقاط العجلة والسرعة ،
موسيقى العجلة والسرعة ، ومشاهد العجلة والسرعة ، وتتلاحق كلها
في حسن السمع والقراءة لتلك الآيات متتابعات .

ثم نخلص إلى المشهد الثاني وهو تكملة للمشهد الأول ، فنرى
صورة العيم هنا وصورة العذاب كأنهما طلائع نفسية وشعورية .
ترتسم على الوجوه وتندو في نفسيات «وَحُورٌ يَوْمَئِذٍ بَاضِرَةٌ ، إِلَى
رَبِّهَا نَاصِرَةٌ» تلك وجوه أهل العيم «وَوُحُودٌ يَوْمَئِذٍ سَرَّةٌ تُطْرَقُ أَنْ

فُعل بها فاقرة^١ فهي ليست كالحج فحسب ، ولكن يحاسبها لتوحس
 أن تزل بها ذهبة تقصم انقار ، والتوحس شر من وقوع بعدد
 والمشهد الثالث مشهد الاحتصار يصوره هما متصلاً بمشهد
 لمعث ، كأن ليس بينهما فاصل

وقد سار في تصوير المشهد على سبق خاص ذلك أنه عرّض مشهد
 الاحتصار الذي سيأتي كأنه حاصر الآن ، ثم جعل الحياة وهي
 حاصره كأنها من ذكريات الماضي ، يرى هذا الذي لتفت منه
 لساق بالساق من أهول ورعب ، أو من نداء ولأم ، وبلغت روحه
 الترقى ، ونساءل من تساءل : ألا من راق يرقه ويرفع عنه هذه
 حجاب ، وتوقع هو أنه مفارق هذه لذيها وما فيها ليرى صورته هذه ،
 ويستحضر في حياته صورته الأخرى وهو يكذب ويتوّن ، ويذهب
 في أهله بتمطى ، نية وكبراً . وبينما هو يستعرض بصورتين على هذا
 لتقديم والتأخير بها كأنه هناك في لأخرة ، فلا وقت للاستعراض
 فإن إلى ربك يومئذ المساق

واستعراض المشهد على هذا النحو ، كما قبله من تقديم وتأخير
 ومصادفة وسرعة ، أوقع في لحس من لجهة لدبة ، وهو كذلك
 شد حياة للسطر من الجهة الثمينة وهما متوافقتان في تصوير انقار

سورة الهزلة^(١)

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَةٍ ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ

(١) السورة (٣٢) مكية

ماله أحلده كلا ! لَيْسَدَنَّ فِي الحُطْمَةِ وما أدراك ما الحَصْمَةُ ؟ بار
الله الموقدة ، التي تَطَّلِعُ على الأفئدة . بها عليهم مؤصدة . في عمق
مُمددة ﴿ .

« « «

صورة للعداب مادة ونفسه ، وصورة للدر حسية ومعوية وقد
لوحط فيها التقابل بين الحرم . وصرقة الحراء وحر العقاب . صورة
الهمزة الليرة الذي يدأب على امرء بالناس وعلى لمرهم في أنفسهم
وأغراضهم ، وهو يجمع لذل فيضه كميلاً بحلود صورة هذا
المتعالي الساحر المستقوي بالمال تقابلها صورة « المسود » المهمل المتروك
في « الحطمة » التي تحطم كل ما يلقى إليها ، فتحطم كتابه وكرامه
وهي اسر « تطلع » على مؤاده الذي سعت منه امر واملر ، وتكن
فيه السحريه والكرياء والعرو و تكملة لصورة الحطم المسود المهمل ،
هذه اسار مفقطة عنه ، لا سنده من أحد ، ولا يسأل عنه فيها أحد ،
وهو موثق فيها إلى عمود كما توثق الهائم بلا احترام

وفي حرس الألفاظ شدة : « عتده ... كلا ... لَيْسَدَنَّ
تطلع مؤصدة ممددة » وفي معاني العذرات توكيد « لَيْسَدَنَّ في
الحطمة وما أدراك ما الحطمة » بار الله الموقدة ، اني تطلع على
الأفئدة بها عليهم مؤصدة » وفي التصوير شدة « ويل لكل
همزة مرة كلا لَيْسَدَنَّ في الحَصْمَةِ بار الله الموقدة التي تصنع
على الأفئدة » .

وفي ذلك كله لون من الناسق لتصويري تنمو مع فعده « همزة
الليرة » الذي « يحسب أن ماله أحلده » .

سورة المرسلات (١)

﴿ والمرسلات عرفاً ، فالعصيات عصفاً ، والناشرات نشرٌ ،
فالفارقات فرقاً ، فملقيات ذكرراً : عذراً أو نذراً . إنَّ ما توعدون
لواقع ﴾

﴿ وإذا السحوم طُمست ، وإذا السماء فُرِخت ، وإذا الحد
سُيئت ، وإذا الرُّسل أُقْتب ، لأيَّ يومٍ أُحِلَّت ؟ ليومِ الفصل ، وما
أدراك ما يومُ الفصل ؟ ويلٌ يومئذٍ للمكذِّبين !
﴿ ألمْ هلك الأولين ، ثمَّ نُنشِئهم لآخرين ؟ كذلك نعملُ
للمُحْرمين . ويلٌ يومئذٍ للمكذِّبين ! ﴾

﴿ ألمْ خلَقْكم من ماءٍ مهينٍ ، فجعلناه في قررٍ مكينٍ ، بي قدرٍ
معلومٍ ، فقدرنا فيهم المقادير ؟ ويلٌ يومئذٍ للمكذِّبين . ﴾

﴿ ألمْ نجعل الأرض كفاً (٢) ، أحياء وأمواتاً ؟ وجعلنا فيها رواسيَ
شامحاتٍ ، وأنسبناكم ماءً فراتاً ؟ ويلٌ يومئذٍ للمكذِّبين ﴾
﴿ اصْبِقُوا ابْنِ مَا كُنتُمْ بِهِ تَكْدُّونَ ، اصْبِقُوا إِلَى طَلِّ دِي ثَلَاثِ
شُعَبٍ ، لَا طَلِيلَ وَلَا يُعْيِي مِنَ اللَّهَبِ ، إِيَّهَا تَرْمِي شَرِّرٌ كَالْفَصْرِ ،
كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صَفَرٌ . ويلٌ يومئذٍ للمكذِّبين ! ﴾

(١) السورة (٣٣) مكية إلا به

(٢) وعاء يصر الخبيث

﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ، وَيَلُومُنَّ الْمُكَذِّبِينَ ! ﴾ .

﴿ هَذَا يَوْمٌ نَفُصِّلُ حِمَمَاتِكُمْ وَالْأَوْبِينَ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ، وَيَلُومُنَّ لِلْمُكَذِّبِينَ . ﴾

﴿ يَا الْمُتَّبِعِينَ فِي ظُلَالٍ وَعَيُونَ ، وَفَوَاكِهَ مُمَايَشِبُونَ ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَيْئًا تَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، إِنَّا كَذَبْتُكَ بِخُرِّيِّ الْمَحْسِنِينَ ، وَيَلُومُنَّ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾

﴿ كُنُوا ، وَتَكْتُمُوا قَلِيلًا بِكُمْ مُخْرَمُونَ ، وَيَلُومُنَّ لِلْمُكَذِّبِينَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ، وَيَلُومُنَّ لِلْمُكَذِّبِينَ هَئِيَّ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ! ﴾

هذه السورة سني خاص مع سورة الرحمن وسورة القمر وسنحيتار . فيها اردواح كمن من عدم الحاضر والعالم الآخر ، واستعراض مردوح بين صور الدنيا وصور الآخرة ، في معرض البرهان على اسعث من يكذب بهذا اليوم ، وأمامه في الدنيا شوهد تشير إلى هذا ليوم الموعود ، ولديه أدت على قدره الحائق وعمته ، ولكن يكفر بها ويكذب . وفي هذا المسق تأتي صور الآخرة برهاناً وحدياً للتأثير في النحس والضمير . كما تعرض الآيات الحاضرة في الدنيا برهاناً وحدياً على وقوع الآخرة فهناك ، دوح في العرض ، لا يستطيع معه فصل هذه الصور عن تلك ، لأن هذه وتلك مسوقتان في معرض واحد لعرض واحد هو الإقناع الرشداني .

وبدأ سورة بقسم « والمرسلات عرفاً » إلح ، وهي « أشياء » تذكر بأوصافها دون ما هي . هي « أشياء » عامة ، مرسلات للتعريف عامة ، عاصمات عصفاً بأوصاف كذلك عامة ، باشرات آثارها شراً ، فارقات بين الأوصاف والأشياء ، ملهبات ذكرراً للأعداد أو للإندار ما هذه « المرسلات » ؟ العموص هـ والتعميم مقصودان للتحويل في كتب التفسير ، بها ضوائف من الملائكة ، أو هي آيات القرآن ، أو هي لأرواح الشريرة

وأحسن أنها حاء هـ هكذا عامصة تنقى هكذا عامصة . مجهولة الكنه ومصدر ، ملحوظة الوصف والأثر ينلهاها المحس شه مسحور ، فيحس هـ قوى حفة الدوات ملحوظة الأثر وأثرها سبب مما بحر هـ ، وهو لدلالة على قوة المجهولة التي تملك يوم الموعود .

أقسم هذه « إن ما توعدون لواقع » ثم بدأ الاستعراض . فإد مشاهد طبيعه في انقلاب ، وأحرام اسماء في اضطراب لحوم مطموسة لا نور فيها ولا صياء ، ولسماء مصدوعة فيها شقوق ومروح ، والحنان مسوفة لا تملك لها ولا قوام وانرسل حاء موعدها لحصور الاستعراض والشهادة يوم الحساب وقد كان موعدها هو ذلك اليوم . يوم الفصل وإيه ليوم هائل عظيم و « ويل يومئذ للمكذبين » فإذا انتهى المشهد لأول من مشاهد القيامة ، وحتم بثابت الويل فيه للمكذبين بدأ مشهد الدنيا ، فيه هو لآخر دليل على نقوة الكبري ، ومقدره على تشكيل المكذبين حتى قل يوم ايقين « أم هيلك الأولين ، ثم تبعهم الآخرين ؟ ! كان ذلك . » كذلك فعل بالمحرمين « في الدنيا وفي الآخرة » ويل يومئذ للمكذبين «

ثم يبدأ مشهد ثالث هو سمر ص صور الحلق مبداء ، والذي خلق يبعث ، والذي أنشأ يرجع ، والذي جعل كل مرحلة من الحلق نظام وحكمة لا يدع الناس هملاً « أم تخلقكم من ماء مهين ، فجعله في فرد مكين إن قدر معلوم . فقدرنا نعم القادرون » « بلى » كان ذلك إذن « ويل يومئذ للمكذبين »

ثم يبدأ مشهد رابع هو مشهد الأرض لي تصم الجميع كالوعاء ، تصم الأحياء والأموات ، وفيها الرواسي الشامحات والماء العرايت أليس في هذا كله ما يفتح القلوب للإيمان « « ويل يومئذ للمكذبين »

فإذا انتهى سمر ص هذه المشاهد التي تم في ليد بن سمعهم وبصرهم مشهد الموت والفساد للأحليل السالفة وهو حادث مصور . ومشهد الحياة تشأ من ماء مهين ، ونسب نظام مقدور ، ومشهد الأرض التي تعي الأحياء والأموات وفيها الحد الراسحة وليه البحرية ، على أعين السطرين . إذا انتهى هذا الاستعراض في الدنيا نقلهم إلى مسرح الآخرة نقلاً في تهكم وتأنيب .

« اطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون » ! فهذا هو أمامكم تشبهونه وتلث طريقه لقرآن في استحصار ايوم الآخر كأنه اليوم الحاضر « اطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب » به ظل الدخان جهنم « لا تطل ولا يعي من الله » إنما هو ظل حائق لا ظل فيه وإما تسميته « لصل » هو امتداد للتهكم في قوله « اطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون » وهو تمية ما يكاد تطوف بحبهم حتى يصحوا بها فهو ظل ولا تطل « اطلقوا » « به » وإياكم تتعربون فلا حاجة إلى ذكر اسمها !

« بها ترمي شرر » كنه اشحر لعليط هيا للهول ! بشارة قصرة^(١)
 فما مال الموقدة كلها « فهما تهوين بالصحامة ، وقد أزع التشبه الأول
 تشبيه آخر يؤكد لصحامة أيضاً « كأنها حمالة صفر » أي حاب
 غليظة من حبال صفر وفي اللحظة التي يستغرق فيها الحس هذه
 الأهوال ، يأتي التفريع والتحدير « ويل يومئذ للمكذبين »
 ثم يأخذ في استكمال المشهد بعد عرض أهول المادي في صورته
 جهنم تعرض أهول النفسي ، وقد استغرق الحس في ذلك هول ،
 فقد إلى صميم النفس :

« هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون » فالهول هه كامن
 في الصمت الرهيب ، والحشوع مهيب ، الذي لا تتحمله كلام ،
 ولا يقطعه اعتذار ، فقد فاق الأول ، و« ويل يومئذ للمكذبين »
 « هذا يوم الفصل » لا يوم الاعتذار وقد « جمعناكم ولأولين »
 فهاتوا كيدكم إن كان لكم كيد ، وأظهروا مقدرتكم إن كنت
 لكم قدرة ولا شيء إلا الصمت المطلق على هذه التأيب الأليم
 فإذا انتهى مشهد التأيب أمام الجموع الحاشدة ، بدأت عملية
 « اهزأ » فأما المتفنون فهم « في طلال » صلال حقيقية في هذه المرة .
 لا طلل دي ثلاث شعب لا طلل ولا يعني من النهب . وفي « عيون »

(١) بعض المفسرين يفسر النص بالنصر المبني ، والحمالة بالحملة نحوبة ولكن الذي
 نتابع التناسق الفني في صدر النزل حمه بتفسيرنا هذا والتناسق بين النار الموقدة
 وأشجرات العلاظ مدحوظ فهي وفود والتصحيح به لا يكون شر الصغير في حجم
 الشجر الغليظ الذي تأكله النار ثم إن التناسق بين عود الشجرة ولحم الغليظ كدبت
 مدحوظ في الشكل العام وفي مجاورة الحمل للوقود والملاحظ راحة في صور الفرس
 يكون « وحدة الرسم » مسته الإجراء مددعه الاشكال في حجاب « يرجع فصل
 التناسق في كتابه التصوير الفني)

ماء لا في شواطئ دار «وهواكه مما يشبهون» وهم ينفقون فوق هذا
تكريماً معمولاً على مرأى من الخموغ ومسمع «كلوا وشرّبوا هيئاً
كما كنتم تعملون إنا كذلك نحري «حسبي» ويا لطف هذا التكريم
من العلي العظيم . وأما المكذبون فويل يومئذ للمكذّبين ! أيها
المحرمون . كلوا في هذه الدنيا وتمتعوا قليلاً إنكم محرمون ، وس
يكون لكم مثل هذا الذي شاهدتموه من تكريم المتقين . وهذا
تحتلظ النيب بالآخرة في فقرتين متواليتين ، وفي مشهدين معروضين
كأيهما حاصرون ، وإن كان أحدهما بعد زمان ، فيها الحطاب
موحه للمتقين في الآخرة إذا هو موجه للمكذبين في الدنيا ، وكأما
يقال لهم اشهدوا الفارق بين الموقفين الشاخصين في هذه اللحظة
الحاصرة ثم يتحدث عن المكذبين بأهم «إذا قيل لهم اركعوا
لا يركعون» مع أنهم يشاهدون هذا الاستعراض ، ويسمعون ما يقال
للمتقين وما يقال للمكذبين ! «فأي حديث بعده يؤمنون»^١
إن الاستعراض على هذا النحو عجيب ولكنه أوقع في الحسن
وأدخل إلى الفهم فالسامع والقارئ إنما يعيشان في هذا الاستعراض ،
ويريان مشاهدته تتحرك ، ومناظره تتجسم ، حيث تلتقي الأركان
الثلاثة ، وتتلاشى في اللحظة المطورة

سورة ق^(١)

﴿وَحَاءُ سَكْرَةٌ الْمَوْتُ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ .
وُفِّحَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ وَحَاءُ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَاقٌ

(١) السورة (٣٤) مكية الآية

وشهيد لقد كنت في عملة من هذا . فكشف عك عطاءك فصرك
اليوم حديد^(١) وقال قرينه هذا ما لدي عند ألفيا في جهنم كل
كفار عبيد ، متاع لبحير معتد مريب ، اندي جعل مع الله إها
آخر ، فأبقاه في العذاب الشديد . قال قرينه . ربا ما أظعته ولكن
كان في صلال بعيد قال . لا تحتصموا لدي وقد قدمت إليكم
بالوعيد ، ما تبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد . يوم نقول لجهنم
هل امتلأت ؟ وتقول هل من مزيد ؟ وأرسلت الحة لمتقين غير
بعيد هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ ، من حثي الرحمن بالعيب
وجاء بقلب مريب ادحوها بسلام ذلك يوم الخلود ، لهم ما
يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴿

* * *

بدا المشهد في الدنيا وينتهي في الآخرة ، فالعالم المحاصر والعالم
الآخر ليسا منفصلين ، وانساق بينهما ليست بعيدة على كل حال
وسورة « ق » كلها تستعرض قصة البعث التي يكذب بها الكافرون
تكذبا شديدا « بل عحوا أن جاءهم مدبر منهم » فقال لكافرون
هذا شيء عحيب ! أنذا متا وكنا ترابا ؟ ذلك رجع بعيد
وفي صدد الرد على هذا التكذيب أخذ يستعرض أمامهم الصور
المشهودة في هذه الحياة الدنيا « أفلم يبصروا إلى السماء فوقهم كيف
نيناها وريتها وما هم من فروع . والأرض مددناها وألقا فيها

(١) ناهد

رواسي وأنت فيها من كل روح هيج ، تنصرةً وذكرى لكل عبد
 مسبب ، وبرئاً من السماء ماءً مباركاً فأنتا به حاتم وحم الحصيد ،
 والمحلل بأسقامها طبع نصد ، ورق المعاد ، وأحييا به بلدة ميتة
 كذلك الخروج »

وهكذا حين انتهى من ذلك الاستعراض للحلق والإسباب في
 لأرض وإحياء اللدائيب ناماء البار من السماء وكلها صور مشهودة
 يمر بها الناس عافيين عن دلالتها العميقة الناطقة بالقدره على الإحياء
 والإجراح قال : « كذلك الخروج »

ثم أخذ يستعرض بعد هذا ناريج المكدين قلمهم عاد وفرعون
 وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع ويدكر في اختصار
 مصارعهم وهي كذلك شواهد القدره على الإمامة والإهلاك ،
 بعدما تقدمت شواهد القدره على الإحياء والإجراح

حتى إذا انتهى من استعراض الموت والحياة جعل يستعرض
 مراقبة الخالق لمن خلق وهم أحياء ، ثمهداً لحسابهم بعد الممات
 « ولقد خلقنا الإنسان وعلمنا ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من
 حبل الوريد » إذا يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما
 يفتظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

فلم يترك الإنسان إذن سدى ، وهذه أعماقه كلها تحصى ،
 يحصيا عليه رقيب يتلقيان عنه كل ما يصدر منه ويسجلان وذلك
 تحسب للاحصاء والمراقبة على طريقة لقرآن في تحسب الميزان وغير
 الميزان وهو يتمشى مع طريقة التصوير الذي يلمس الحس ويشعل
 الخيال .

وهما يبدؤا في عرض صورة اليوم الآخر تاية مباشرة لصورة الموت
وسكراته ، وكأني الصورتان حاصرتان « وجاءت سكرة الموت
بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وفتح في الصور ذلك يوم
الوعيد » .. إلخ

فتنلق بطارء إلى لساخة لشهد كل « نفس » ومعها سائق وشهيد
(كل نفس) فالنفس هنا هي التي تحاسب ، وهي التي تحصى عليها
الأعمال وأبواب والحركات والخلجات لقد جاءت ومعها هذان
الحارسان . وهذا هو الخطاب يتوجه بالتكيب والتأنيب . « لقد كنت
في عمة من هذا فكشفا عث عطاءك . فصرخ يوم حديد » . قد
بصر ما كان محجوراً بالعنة والتكيب ثم يتقدم القريب وهم
من السور الأخرى في القرآن أنه شيطان يرافق الضال . وعليه في
الضلال ، وإن كان في يوم القيامة يتبرأ منه ، وقد يشهد عليه ! - يتقدم
هذا القريب ليقول إيا ما عده من حمار هذا المخبوق مهياً حاصر
« وقال قريبه هذا ما لدي عتيد » عندئذ يصدر الأمر الذي لا يرد :
« ألقوا في جهنم كل كفار عبيد ، ماع بلحير معتد مريب إسي جعل
مع الله إله آخر . فألقياه في العذاب الشديد » ! ثم ها هو ذا قريبه
يتقدم ليرى نفسه من نهمة إعرائه . وقال قريبه رب ما طعيت .
ولكن كان في ضلال بعيد » .

ولكن الأمر العالي يعقب سريعاً بالترام الصمت ، ها هذا يوم
الحصام والحدال قال لا تختصموا لدي ، وقد قدمت إنيكم بالوعيد
ما يبدل القول لدي » فلا تدل ولا تعديل فيما حوته السجلات
« وما أنا بظلام للعبيد » إني بحري كل أمرئ بما أسلمت يده
ولقد كان لمشهد إلى هنا مشهد عرض وحور ينتهي بإبقاء المحرم

في النار فلتعرض كدبت جهنم ، ولشخص مخلوقة حية نشرت هي
الأخرى في الحوار ، وتدل على هولاء بفظها . ليم التماسق بين
حريبات المشهد وفراده في طريقة لاستعراض ، فمادام الحوار هنا هو
طريقة العرض ، فليكن حوار مع جهنم المعروضة مع الجميع : « يوم
نقون لهم هل امتلأت ؟ وتقول هل من مزيد ؟ »

وهذا السؤال والحوار يفتح المجال للخيال لتصوير المشهد من
وراء الحوار ، وتحيل الصورة من وراء الظلال . هذه هي الأحسام نقذف
إلى جهنم وقد فتحت أبوابها ، حتى إذا نوى القذف وتكدس الوقود ،
قيل لها هل امتلأت ؟ وقد قالت ما يحقق لها الامتلاء . ولكي قد
التهمت ما ألقى إليها لها ما ، وإنما لتتحرق وتتلطف إلى وقود حديد ،
وتقول : « هل من مزيد ؟ »

وحينما تشهد الجموع هذا المنظر الرهيب ، يكون على الجانب
الآخر ، الحلة مصرية مهابة لمتقير ، وهم يلقون التكريم الأدبي
بحسب اسعيم الحسي ، فيسمعون من مدلاً الأعلى : « هذا ما توعدون
لكل أبواب حفيظ ، من حشي الرحمن ناعب وحاء نلقب منيب
ادخلوه سلام ، ذلك يوم الحلول » ثم يتوجه بالقول إلى الجموع
ريادة في التكريم ولتويه براضى عن هؤلاء المحفوظين . « لهم
ما يشاءون فيها ولدينا مزيد » !

« . . . »

هذا مشهد تمثيلي سيمائي فيه الصورة وفيه الحركة والمشاهد
تتناوع محسوسة محسمة ، والحوار نزدها حياة وحرارة وتمد الحوار
إلى جهنم ، ليم التماسق في الإحراج ، من جميع الأصناف
وإنه لمشهد مؤثر في الوجدان ، مثير للمشاعر والخيال ، يؤدي

غرضه الديني في سر ، ثم يطلو إلى عالم الصر الطليق ، لا تحده قيود العرص المحدود ، فلهه الحمل الهى تستطيع أن تحاصب الوحداان الدينى ، ولا تعارض بينهما فى تصوير القرآن

سورة الطارق^(١)

﴿والسمااء واطارق وما أدراك ما انطارق ؟ اللحم الثاقف ان كل نفس لما عليها حايط فليطر الإنسان ميم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصنب والترائب إبه على رجبه لقادر ، يوم تلى السرائر ، فما له من قوة ولا ناصر . والسمااء دات الرخع ، والأرض دات الصنع ، إبه لقول فصل وما هو بالهزل ﴾

صورة اليوم الآخر هـ صورة معوية ، تكشف لسرر الخطوة ، حيث لا تعصم الإنسان قوة . ولا يكون له يومها نصير فصره مكشوف وقوته ضعيفة ، وناصره معدوم وللموقف على هـ اوضع طله المؤثر فى النفوس .

ولكن فى الصورة هـ تناسق مع الإصر ، ومع جميع شعوص المشهد المشوثة حول الصورة الأساسية ، لتبررها فى حوها المسب بدا سورة بالقسم القسم باسماء وبالصدوق ، ولطارق مجهول يسأل عنه بالتعظيم والتحهيل "وما أدراك ما الطارق ؟" ثم يحاب بأنه "لحم نافع" الذى يطر فى الظلام ، وينقب الظلام بوره وتعلعل

(١) النورة (٣٦) مكة - سبها سورة - الله - و سـ هـا شاهد للشامة

فيه شعاعه . وعلام يقسم هذا اللحم الذي شق بظلام ريمه فيه
بالشعاع " يقسم على ان كل " نص " عليها حافظ . والنفس مستورة
حاجة . ولكن هذا لحافظ بعد إليها ويسجل عليها سر نرها وما يجري
فيها . ويكشفها كشف " يوم من لسرائر " . هذا أشبه بالطارق " اللحم
لثاقب " . وما أشد انساق الصورة مع الإضر في هذا الحجاب

ثم عصي في استعراض الحواب الأخرى . « فليصر الإنسان م
خلق حلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » وهذا
ماء لدافق يشق من ظلام مجهول في كيان الإنسان كما يشق شعاع
في كبد لظلام والذي يدفع به إلى الأرحام . قادر على جمع " يوم
نلى لسرائر " . وهذا تناسق آخر في الهيئة وحركة بين الدفع والرجع
على نحو من الأنحاء .. فلمص في الاستعراض
إنما نجد بعد قسم آخر " واسماء ذات الرجع . والأرض ذات
لصدع . إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل » .

والرجع المطر المهمر . والصدع الشق في الأرض ينفتح عن
السات . وهذا ألواناً من التناسق الكامل مع المشهد الماصيه جميعاً
فالمطر انبارل . والصدع المشقوق . هما في الهيئة وحركة .
كاللحم لثاق يشق بظلام . ويصدعه من جهة . ومن جهة أخرى
كالماء لدافق يخرج من بين الصلب والترائب . وكل رجع لمصدوعة
يشق عن الويد كما تشق الأرض بالسات وتنفتح كلاهما عن الحياة
الوليدة الحديدية بقدرة حفية مكنونة
ثم تناسق آخر في سمة أخرى .

" ثم انه من قوه ولا ناصر " . والسماء ذات الرجح والأرض ذات
لصدع " وفي ارجح والصدع عصف وشو في المعنى أولاً ، ثم في

الإيقاع الموسيقي الذي يلقي في الحس معنى القوة ولحسم ثابته فهو
تناسق تام بين هي القوة والناصر عن الإنسان ، وإثبات القوة ولحسم
لخالق الأرض والسماء

وهكذا يتم التناسق بين الصورة والإطار من شتى الجوانب ، وبين
مفردات المشهد ووحدانية من كل جانب ، ونحيء الموسيقى المصاحبة
للمشهد بالإيقاع الذي يتمشى مع الحق العام ، ودلت كله في سورة
قصيرة لا تتجاوز بضعة أسطر وعشر فقرات .

سورة القمر^(١)

١ ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُرَدِّخٌ ، حكمةً بالغةً فما
تَعْرِشْدُرْ قَتُولٌ عَهِم يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَكُرْ ، حُشْعًا أُنْصَارُهُم
يَمْرَحُونَ مِنَ الْأَحْدَثِ كَأَنَّهُمْ حِرَادٌ مُسْتَشِيرٌ ، مُهْطِعِينَ بِالدَّاعِ ، يَقُولُ
الكَافِرُونَ : هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾

٢ ﴿ سَيَهْرُمُ الْحَمْعُ وَيُولُونَ الدَّرْدَ ، بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ
وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمَرٌ ، إِنَّ لِمَحْرَمِينَ فِي صِلَالٍ وَشَفَرٍ ، يَوْمَ يُسْحَبُونَ
فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُوقُوا مِنْ سَفَرٍ ، إِنْ كُلَّ شَيْءٍ حَقَّقَاهُ
شَدْرٌ وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَتٍ نَلْصِقُ ، إِنْ امْتَقِنَ فِي حَاتٍ
وَنَهَرٍ ، فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عَدَمُ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ .

* * *

(١) السورة (٣٧) مكية إلا ثلاث آيات

في هذه السورة مشهذان من مشاهد القيامة تربط بينهما رابطة

لعرض العام الذي تعالجه هذه السورة كلها

محضر أمام جماعة يكذبون بعدما وقعت بين أيديهم الأحداث

الدالة على القدرة ، « واشق القمر » وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر

مستمر » (ونحن لا ندري كيف اشق القمر ومتى . ولكن التاريخ لا

يحفظ ، اعتراضاً من الكفر على ذكر هذه الواقعة التي يحسم بها

القرآن ، فليس لنا إلا أن نعلم أن حدثاً فلكياً ما ، وُصف بهذا الوصف ،

وحُوت به القوم هذه المحاجة . فلم يكن هم عليه اعتراض) ثم هم

يكذبون بعد ما أُنقبت إليهم أساء المكذبين قلوبهم وما وقع عليهم من

العذاب الماحق في هذه الدنيا « ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُرذخ »

وقص عليهم في هذه السورة أساء قوم روح ، وعدد ، ونمود ، وقوم

نوط ، وآب فرعون . وكلهم صب عليهم العذاب وأصابهم لكال

وبين كل قصة وأخرى كال يردد « فكيف كان عذابني ونُذِر »

للتهمك والاستنكار ، على النسق الذي اتبع من قبل في سورة المرسلات

في ترديد قوله : « ويل يومئذ للمكذبين » للتقريب والتحذير

ثم عرّض المشهد الأول بعد ذكر اشقاق القمر . كما عرض

المشهد الثاني بعد ذكر قصص المكذبين ، وسؤاها . « كُفَّاركم حير

من أولئكم ؟ أم لكم براءة في إرب » أم يقولون نحن جميعٌ مُنصر »

وعقب بقوله « سيُهرم اجمعُ ويولكون الذر » . إلح

والمشهد الأول مشهد مختصر سريع ، يتناسق مع « اقتربت

الساعة واشق القمر » ومع الإيقاع الموسيقي في السورة كلها ، وهو

متقارب سريع ، وهو مع سرعته شاحص متحرك ، مكتمل السمات

وحركات « هذه جموع حارحة من الأحداث في لحظة واحدة

كأنها حراد منتشر (ومشهد الحراد المعهود يساعد على تصور اسطر
المعروض) وهذه الجموع تسرع في سيرها نحو الداعي ، دون أن تعرف
م يدعوها وإلام يدعوها فهو يدعو « إلى شيء نُكِّر » لا تدريه . « حشعا
أبصارهم » وهذا يكمل الصورة وتمجها اسمة الأخيرة . وفي أثناء
هذا اتجمع والحشوع والإسراع « يقول الكافرون هذا يوم عسر »
فإذا بقي من المشهد لم شحص بعد هذه الفقرات القصار ^٩ إن السامعين
ليتحيلون الآن ذلك اليوم نُكِّر ، فإذا هو حشد من الصور صورهم
هم وإهم من المعوتين يتحنن فيهم لهُول الحي . الذي يؤثر في
همس كل حي ! »

والمشهد لثاني برسم صورة من أعداء الحسي المعوي ولعيم
الحسي معوي أيضاً ، تأتي بعد صورة مشهد الأول تامة في
ترتيب الوقوع كذلك .

فهي بحر أولاء في يوم الساعة « والساعة أدهى وأمر » من كل
أعداء رأوه في الدنيا ، أو جاءهم به الأعداء عمن كذبوا فأهلكوا
بالطوفان ، وبالصبغة ، وبأريج انصرصر ، وبالصدقة ، وبالإعراق
به أدهى وأمر من ذلك كله . فالحرمون في ضلال وسُعر في
ضلال بعدد انعقود واسفوس ، وفي سُعر يكوي لخلود والاند
وها هم أولاء يسحبون في أنار على وجوههم في عصف وحفر ،
ويرادون عدائاً بالإبلام النفسي . « ذوقوا مس سهر » ذوقوا مس لا
يخلق الناس ويركهم سدى « إن كل شيء حقيقه بقدر » ولحكمة

(١) من كتاب « الصور التي في محال »

واحد "ومرنا إلا واحدة كلمح بالبصر" كما انشق القمر ،
 وكما أحد فرعون أحد عزيز مقتدر
 ويبيع هؤلاء بسحون في أسر سحياً ، ويقولون فيها بحقيراً وهوناً .
 ويعبون فيها حيرة وصلالاً . يد المؤمنون هادئون أعمى " في
 حجاب وسر " مطمئنون مكرمون " في مقعد صدق عند مليك مقتدر ،
 فهل من مُذكر ؟ وأمامه تلك المشاهد والصور ؟

سورة ص (١)

﴿ وَإِلَ لِلْمُتَّقِينَ لَخُسْنٌ مَّآبٍ ۖ حِجَابٌ عَدِيدٌ مِفْتَاحُهُ هُمُ الْأَبْوَابُ ،
 مُتَكِنِينَ فِيهَا ، يَدْعُونَ فِيهَا بِكَاهِنَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ . وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ
 الطَّرْفِ أَثَرَاتٌ ۖ هَذَا مَا تَوَعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۚ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ
 عَادٍ ﴾

﴿ هَذَا وَإِلَ لِلطَّاعِينَ لَشَرٌّ مَّآبٍ ۖ حَبِطَ بِصَلَاتِهِمْ فَنَسُوا الْإِهَادَ
 هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٌ وَعَسَاقٍ . وَآخِرُ مِنْ سَكَبِهِ أَرْوَاحٌ ﴾
 ﴿ هَذَا مَوْحٌ مُنْجِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَأَ لَهُمْ بِهِمْ صَالُوا النَّارَ ۚ
 قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَأَ لَكُمْ ، أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَمْتُمْوه لَنَا ، فَنُشْ أَقْرَأُ ۚ قَالُوا
 رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهْ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ ! ﴾
 ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۚ ﴾

(١) السورة (٣٨) مكة

أَتُخَدِّمُهُمْ بِسِحْرٍ ۖ أَمْ رَأَيْتَ عِندَهُمُ الْأَنْصَارُ ۚ ﴿٩﴾
 ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾

يبدأ المشهد ها بمطربين متمايزين تمام التقابل في المجموع وفي
 لاجزء . وفي لسميت والمثبات مطر "المقيين" هم "حسن مات"
 ومطر "الطاعين" هم "شر مات" فأما الأولون فلهم حبات مفتحة
 الأبواب . وهم في رحة الإتياء ومتعة لطعام وإشراب ، وهم كذلك
 متعة شباب في الحوريات وكلهم ترب شوب . ومن مع شد
 قاصرات الطرف لا يتطعنن إذ إعجاب لآخري من ارحال تطلع
 الشواب ! .. وهو متاع دائم لا يمد فهو أبداً متحدد

وأما لآخرون فلهم مهد وسكة لا راحة فيه فهو جهنم "فنس
 انهدا" ! ولهم فيه شراب ساحر وصعاب مقيء . إنه ما يعسق ويسبل
 من أهل النار ! ولهم اصناف خرى من شكل هذا العذاب . يعر
 عنها بأنها «أزواح» في معنى مصاعمة وفي هذه الكلمة مشاكلة
 لفصية مع قاصرات الطرف روح أهل الجنة المجرد السحرية والتهكم
 الملحوظين في الفصل . وإن لم يكن معناه معنى الأزواح ! وكذلك
 بلعج سحرية في تسمية جهنم بالمهاد في مقابل مهاد المؤمنين بالحبات !
 ثم يتم المشهد بمصر ثابت . يحييه احوار ، ويشخصه للأبطال

فها نحن ولأء أمام جماعة من أهل جهنم ، وقد كانت في الدنيا
 متوادة متحابة ، فهي اليوم متناكرة متنازرة . كان بعضهم يكي لبعض
 في الصلال ، وكان بعضهم يتعالى على المؤمنين ، ويرأ من دعواهم
 في المعجم .

ها هم أولاء يفتحون النار فوحاً بعد ووح هه هه فوح الأول
يقبل إليه ١ اقتحام الفوح الثاني « هه فوح مفتحم معكم » فاد
يكون الحروب ٢ يكون « لا مرحباً بهم » به صلبوا ٣
عهل بسكت المشبهون ٤ كلا ١ معها هم ولأء يردون « ولوا ٢
أنتم لا مرحباً بكم أنتم قد تمتموه ل ٣ ههس القرار » وإذا دعوة
حاصمه « فبنوا رب من قدم ل ٤ هه فرده عدائاً صيغماً في ل ٥
ثم ماذا ؟ ثم ها هم أولاء يقتقدون المؤمنين ، الذين كانوا
يتعالون عنهم في الدنيا ويطنون بهم شراً ويسحرون من مديهم في
السهم ، فلا يروهم معهم مفتحمين
« ولوا ما ل لا يرى رجلاً كما بعدهم من الأشرار المحصين
سحرياً » ثم رغب عنهم الأنصار ؟
كلا لم ترح أيها نفوم ، فلو أنتم بأصداكم إلى حبيب السهم
لوجدتموه هالكا متكئاً !
« إن ذلك لحق نخاص أهل النار »
وإن شهد الآن هذا انتحاص كما لو كان حاصراً في أعيان
وإن كل نفس آدمية لحس في حبيبها وقع هه شهد وتقيبه
وتحادر - لو يقع الحذر أن تقع فيه !

سورة الأعراف^(١)

﴿يَا سَيِّدِ آدَمُ إِنَّمَا يَأْتِيْكُمْ رَّسُلُكُمْ بِقَصَصٍ عَلَيَكُمْ آيَاتٍ
مِّنْ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَاللَّذِينَ كَفَرُوا

(۱) السوره (۳۹) مکیه لا سبع آیات

تَبَيَّنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾
 أَنْظِمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَئِكَ لِيَاهِمُ نَصُفُهُمْ
 مِنَ الْكِتَابِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا حُيِّتُمْ بِهِمْ رُسُلُهُمْ يوقُّونَهُمْ قَالُوا ۚ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ قَالُوا ۚ صَبُّوا عَلَيْنَا ۚ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
 كَافِرِينَ قَالَ ۚ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قُلُوبِكُمْ مِنَ الْخَسْفِ وَالْإِسْ
 فِي النَّارِ ۚ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا
 قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونا فَأَنَّهُمْ عَذَابٌ صَعْفَاءٌ مِنَ السَّارِ
 قَالَ ۚ لِكُلِّ صِغَفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا
 كَانَ يَكُنْ عَلَيْهِمْ مِنَ فَضْلِ ۚ فذوقوا العذابَ عما كنتم تكسبون ﴿٢٨﴾

﴿٢٧﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحْ لَهُمْ أَبْوَابُ
 السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ الْخَمَلُ فِي سَمِّ الْحِيَاطِ ۚ وَكَذَلِكَ
 يُخْرِجُ الْمُحْرَمِينَ هُمْ مِنْ حَتَمٍ مَهْدٍ وَمِنْ مَوْقِعِهِمْ عَوَاشٍ ۚ وَكَذَلِكَ
 يُخْرِجُ الظَّالِمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا
 وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَبَرَّعْنَا مَا فِي
 صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ يُخْرِجُ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ ۚ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 هَدَانَا هَذَا ۚ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَايَ لَوْلَا أَنَّ هَذَا مَا لِلَّهِ ۚ لَقَدْ حَاءَتْ رُسُلُ رَبَّنَا
 بِالْحَقِّ وَتُؤَدُّوا ۚ إِنَّ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثُوهَا عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

﴿٢٨﴾ وَبَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ ۚ قَدْ وَحَدْنَا مَا
 وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا ۚ فَهَلْ وَحَدْنَاهُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۚ قَالُوا نَعَمْ ۚ

وَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ . أَنْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَى الطَّالِبِينَ ، الَّذِينَ يَصْدَرُونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَيَنْتَعِشُونَ عِوَجًا ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ .

﴿ وَيَسْمَعُ جِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِحَالٌ يَعْرِفُونَ كَلَامًا بَسِيحًا هُمْ
وَبَادُوا أَصْحَابَ الْحَنَةِ أَنْ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾
﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا : رَبَّنَا لَا
تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

﴿ وَبَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِحَالًا يَعْرِفُونَهُمْ سَبِيحًا هُمْ . قَالُوا
مَا أَعْبَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا
يُلَاقِيهِمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ؟ ادْخُلُوا الْحَنَةَ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾
﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْحَنَةِ . أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ
الْمَاءِ تَوْجِيًا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالُوا إِنْ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ، الَّذِينَ
تَحَدَّوْا بِهِمْ هَوًى وَغِيًى وَعَزَّوْهُمْ الْعَبْدَةُ الدُّنْيَا فَايَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا
إِثْمَهُمْ يَوْمَئِذٍ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ﴾

ر . كُنْتُ هَذِهِ أَصُولُ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ وَأَحْفَلُهَا بِالْمَصْرِ لَتَتَابَعَةِ
وَالْحَوَارِ اسْتَوْع . وَهِيَ تَحْيَى فِي سُورَةِ تَعْقِبٍ عَلَى قِصَّةِ دَمٍ وَحُرُوحِهِ
مِنْ لَحْنِهِ بِإِعْوَاءِ شَيْطَانٍ لَهُ وَلِرُوحِهِ ، وَبِحَدِيرِ اللَّهِ لِأَسَائِهِ أَنْ يَفْتَنَهُمْ
شَيْطَانٌ كَمَا أَخْرَجَ بِهِمْ مِنَ الْحَنَةِ ، وَبِحَدَارِهِمْ بِأَنَّهُ سَيُرْسِلُ بِهِمْ
رِسَالًا يَقْصُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ عَلَى رُحُومٍ أَثْنَا فِي أَوَّلِ آيَاتِ الْمَقُولَةِ
هَذَا . ثُمَّ بَأْخَذَ فِي عَرَضِ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ ، فَإِذَا الْمَدَى يَقَعُ فِيهَا مُصْدَقٌ
بِأَيِّئِهِ هَؤُلَاءِ الرُّسُلُ ، وَإِذَا الَّذِينَ يَضِيعُونَ الشَّيْطَانَ هَيَكَلُونَ قَدْ

حرموا العودة إلى الجنة ، وقتلوا عنها كما أخرج الشيطان أبويهم
مها ، ويد المدس خالفوا الشيطان فاضاعوا ، قد ردوا إلى الجنة ويودوا
من الملائكة الأعلى أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون « فكأنما
هي أوتة المهاجرين وعوده المعربين إلى دار النعيم

وفي هذا التساق بين لقصة السابقة ومشاهد السمة بالجنة من
سابق شيء ما فيه ، فهي قصة تبدأ في الجنة على مشهد من الملائكة يد
أن حتى آدم ووجه واسكنها الجنة ففتنهم الشيطان عن نعمة ورحمتهم
من النعيم كذب جاء في قصة آدم في البرية - ونسهي كذلك في
الجنة على مشهد من الملائكة في سورة آخر فتص لبدء النهاية ،
وصمان بينهم فترة الحياة الدنيا فيما لا يتجاوز مصححين من كذب
خافئس بالمشاهد ومها مشهد الاحتصار وهو يتسق في السمع مع
لبدء والنهاية كل الانساق

١٠٠٠ مدحمة رائعة لا تقصده الشعر فهي مصبوغة في الحجاب في
الذي يتصاعد امامه الشعر ، وتغتمع له كل عناصر الجمال

والآن نأخذ في السمع من مدحمة ومشاهدنا العجيبه

ها نحن أولاء امام مشهد الاحتصار وهو يروح بين الدنيا
والآخرة احتصار مدحمة فتبوا على الله يكذب أو كذب آياته
وقد حصرهم رسلهم بتوبيخهم وتقصير أرواحهم فلا يرى
هؤلاء وأولئك حور « من من كنتم تدعون من دون الله « أين
فتكم التي اعتصمتم بها في الدنيا وقسم بها عن الإيمان « نحن
الأعلى ٢٠٠ هي الآن في لحظة حاسمة التي يسب منها حجاب

معهم ، أما الآن فإن يلج الحمل في سم لحياصهم في لدر
لتي تداركوا فيها جميعاً وتلاعوا .

« وكذلك تحري المحرمين » وإليك صورتهم فيها « لهم من
حجهم مهاد ومن فوقهم عرش » ومار فرش لهم . يدعوه للسحرية
مهاداً وما هو مههد ولا لين ولا مرجح ولدر عطاء لهم بعشاهم من
فريقهم « وكذلك تحري الطمير »

« الآن فانظر إلى الخاب الآخر » والدين آموا وعملوا الصالحات «
قدر ما استطاعوا وفي حدود طاقتهم « لا تكلف نفساً إلا وسعها » ما كان
هؤلاء « أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » أصحابها وملاكها .
فقد أرثوها حراء ما عصوا الشيطان لذي خرج نبيهم من الجنة
وإذا كان أولئك ككافرون مكذبون يتلاعبون في لدر وبنحاصمون
ونعي في صدورهم لأحقاد بعد أن كانوا أضياء أولياء ، فإن الدين
آموا وعمدوا الصالحات في الجنة إخوان متصافون يرف عليهم لسلام
ولولاء « ويرعنا ما في صدورهم من عل » وإذا كان أولئك يصلون
لدر من فوقهم ومن تحبهم هؤلاء « تحري من تحبهم الأهل » وإذا
كان أولئك يشتعلون بالنار وحصاء هؤلاء شتعون بجمود
ولا عراف « وقانوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
أن هدانا الله - لقد جاءت رسلنا بأحقق » وإذا كان أولئك
يبدون « فوقوا العذاب بما كنتم تكفون » زياده في الإيلاء وانحصر
فهؤلاء يادون بالأنهال واتكروا « ونودو أن نكنكم لجنة أرثموها
بما كنتم تعملون »

ثم يستمر لعرض إداد حسن أمام مشهد لاحق لمشهد الناس
قد استقر أصحاب الجنة في حبه . واستقر أصحاب لدر في لمار

ويؤيد الأولون بادون الآخر من هناك " أن قد وعدنا ما وعدنا
 ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ " وفي
 هذا السؤال من التهكم أمر ما فيه ، فالمؤمنون على ثقة من تحقق
 وعد كتحقق وعد سوء ، ولكنه سؤال " ويحيى الخواص من
 هناك : " نعم ! " حيث لا مجال للكراي أو مجال وعدك يستهي
 حدث وخلق الحيار " فاذن ماذا بينهم " أن لعنة الله على الظالمين " .
 ثم توحه النظر إلى جانب من أساحه . ساحه معرض التسيحه
 فإذا مشهد آخر ، مشهد " لأعراف " انفصلة بين حنة والدر . وكان
 هي " نقطة مرور " يمر فيها أهل الحنة وأهل النار . ويوحه كل إلى
 مستقره هناك . وهناك حيث يعرفون هؤلاء وهؤلاء سيماهم .
 فيتوجهون إلى حيث هم داهون ، ويشيعون كلاً منهم في يستحق
 من حقير أو كريم !

وهؤلاء هم يتوجهون إلى أهل الحنة بالترحيب والسلام .
 وتوجهون إلى أهل النار بالتسكيت والإيلام " أهؤلاء الذين أسكنتم
 لا يباهم الله برحمته " " انظروا أين هم الآن " بهم في الحنة يتنعمون
 السلام !

وأخيراً ه نحن أولاء سميع صوت آتيا من النار منوه الرحاء والمدة
 والاستحشاء : " وبادى أصحاب النار أصحاب الحنة أن أفصو
 عليا من الماء و ثم ركم الله " ! وه نحن أولاء تنلفت إلى الحجاب
 الآخر ستطر الخواص ، يد هو معدة ولد كبير " هـو " إلى الله
 حرمهما على الكافرين !

وحين ينتهي الاستعراض إلى هنا على هذا النحو ينتهي يحيى

لتعيب مناسق مع الآراء . بد كبيراً هـ . ليوم اندي مرت مشهده
وتحدير من بكديت آيات الله الذي جاء به ارسلى في بي دم سطا
لتأويل هذه آيات . هـ تأويلها إلا وقوعها على محور اندي عرصت
به . وحيث لا مسحة ولا شمع :

﴿ هل يظرون إلا تأويله ﴾ يوم تأتي تأويله يقول الذين سوء من
قل قد جاءت رس ربنا بالحق ، فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا و
نردّ فعل غير الذي كنا نعمل ﴾ قد حسروا أنفسهم وصلّ عنهم ما
كانوا يفترون ﴿ !

سورة يس^(١)

﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ما يظرون إلا
صبيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ، فلا يستطيعون توصية ولا إلى
أهلهم يرجعون . وعج في تصور هذا هم من الأحداث إن بهم
يسبون قاتل يونس أ من بعد من مرقا . هـ هذا ما وعد ارحس
وصدق ارسنوا إن كانت إلا صبيحة واحدة هذا هم جميع نبي
مخضرون . هـ لا تظلم نفس شيئاً . ولا تحرون إلا ما كنتم
تعملون ﴿ .

﴿إِنْ أَصْحَابَ الْحَيَّةِ الْيَوْمَ فِي شُعْرٍ فَكَهْنُونَ ، هُمْ وَزُرَّاحُهُمْ فِي
ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ، هُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَدَّعُونَ
سَلَامٌ ، قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ .

﴿وَاذْكُرُوا الْيَوْمَ آيَ الْيَوْمِ الْمَحْرُومُونَ أَلَمْ أَعْهَدْ لَكُمْ بِسَيِّ آدَمَ أَنْ
لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَإِنْ اعْبُدُونِي ، هَذَا صِرَاطٌ
مُسْتَقِيمٌ ۚ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جَنَّاتٍ كَثِيرًا ، أُنْصِبُوا تَحْتَهُ نَبَاتٌ
كَثِيرٌ ۖ هُمْ كُنْتُمْ تُؤْغَدُونَ ، أَصْبَوْهَا الْيَوْمَ مَا كُنْتُمْ تَكْمُرُونَ ﴾

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكْفِى أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ۖ وَوَشَاءَ لَطْمَسُهَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ ، فَاسْتَشْفُوا لَصْرَاطٍ ، فَأَنَّى
يُبْصِرُونَ ! وَلَوْ شَاءَ لَمَسَحْنَاهُمْ عَلَى مَكَائِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُبْصِرًا وَلَا
يَرْجِعُونَ ﴾ .

يسأل المكذبون "متى هذا ليعد إن كنتم صادقين ؟" فيكون
الحوار مشهداً حاضراً سريعاً ، فما هي إلا صبيحة واحدة بأحدهم وهم
تتحدلون ويتحاصرون . فإذا هم أموات لا يملكون حتى التوصية ولا
العودة إلى أهلهم ليموتوا بين أيديهم وهذا يرتسم مشهد الأول
بعد الصبيحة الأولى .

ثم إذا صبيحة أخرى . فإذا هم يتفصون من الأحداث ويمصون
سراغاً وهم في دهش ودعر تتساءلون "من نعثنا من مرقدها ؟"
ثم يصركون عيوبهم فيتأكدون : "هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون"

ثم إذا صبيحة ثالثة « فإذا هم جميع ندسا محضرون ، وقد انتصفت
صغوف وتهدأ الاستعراض في مثل لمح البصر أو رجع الصدى . وإذا
الجميع يصتتون فيسمعون : « فاليوم لا نعلم نفس شئ ولا نخزون
إلا ما كنتم تعملون » !

وفي هذه السرعة التي تم بها المشاهد الثلاثة تناسق في الرد على
أولئك الشاكين المستريين في يوم « الوعد » المبين .

ثم نداء عممية امرر المعهودة . وينلفت لنصر عن يمين وعن
لشيان فليسق أطوار بمسأ . هؤلاء أصحاب اخيه مشغولون بآهم
فيه من النعيم ملتذون متمكهنون . وإيهم لقي صلال مستطاة ستروحوون
سبيها ، وعلى أرثك متكئين في راحة وبعيم هم وأرواحهم ، هم فيها
فككه وهم كل ما شاءون ، فهم ملائكة محقق هم كل ما يدعون
وهم فوق للدند لحسية التأهيل والتكريه . سلام . قولاً من رب
رحيم .

ثم نلق أصداراً شلاً هؤلاء أصحاب لنا نلقون لرحر
والتحقير . « وامتاروا اليوم أيها المحرمون » انعزلوا في هذا الركن بعيداً
عن المؤمنين . « ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا سبيصاً إنه لكم
عدو مبين » من يوم أن أخرج آدم من الجنة « وأن اعبدوني » فإن
« هذا صراط مستقيم » . فله تحذروا بشيطن الذي أصل منكم أحنالاً
كثيرة « أفله تكبروا تعقلون » . كلاً ما كان لكم عقل ولا دين .
فتلقوا حراء كم نهين « هذه جهنم التي كنتم توعدون » أضوهد اليوم
عما كنتم تكفرون » !

فإذا انتهى هذا المشهد فحسن أمام مشهد حديد عجيب . هؤلاء هم
« الكافرون » يحتم على أفواههم فلا تملك السهم النطق ، سها تطلق

أبديهم وأرحلهم شهيد عليهم ي كانوا كسبون^١ و به شهيد عجيب
 بشير الحيات ، ويحرك الموحدين ، حيث تنقلب لآحوا ، وحيث
 توجه الإنسان هذا يحدث القد ، عند بعضه قد بعضا ، وتش
 حارحة على حارحه وتفتكك شخصيه الإنسانية في آخره وأحد
 وسمي نحن في دهش هذا الشهيد الغريب العجيب ، إذ هو يحرك
 حيات ليسعرض شهيد آخر عرضه جدلاً ، ولكنه يمثل للحياة
 واقعاً : شهيد هؤلاء بقية وقد صمست أعينهم وأضلقو يستقون انصراط
 فهم لا يلمسون ولا يتحسسون ، بل يستقون ويتحطط^٢ "لأى
 بصرون" ٢١

وبها الحيات مستغرق في تمحي هذا الشهيد ، وتتحرك حركاتهم فيه
 وهم عميق مظموسون يستقون ويحسبون^٣ إذ حركة حديدته تقف
 هذه الحركات فجأة ، فهؤلاء هم قد حملوا في مكانهم واستحلوا
 تماثيل لا يتصور ولا يرجعون ، بعد كانوا مد لحصة عيان يستقون
 ويضطربون^٤ ولو شاء سبحانه على مكانتهم قد استطاعوا نصيب
 ولا يرجعون^٥ !

سورة الفرقان^(١)

١ ﴿ل كذبوا بالساعة ، وأعتد من كذب بالساعة سعيراً ،
 إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها بغيض ورفيراً ، وإذا أنقوا منها مكاناً
 صيقاً مقرين دعوا هنالك نوراً لا تدعوا اليوم ثوراً واحداً وادعوا ثوراً
 كثيراً﴾ قل أدلك خبراً أم حجة البخل التي وعده المتقون ، كانت لهم

(١) السورة (٢٤) مكية لا ثلاث .

حرَاء ومصبيراً ، هم فيها ما يشاءون خاديين كَذَّ عَلَى رِثِّ وَعْدًا
مَسْتُولًا ۞

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْتَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، هَيِّقُوا أَنْتُمْ
صَلُّتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صَلُّوا أَسْئِلُ ؟ قَالُوا : سُبْحَانَكَ ! مَا كَانَ
سَعْيَ لَنَا أَنْ نَتَّحِدَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ، وَبِكَرٍ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى
سَوَّ الدَّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا نُورًا فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ، فَمَا
تَسْتَطْعِبُونَ صَرْفًا وَلَا بَصَرًا ، وَمَنْ يَضِلِّمْ مِنْكُمْ يَذْفُقْهُ عَذَابٌ كَبِيرٌ ۞

٢ . ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ
أَوْ نَرَى رَبَّنَا ؟ ! لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا
يَوْمَ يُرَوَّنَ الْمَلَائِكَةُ لَا يُشْرَى بِوَعْدِهِ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا
مَحْجُورًا ، وَقَدْ مِمَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُمْ هَاهُنَا مُتَوَرًّا أَصْحَابُ
الْحِجَةِ يَوْمَئِذٍ مُسْتَقَرًّا وَاحْسَنُ مَقِيلًا وَيَوْمَ تُشَقُّ السَّمَاوَاتُ سَحَابًا وَنُزِّلُ
الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ، الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِرَحْمَنِ ، وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
لُكَاةٍ عَسِيرًا .

﴿وَيَوْمَ يَنْعَصُ الظَّالِمُ عَلَى بَدَنِهِ ، يَقُولُ : يَا بَيْتِي اتَّخَذْتُ مَعَ
رَسُولٍ مِثْلًا ! يَا وَثْنَا ! لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا حَلِيلًا ! لَقَدْ أَصْلَبَنِي عَنِ
الذِّكْرِ بَعْدَ إِدْخَائِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ۞

٣ - ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَاءٍ
وَأَصْلُ سِيلًا ۞

١ التشخيص ، ومعني به جمع الحياة وتجسيمها على ما يفسر من شأنه الحياة المحسنة من الأشياء والمعاني والحالات النفسية . من في لقرآن كثير اليرود فيه يعرضه من الصور يلع من الحمار مستوى رفيعاً^(١) ، كما بث من الحياة في الأشياء ، فنستقص شحوصاً تأخذ من لأحياء وتعطي ، ونحوهم بالحنس ولحركة والحياة

وحيث هذا أمام مشهد من هذه المشاهد التي تستجيش لحوال مشهد النار المستعرة وقد دلت فيها الحياة ، فإذا هي تضر فترى أوثاك المكدين بالساعة وتراهم من بعيد ، وإياها إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تعبطاً ورهيراً فهي ها تتحرق عندهم ، وتصعد لترقب غبصاً منهم ، وإياها لقي انتطارهم . وهي ترقرق غبصاً ، وتتحرق بقمة ، وهم إليها في الطريق ! مشهد رهيب ومطر عجيب ، ولحظات انتطار ي لها من لحظات !

«وإذا أتقوا منها مكاناً ضيقاً مقرّبين دعوا هنالك ثوراً» قد وصلوا إلى هذه العول النارية المطعنة ، تتحرق من القمة . للهيئة لا نقصاص . وصلوا فلم يتركوا هذه العول صلفاء بصارعوها فتصد عنهم ويتحاموها فتعلمهم . بل ألقوا إياها إلقاء . وألقوا مقرّبين قد قرب يديهم إلى أرجلهم في السلاسل . وألقوا هنالك في مكان صق بر يدهم صيقه كريباً ، فراحوا يدعون أهلاك يقدّمهم من هذا البلاء فافلالاً . يوم أمسه المسمي واستند لإيجاد للحلاص من هذا الكرب ندي لا طاق ثم هدمه ولأء سمعون داء . يسمعون بهكماً ساحراً

(١) راجع فصل التحليل الحسي . ص ١٠٠ في كتاب صفة الحسي في القرآن .

مروراً مبثوثاً من انحلاص « لا تدعوا ليوم ثوراً واحداً وادعوا ثوراً كثيراً » !

وحسبما يصل التأثير بهذا المشهد الشاحص غايته ، يتوجه إلى السري
بالقول « وقل أدلك خيراً م حنة الحديد التي وعد المتقون كانت لهم
حرراً ومصيراً ، لهم فيها ما يشاءون حديد ، كان على ربك وعد
مستولاً ؟ » الحنة خير ! وهل هناك محار لموارنه بين الحنة وهذا
الكرب الذي لا يطاق ؟ أيها الناس إدن لكم الحيار بين هذا وذاك !

ثم بمضي بعد هذه اللقطة القصيرة في حبس المسبب . يعرض
مشهداً آخر من مشاهد العذاب مشهد أولئك المكذبين بالساعة الذين
يشركون مع الله آلهة أخرى فقد حشروا وحشروا معهم ما كانوا يعبدون
من دون الله ، ووقف الجميع عباداً ومعبودين على قدم المساواة أمام
الحاق الواحد القهار عندئذ توجه لحصاب هؤلاء المعبودين « أنتم
أصلتم عبادي هؤلاء أنتم صلوا السبل » وإن الله يعلم ، ولكن
هذا الاستحواث رهيب في ساحه الاستعراض والحوار هو الإجابة
من هؤلاء « الآلهة » لله الواحد القهار ، واستروا من ذلك الكفر والصلال
والرزية على وبنك الحاحدين الحجاب « قالوا سجدت ! ما كان
سعي لنا أن نتحد من ذوبك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم
حتى سوا اندكر وكانوا قوماً بوراً » ذلكم ماثرب عندئذ توجه
إلى ولئك العباد الخبال بالخطاب « فقد كذبوكم بما تقولون
فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً » فلا أنتم تملكون صرف ، بعداب عنكم .
ولا الانتصار لأفسكم ! بما أنتم تملكون معلونون

وسبما نحن وهم في ساحه العرض الكبير ، نسمع الحوار وشهد

الاستحواب . إذا سبق يقب و يقلهم إلى الدنيا في الوقت الذي لا
 تراب صورة العرص قائمة ؛ فيقول «ومن يظلم مكّم بدقة عدان
 كبيراً» يحيى هـ الوعيد وصورة موقف رهيب لم ترح الأدهم
 وتلك في الكثير صريقة القراء ، جمع من الديب ولا حرة في ومضه
 حاصفة ، وبين مساهد لعيم والعداب ، و سرعيت فيها واستحويف
 مبه في سياق سريع . لأنها تخصب لوحداً مهدد اشهد بتحقيق
 رعاية من الترعب والتحويف

٢ وكان بعض كفار يحتج على تكذيب رسوب أنه شر
 يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . «وقال الذين لا يرجون لقاءنا : لولا
 أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا» وكان الجواب رشم مشهد لا سيكون
 يوم يتحقق اقتراحهم فيرون الملائكة . «يوم يرون ملائكة لا تُشرى
 يومئذٍ لمُحرمين» وإنما ذلك هو يوم الدين ، يوم لا يبشر المحرمون
 ولكن يعدون ؛ فيما من استجابة لما يقترحون ؛ يومئذٍ يقولون
 «حجر محجوراً» أي حراماً محرماً . وهي حملة انقاء للشر وللأعداء
 كانوا يقربونها في الدنيا استبعاداً لأعدائهم وتحرراً من أداهم ، فهي
 تحري على نسبتهم من لدهول حين يقاضون ولكن أين هم اليوم لما
 كانوا يقولون «إن هذا لدعاء لا يعصمهم من شيء» «وقدّمنا إلى ما
 عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً» ، هكذا في لحظة قصيره ،
 والخيال يتتبع حركة القدوم المحسنة المتحيلة ، وعمية الإثارة
 للأعمال ، وارتفاع اهواء في انقضاء فإذا كل ما عملوا هباء منثور
 وهذا صنعت مرة أخرى وفي الوقت المناسب إلى أصحاب الحجة .
 فهم «يومئذٍ خير مستقراً» والاستقرار هنا مقابل لحمة اهواء منثور

والاطمئنان مقابل للفرع الذي يصلو الدعاء في دهول وهم «أحسن
معملاً» مستروحون ناعمون في الظلال

ولقد كان لكفار يقترحون أن يأبهم الله في صل من العدم
والملائكة وذلك تأثراً بالأساطير التي كانت تصور الإله براءى
للناس في سحابة ، وهي أساطير إسرائيلية - فهو يعود لرسمه ثم مشهد
لما سيكون يوم يتحقق هذا الاقتراح «ونوم تشق السماء بالعماء
ونزل الملائكة تريبلاً ، الملك يومئذ الحق للرحمن» وذلك هو
اليوم الذي كانوا يحذون «وكان يوماً على الكافرين عسيراً» وهو
يومهم الذي كانوا يقترحون^١

ثم عرص على الساحة مشهداً فبدأ بدم ، يعرضه عرصاً طويلاً
مدبداً ، يخل للسامع أن لن ينتهي ولن يرح ، مشهد انظالم بعض على
يديه من الدم ، والأسف ، ولأسى «ويوم يفض الطأم على يديه
يقول يا ليتني اتحدث مع الرسول سيبلاً» إبح . وبصمت
كل شيء حوله . ويروح يمد في صوته لمتحسر ويرته الأسبغة ،
حتى بيكاد الطارة وقد تأثروا مشهد لدم يشاركونه ادم . وذلك هو
العرض المقصود من إطاة العرض وتلك من سمات لناسق هي في
لقرآن^(١)

٣ وبعثات تعرض في سورة صورة من يحشرون في جهنم .
يختتم فيها التحقير المعوي إلى التعذيب الحسي «الذين يحشرون

(١) يرجع مصدر كذا من المعنى في كذب التصوير المعنى في كذا .

على وخواهيهم إلى جهنم ، تصورتهم وهم سحجون في النار وخواهيهم
مكونة فيها ، صورة حية شعة يتقها المتقون ، ويحذر منها المكذبون .
وهي كذلك توحى بالمهابة والرربة " وُنْتُ شَرَّ مَكَّة وَأَصْلُ سَيْلَا "

سورة فاطر (١)

﴿ حَمَاتٌ عَدَلٌ يَدْخُلُونَهَا يُحِثُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلَا
وَلِأَسْمِهِمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ . إِنَّ
رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ، لَا يَمَسُّ فِيهَا
فُتُورٌ وَلَا يَمَسُّ فِيهَا لُغُوبٌ ﴾

﴿ وأدين كغرواحهم ، لا يقصى عليهم هيبور . ولا
خفف عنهم من عذابها كذلك تخزي كل كهور وهم يضطرحون
فيها رند أحرخا بعمل صالحاً غير الذي كنّا بعمل . اولم نعلمركم
ما نذكرهم من نذكر ٢ وحاءكم السير هوقها لطنين من
صبر ٥

هما مشهدان متقابلان على عادة القرآن مشهد المؤمنين في
الحياة ومشهد المعديين في النار هما في تقابلهما يطعن أثرين محتفين
في النفس ، ولكنهم ينفين بها في مكان واحد ، ويحازان بها إلى
موقف فرد

(١) السورة (٤٣) مكية

لاولون في الجنة ، وقد تكشف مشهد عن عجم مادي ملموس
وعجم نفسي محسوس . فهم « يَحْلَتُونَ فِيهَا مِنْ أَسَدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا
وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ » وذلك بعض المتاع المادي الذي يسي رعه النرف في
كثير من القوس ، ونحانه ذلك الرصى وذلك الأمن وذلك
الاطمئنان . الحمد لله الذي أذهب عَمَّا الْحَرْبُ « وأبدنا بما فيها من قلق
على المصير ومعادة للأمور تعد حزناً بالقياس إلى هذا العجم المقيم .
والقلق يوم الحشر على انصير مصدر حزن كبير ، « يَا رُسُلَا عَصُوا شُكُورَ »
عصر لنا وشكر لنا أعمالنا بما حارنا عليها « الذي أحنا دار المقامه »
للإقامة والاستقرار « مِنْ فَضْلِهِ » فقال عليه من حق ، إنما هو الفصل
يعطيه من يشاء « لَا يَمَسُّهَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّهَا فِيهَا نَعُوبٌ » بل يجتمع
لنا فيها العجم والراحة والاطمئنان .

والحو كنه يسر وراحة وعجم . ولألفاظ محتارة تتسق بحرسها
وإيقاعها مع هذا الحو لحاي الرحيم ، حتى الحزن لا يتكأ عليه
« لسكون الحزم بل يقال (الحزن) بالتسهيل والتخفيف . والجنة
« دار المقامة » وانصب واللعب لا يمساهم مجرد مسامح . والإيقاع
الموسيقى للتعبير كله هادئ ناعم رتب

ثم بلغت إلى الخاب الآخر . فاذا نرى ؟

رى القلق والاضطراب وعدم الاستقرار على حال « وَالَّذِينَ
كَفَرُوا هُمْ أَرْحَمُهُمْ ، لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ
عَذَابٍ » فلا هذه ولا تلك ، حتى الراحة بالموت لا تنال « كذلك نحري
كل كفور »

ثم ها نحن وراء يطرق سماعة صوت عبيط مُحشَرَحٌ محتلط

الأصدااء متناوح من شئ الأرجاء . إنه صوت المبهودين في جهنم "وهم يصطّرخون فيها" وجرس النمط نفسه يلقي في الحرس هذه المعاني جميعاً
 فنتبين من ذلك الصوت العليط المحتنط ماذا يقول : «ربنا أخرجنا
 بعملنا صالِحاً غير الذي كنا نعمل» إنه الإجابة والاعتراف ولندم
 إذن ، والكر بعد فوات الأوان . «فهم نحن أولاء سَمِعَ الرَّدَّ الحاسم
 يحمل لتأنيب انقاسي . «وَلَمْ يَحْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ» فلم
 تنتفعوا بهذه الفسحة من العمر ، وهي كافية للتذكر «وجاءكم
 النذير» زيادة في التوبيخ والتحذير ، فلم تتذكروا ولم تحذروا «فلوقوا
 ثأر الظالمين من نصير»

إيهما لصورتان متقابلتان صورة الأمل والراحة ، تقابلها صورة
 «تقنق والاصطراب ، وبعنة الشكر والدعاء ، تقابلها صحة الاصطراح
 والبداء ، ومظهر العيبة ولتكريم ، يقبله مظهر الإهمال والتأنيب .
 والحرس اللين والإيقاع المرتب ، يقابلهما الحرس العليط والإيقاع
 العنيف ، ويتم التقابل ويتم التسوق في آخريات وفي اكليات سواء

سورة مريم

﴿حَتَّىٰ غَدَلِ الْبَيْتِ وَعَدَ الرَّحْمَنُ عَادَةَ بَلْعَبٍ ، إِنَّهُ كَانَ
 عَدُوًّا مُّتَبِعًا ، لَا تَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا إِلَّا سَلَامًا ، وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ
 وَعَشِيًّا ، تِلْكَ الْحُلَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾

٢ ﴿فَوَرَّثْتُ لِبَنَاتِي مِمَّا رَزَقْتُكَ ذَكَرًا وَثِيًّا﴾ . ثم لنحصرهم
 حول جهنم حيثاً ثم لنسرع من كل شعباتهم أشد على الرحمن
 حيثاً ثم لنحسب عليهم ما هم أولى بها صلياً [وإن مسكماً لا
 واردها . كان على ربك حتماً مقضياً^(١)] ثم سحى الذين اتقوا ،
 ونشر الصدور فيها حيثاً ﴿

٣ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ . وسوف
 محرمين من جهنم وردا . لا تملكون الشفاعة إلا من اتخذه عند الرحمن
 عهداً ﴿

٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ
 وُجُوهًا

صورة بلحية هادئة ساكنة رتيبة « لا يسمعون فيها لغواً إلا
 سلاماً » فلا فصول في الحديث ، ولا صحة ولا جدال ، إنما يسمع
 فيها صوت واحد يناسب هذا الجو العام الراحي هو صوت اسلام
 والبرق في هذه لحظة مكفول لا يحتاج إلى صلب ولا كد ، قد يلين

(١) هذه الآية المعترضة مدنية

الطلب في هذا الحوِ اِراصي «وهم رُقُهم فيها نُكْرَةً وعُشِيًّا»
« تلك الجنة التي نُوِرَتْ من عَبدٍ مَرُّ كان نَفِيًّا »

ثم يستمر السياق في السورة رداً على المكدين بيوم القيامة اويقول
الإنسان أئذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُحْرَجُ حَيًّا ؟ « فيكون الرد قسمًا تهديدًا :
« فَوَرَّكَ لِحَشْرَتِهِمْ » ولن يكونوا وحدهم فليحشرهم « والشياطين »
فهم وإياهم سواء ، ويبيهم صلة التابع والمتبوع ، أو صلة القرين
بالقرين . وهذا يرسم صورة حسية لهم وهم حاثون حوث حهم حثو
الحزبي والفرع ثم يد هم يترعون طائفة بعد طائفة فيلقون فيها
يى يحتر منهم أولاً فأولاً ، عتاهم وأشدهم وأقواهم وفي البعض
وتشديده هذا الانزعاع ، تتعها صورة القذف المتحيلة ، وهي الحركة
الدلية في لحيان للانزعاع

ويدو أن المؤمنين كانوا يشهدون العرص ، ولكهم ناحون بما
انقوا هذا اليوم ، فهم يعادرون الموقف سائين ، ويترك المحرمون في
جهم جاثين !

ثم يستمر سياق السورة فيعرض مشهداً آخر مُحملاً لهؤلاء وهؤلاء
فيه التقاس السريع فَمَا الْمُؤْمِنُونَ فَمُجموعون وعداً إلى الرحمن وما
المحرمون فذاهون ورداً إلى حهم فَمَا اَوْهَد فسيلقى « الرَّحْمَنُ »
يستقبل بره وعيته وأما يوزد فستوزد حهم يستقبل اللطى والأوار
لا يملكون لأنفسهم شفاعاً ، فلا شفاعاً يومئذ إلا لمن قدم عملاً
صاحباً معهوداً عند الله ومعروفاً .

وعلى مقربة من هذه الصورة يقول : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا » وهي صورة لعبة معوي لطيف ،

فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ الرَّحْمَنِ وَفَرَقَ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ فِي دَنِّهِ عِيمٌ لَا
يَدْرِيهِ السَّعِيمُ .

سورة طه (١)

١ ﴿ذُرِّيَّتَهُ مِنْ ذُنُوبٍ مُتَحَرِّمًا فَإِنْ بِهِمْ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا
يُحْيَا . وَمَنْ يَنْهَ عَنْهُ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ نُوَلِّتْ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ
الْعُلَى حَتَّىٰ حَسَابٌ عَدَدٍ تَخْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَذَلِكَ
حِزَابٌ مِمَّنْ تَرَكَّى ۝

٢ ﴿نَوْمٌ نَنفُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُتَحَرِّمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا .
يَنْحَافُونَ فِيهِمْ إِنْ لَشِمْتَ إِلَّا عَشْرًا نَحْنُ نَعْلَمُ مَا يَقُولُونَ ، إِنْ
نَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَشِمْتَ إِلَّا يَوْمًا .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَعْدَالِ ، قُلْ يَسْمَعُ رَبِّي أَصْفَارًا ، فَذَرُوهَا
فَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا
عِوَجَ لَهُ ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَابُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا يَوْمَئِذٍ
لَا تَسْمَعُ السَّمْعَةَ إِلَّا مَنْ أَدْرَكَهُ الرِّحْمُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْنِي مَا بَيْنَ
نَدْبِهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَعَسَىٰ الْأَوْحَادُ لِلْأَحْيَىٰ
الْقُتُومِ ، وَقَدْ حَاسِبَ مِنْ حِمْلِ ظُلْمًا

(١) السورة (٤٥) مكية إلا آيتين

﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ضمنا ولا

هضمًا﴾

٣ ﴿قال اهبطا منها جميعاً ، نعصمكم لبعض عدو . فإن
ياتيكم مني هدى ، فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن
عُرض عن ذكرى فإن له معيشتة صكاً وحشره يوم القيامة أعمى
قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال كذلك أتتك
آياتنا فمبيتها ، وكذلك اليوم تُنسى﴾

١ المشهد لأوّل في هذه سورة من مشاهد العذاب التي مر
وصفها «لا يموت فيها ولا يحيا» وردت من قبل في سورة «الأعلى»
ونكس تردّها في سياق جديد «إنّه من بات رتّه محرماً فإنّ له جهنم
لا يموت فيها ولا يحيا» لم يرد في السياق هناك ، وفي محيثة «محرماً» إلى
«ربه» لا لأي أحد آخر ، هذه تهكم قوية ! ثم يضاف إليها صورة
المؤمنين في «الدرجات العلى» وقد استعرضنا الصورة الأساسية هناك
ونكس لم يعطها هنا لبيان أن بعض صور الصغيرة قد تكرّر ، ولكن
مع تعبير في سياق اندي ترد فيه . يكسها حواً جديداً

٢ أما المشهد الثاني فمشهد حديد . فهؤلاء المحرمون يحشرون
رُزق الوحوه من الكبر ولعمري^(١) ، وها هم أولاء يتحافتون سهم

(١) بعض التفسير تقول «رزق العيون» لأن رزقة العين مدمومة عند العرب ، ولأن
أعداءهم الروم كانوا في عيون حمره دث مثلاً في العيون المكروهة ونكس لا يرى
ما يجمع من التفسير الذي قد به ، وهو في الوحوه . ما دام القرون لم يعصص ربح
أميل إلى أقرب معنى يدل على اللفظ ، ويرسم صورة ، فالتصوير في لغز هو قاعده
لتعبير

بالحديث ، لا يرفعون به صوتاً من الرعب واهول وارهبة المحيطة
على ساحة الحشر . وفيهم يتحافتون ؟ إنهم يحدسون عما قصوه من
الأيام في القبور ، فلقد كانوا موتى ، وقد فقدوا حاسة الشعور بأمر من ،
فاليوم يقولون لم نلث إلا عشر ليال ، ونقول أصومهم رأياً : ما
لشتم غير يوم فيستوي في التحط الجاهلون والمعنون منهم ، بل
نوع العالمون في اجهل يقولون «إِنْ لَشِمْنَا إِلَّا يَوْمًا» وهي على أية
حال هيئة المباحاة من يستيقظ يرى تغير الأحوال ، وهو لا يدري
كم من الرمن مصى فيعمد على الحدس والتخمين !

ولكي ندرك هول الذي يواحه القوم ، علينا أن نطرح نرى الحنان
الراسية الراسخة وقد نسفت سهاً ، فإذا هي قاع صفصف لا اعوجاج
فيها ولا نتوء ، فلقد سويت بالأرض لا عوج فيها ولا انحناء .
وكأنما سكنت العصفرة بعد هذا السف والتسوية ، وأصت
الجمع ، وحفت النامة ، وإذا هم يستمعون إلى الداعي بدعوهم إلى
الله فيتبعونه صامتين مسلمين لا يتلفتون ولا يتحلفون ، ويعبر عن
استسلامهم بأنهم «يتبعون الداعي لا عوج له» تسيقاً للتعبير ولمشهد
مع الجبال التي لا عوج فيها ولا نتوء .

ثم يحجم الصمت الرهيب والسكون الشامل : «وحشعت الأصوات
للرحمن فلا تسمع إلا همساً» . «وعت الوجوه للحي القيوم» .
وهكذا تسود الموقف كرهة وصمت وحشوع وسكون فالكلام
هس والسؤال تخاف ، واحشوع سائد ، والوجوه غايه ، وحلال
الحي القيوم يعمر النفوس بالحلال الرزين ، ولا شفاعة إلا لمن يؤد له ،
وانعم كله له ، والظالمون يحملون ظلمهم فيواجهون الخيبة ، وانس
آمنوا مطمئنون لا يحشون ظلماً ولا يخافون هماً

إيه الخلال ، يعمر الحو كله وبعشه في حصرة لرحم .
 ٣ ثم ترد الصورة لثالثة بعد استعراض قصة آدم محتصرة .
 وهبوطه من الجنة مع إبليس ، بعصم لعص عدو ، في انتظار الهدى
 الذي يبعث الله به رسله ، « من أتع هداي فلا يصل ولا يشقى »
 وإن في ذلك لعوضاً عن شفاء والصلال اللين لقيهما آدم ويلقاهما
 بوه في هذه الأرض بعد العيم والهدى في الفردوس المفقود « ومن
 أعوص عن ذكرى إن له معيشة صسكاً » وإيها بالقاس إن الفردوس
 نصك ، على الأقل عما فيها من مصمح ومحاف ثم يحشر في الآخرة
 على صورة عحية ، يحشر عمي ، وديك صلال من نوع ضلاله في
 الدنيا ، حتى إذا سأل « رب لم حشرتني أعمي وقد كنت نصيراً ؟ »
 كن الجواب « كذلك أئتت آبتنا فسينها ، وكذلك اليوم نسي ،
 اتساق في لتعير ، واتساق في التصوير هبوط من الجنة وشفاء
 وصال ، يفانه عودة إليها ونحوه من لصال والشفاء . ومسحة في
 الجنة يقابلها الصك ، وهداية يقابلها لعمى .
 ويحيى ، هذا نعقياً على قصة آدم ، وهي قصة الشربة حميعاً
 عبدأ الاستعراض في الجنة ، ونتهي في الجنة ، كما مر في سورة
 لأعراف ، مع الاختلاف في لصور الداحلة في الاستعراض وهكذا
 قد تتحد المشاهد العامة ، ولكي تختلف في حوثاتها عما يحقق الحدة
 وينفي التكرار في صور القرآن

سورة الواقعة^(١)

١ - ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَادِيَةٌ ، نَحِصَةُ

(١) السورة (٤٦) مكية لا اسبي

رَافِعَةً إِذَا رَحَّتِ الْأَرْضُ رَحًا ، وَنُشِيتِ الْحَالُ سَاءً ، فَكَاتِ هَذِهِ
 مَنَّا وَكُنْتُمْ أَرْوَاحًا ثَلَاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ؟
 وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ؟ وَالسَّائِقُونَ السَّائِقُونَ ، أُولَئِكَ
 الْمُقَرَّبُونَ ، فِي حَنَاتِ النَّعِيمِ : ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ،
 عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ، مَتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ
 مُّجْتَدُونَ ، بَاكُوَابٍ وَأُنَارٌ فِيْ كَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ، لَا يَصُدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا
 يَسْرِفُونَ ، وَهِيَ كِهَيْبَةٌ مَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَنَحْمُ طَيْرٌ مَّا يَشْتَهَوْنَ ، وَخُورٌ عَيْنٌ ،
 كَأَمْثَالِ اللَّوْلُؤِ امْكُتُونَ خَرَاءَ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا
 وَلَا تَأْثِيمًا ، إِلَّا قِيلًا : سَلَامًا سَلَامًا . وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ؟ فِي سِدْرٍ
 مَحْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَّنْصُودٍ ، وَطِلٌّ مُّمدُّودٍ . وَمَاءٌ مَّسْكُوبٍ ، وَلَا كِهَيْبَةٌ
 كَثِيرَةٌ ، لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْرُوعَةٍ ، وَهَرُشٌ مَّرْهُوعَةٍ إِنَّمَا أَشْنَاءُهُنَّ
 إِشْنَاءٌ ، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَكْأَارًا ، غَرًّا أَتْرَابًا ، لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ
 ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ وَأَصْحَابُ الشَّامِ مَا أَصْحَابُ
 الشَّامِ ؟ فِي سَعِيرٍ وَحَمِيمٍ ، وَطِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ . لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ
 إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ، وَكَانُوا يُصْرُفُونَ عَلَى الْيَحْتِ لِعَظِيمٍ
 وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مَسَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمُغَوُّونَ ؟ أَوَآتَاؤُنَا
 الْأَوَّلُونَ ؟ قُلْ : إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمُحْمُوعُونَ إِلَى مِقَاتٍ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ
 ثُمَّ يَكْفِيكُمْ فِيهَا الصَّالُونَ الْمَكْدُورُونَ لَا يَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ ،
 فَمَالَتْهُمْ مِنْهَا لُطُوفٌ ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ

اهيم هـ تَرْلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١﴾

٢ ﴿فَلَوْلَا إِذَا تَلَعَتْ الْخُلُقُومَ ، وَأَنْتُمْ حِينًا تَنْصُرُونَ -
وَحَسْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُنْصُرُونَ . فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عِزَّ
مَدِينٍ ، نَرْجِعُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ،
عَرْوُحٌ وَزَيْحَانٌ وَحَةً بَعِثَ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَسَلَامٌ
لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ الصَّابِرِينَ ،
فَعَرْوُحٌ مِنْ حِمْيَرٍ . وَتَنْصِبُهُ حَاجِمٌ ﴿٢﴾

• • •

١ هول انساعة هـ مادي من النوع الذي سوي في الفارعة ،
ولكن في صورة جديدة في بعض حواسها واقعية هـ هي «الواقعة»
فهي حادث واقع لا محل لكده ولا لتكديبه ، «إذا وقعت الواقعة» ،
ليس توقعها كادنة «ومطة» الواقعة «عما فيها من مدّ ثم سكوت شه
سقوط الحسم الذي يرفع ثم يترك فيهي واقعا ، فيستطرح الحس
فرقة ورحة وهكذا يلسي السبق ما تنوقه الحس ، فهي «حافصة
رافعة» تلك الأرجحة التي يحدثها سقوط الأحسام الثقيلة تحدثها
كذلك «الواقعة» في عالم الحس كما توقعها في عالم المعالي ، يوم
شبل أقدار ونهوي أقدار ، ولأن الاهتزاز أو الرحة ، هي الجو
العام للمشهد استمر السبق يعرض «ور الارتجاج» «إذا رُجَّت الأرض
رجاً» ، ولأن «لواقعة» تهبط من عل فتدك وتنطش كما يرح وتر
عرض السباق ذلك الحاد الآخر المتوقع في الحس «وُسب الحال

س١ « وهذا هي هيئة مسوس ، يتطاير في الهواء كهواء « مكنت هواء
 مسناً » . . . وبدلت ينهي مشهد الحول المادي المتسق في صوره كلها مع
 « الواقعة » وما تثيره في الحس من صور ومعاني

ينتهي هذا لشهد الاستعراض في الساحة الكبرى ولأول مرة
 عد الناس مرقاً ثلاثة لا فرقين اثنين كما هو السائد في مشهد
 لاستعراض القرآنية (١) « وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً » عرفة لسبعين امقربين ،
 وهي تتألف من جماعة من الأولين وقليل من الآخرين وقرقة أصحاب
 الميمة أو اليمين ، وهي مؤلفة من جماعة من الأولين وجماعة من
 الآخرين وقرقة أصحاب المشأمة أو الشمال ولكل من هذه الفرق
 الثلاثة مكان معلوم

وبدأ هذا ذكر أصحاب الميمة وإن كان امقربون أعلى
 مكاناً كما سيحي « فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ؟ »
 وهذا الاستفهام لتحويل دلتجهم ، وهو كثير في القرآن وقد تحدث
 عنه آتفاً وأصحاب الميمة هم المعروفون بأصحاب اسمين - ومن عبر
 إجابة أو تفصيل يتقن بالمثل إلى أصحاب المشأمة : « وَأَصْحَابُ
 الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ؟ » وهم المعروفون بأصحاب لشهر

وفي الميمة والمشأمة المدع إلى الحظ والطبع ، وإن كان النمط نفسه
 بما يستخدم في معنى اليمين والشمال . « السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ » أولئك
 المقربون في جنات النعيم ، ثلثة من الأولين ، وقليل من الآخرين »

(١) وبعل المربعين الأول والثاني هما هريق و حد في الحقيقة متفاوتا درجات في النعم
 فذكر هنالك إجمالاً ، وذكر هنا تفصيلاً

ثم لا يريد على هذا بياناً صفاً لهم ومؤهلاتهم ، فبدلاً منهم
 حريق مختار ، قد يكونون هم لأساء والرسول ، وقد يكونون الطقة
 السابعة المسارعة إلى الإيمان لكامل في كل رسالة وعلى أية حال
 فهم عرقمة ممتازة في لعيم . كما يعرض بعد ذلك في تفصيل وهو هنا
 يعيم مادي حسي فلعن هؤلاء هم (المخرومون) في الدنيا . الذين
 صبروا على الشطف وسارعت فيهم إلى الإيمان ، وثقيل في فصل
 الرحمن على أية حال فإن هنا صوراً مادية شاحصة للعيم المادي
 المحسوس

«على سرٍّ موصونة» مشككة بالمعادن الثمينة «متكئين عليها
 متقابلين» في راحة وخلو بال واضمثنان «يطوفون عليهم ولذا
 مخدنون» لا يعمل فيهم الزمن ولا تؤثر في شأهم السن «ياكواب
 وأباريق وكأس من معين» من حمر صافية سائغة «لا يصدعونهم
 ولا يترهون» لا هم يهزقونهم ولا هي تنقطع أو تعد «وكهة مما
 يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحوَر عِين»^(١) كأمثال النؤنؤ
 المكبون» والنؤنؤ المكبون هو النؤنؤ المحو الذي لم يعرض بعد للأظفر ،
 ولم تحمسه عين ولم تثقبه يد وفي هذا كناية عن معاني حسية وبسية
 لطيفة في هؤلاء الحور العين . ذلك كله «حراء مما كانوا يعمنون»
 فهو استحقاق ومكافأة وهم مع ذلك في هدوء وسكون بعيدون عن
 كل لغو في الحديث وكل جدل وكل مواحدة . «لا سمعون فيها
 لغواً ولا تأثيماً إلا قليلاً . سلاماً سلاماً»

(١) جمع عينا حبيد نعل وسن

فإذ انتهى الحديث عن ذلك المريق ، بدأ يتحدث عن المريق الثاني . عن أصحاب اليمين . ولنا بهم سابقة معرفة في المشاهد الماضية « وأصحابُ اليمين ما أصحابُ اليمين ؟ » وهم أصحابُ المينة ، وهؤلاء نعيم مادي محسوس كذلك ، ولكنه نعيم فيه شيء من الخشونة والدأوة ، بالقياس إلى ذلك النعيم المنزف الناعم الذي يروى فيه اساقون المقربون إياهم « في سِدْرٍ مَخْضُودٍ » والسدر شجر البق ، ولكنه ما مخصود لا شوك فيه « وَطَلْحٍ مَّنْصُودٍ » وهو من فصيلة المور مصد ومسق الثمار « وَطَلٌّ مَّمدُودٌ » وماءٍ مشكوبٍ « وتنت حملاً من مراتع الدوي ومسامه في الصحراء » وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا تموعة « وهما يلمح إطلاقاً في الفاكهة ، ولكن بعد ما عرفنا بمدح منها ، وأحسنا جو الخشونة والدأوة فيها « وهرشٍ مرفوعة » لا موضونة ولا ناعمة ، ويحبسها أها مرفوعة . وللمرعى في النفس معين مادي ومعنوي يستدعي أحدهم الآخر ، ويتيقن عند لارتفاع في المكان والطهارة من الدنس ، فالمرعى عن الأرض أبعد عن نجسها وهذا يتقل السياق من الهرش المرفوعة إلى تخصيص من في « الهرش » من الأرواح لأصحاب اليمين « إنا أنشأناهم إنشاءً » ابتداء ، وهم البحور ، أو ستنافاً ، وهم الروحات المبعوثات شابات « فَحَعَلْنَاهُنَّ بُكَرًا » ميمسش « عرباً » متحبات إلى أرواجهن « أترانا » متواقيات الس والشباب ، لأصحاب اليمين « محصصات معينات هم ، لينسق ذلك مع « الهرش المرفوعة » وأصحاب اليمين هم جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين

وهما يصل إلى أصحاب الشمال ولنا بهم سابق معرفة كذلك - « وأصحابُ الشمال ما أصحابُ الشمال ؟ » لئن كان أصحابُ

ليمير « في طُل ممدود وماء مكوب » فانظر لترى أصحاب الشمال
 « في سموم وخميم » فالهواء شواط ساحر يعد إلى حسام ويشويها .
 ولما متناه في لحرارة لا يبرد ولا يروي وهماك طل . ولكنه « طُل من
 نَحْمُوم » طل الدخان للافع الحائق به طل عتكم والسحرة من
 سوع ذلك الطل دي الثلاث الشعب «دي لا طيل ولا يعي من الله^(١)
 وقد مر ذكره في « المرسلات » . « أو هو ها » لا تارد ولا كريم » هو طل
 ساحر ، وهو كذلك كَرَّ حبل . لا يحس مستفاهم ، ولا يهين
 لهم الراحة والاسترواح . هـ الشطف كله حرء وفاق^(٢) « إنهم كانوا
 قتل ذلك مترفين » وما آلم الشطف للمترفين^(٣) « وكانوا يصرون على
 الحيث العظيم » وهو الشرك بالله . وفيه حث بالعهد الذي بين الله
 وعباده على الإيمان ، وهو عهد تؤكد فطرة الإنسان الدحية ، كما
 تؤكد جميع المظاهر التي تحيط به . فهو في مرتبة العهد المتصور عليه^(٤)
 « وكانوا يقولون أئد مت وكأ تاراً وعطماً أثنا شعوث أو تأؤوا
 الأؤون^(٥) » كانوا هكذا يعبر القرآن كأنما رحل اليوم أمام
 المشهد المحاصر في لآخرة ، وكأني الدنيا ماضٍ بعد . بذكره
 الداكرون وفي هـ استحصار بلمشهد وإحياء عميق تأثير في
 النصوص^(٦) .

وها يلتفت إلى الدي في أسب لأوقات للالتفات « قل
 إن الأولين والآخرين لمحمرون إلى سقات يوم معلوم » هو هذا اليوم
 المعروف !

(١) وهذا اسم مرج لتفسير العهد المذكور في القر . وقد حدثت من بي آدم من

ظهورهم ذريهم وأشهادهم على أنفسهم . انست منكم ؟ هاوا . بلى !

(٢) يراجع فصل « التصوير الفني » في كتاب « التصوير الفني في القرآن »

ثم يأخذ في عرض ما ينتظر المكذِّب هذه اليوم فيم صوره
 اعداد ادي يلاقيه المترفون : « ثم إياكم أيها الصَّالون المكذبون
 لا تكلون من شجر من رقوم » ونحن لا نلري ما شجر الرقوم ، ولكن المصط
 نفسه بصور نحرسه ملبساً حشياً شائكاً مدساً عرق الأدي لله
 مخلوق وذلك في مقابل لندر المحضود الذي لا شرك فيه ومع
 هذه فإنهم لا تكلون من هذه الشجرة الشائكة « فلتأثون منها الطون »
 فالخروج كفر والنجس عالمة ، وإن الشوك الحشن لهي حاحه إلى ماء
 يسلك الخلق والحشوم . وإمهم لشاربون « فشاربون عبيه من لحمهم »
 الذي لا يرد عله ولا يروي ظمأ « فشاربون شرب اهم » وهي الإبن
 المصابة بداء الاستسقاء التي لا تكاد ترتوي من الماء « هذا سرهم يوم
 ادين » والبرل للراحة والاستقرار ، ولكن هؤلاء « هذا برهم » الذي
 لا راحة فيه ، وهو شبيه بذلك الطل الذي لا ظل فيه .

وسطر يرى ذلك التناقض في المشاهد بين أصحاب اليمين
 وأصحاب الشمال وفي حزنات تلك المشاهد أيضاً . فاعذب متقابل
 مع النعيم في عمومته وتفصيلاته ولأن في النعيم طلاً ممدوداً وماء مسكوباً
 وشجراً مخصوداً وهاكهة كثيرة ، كان في الحميم سموم وحميم وظل
 من يحموم لا بارد ولا كريم ، وكان فيه شجرة الرقوم ، تمنى منها
 الطون . إنح فالمشهد مشهد صعبة ساقية متسق لها وهناك مع تقبل
 الحزنات وذلك من في التصوير تحدثت عنه طويلاً في كتب
 « التصوير » .

٢ ثم نمضي السباق في السورة فيعرض بعض مشاهد القدرة
 لإلهية في الخلق والإبشاء ، في لأرض والسماء ، وفي السات والحيوان ،
 وفي نفس الإنسان ، ليجمع من ذلك كله برهاناً على انبث والإحياء

ثم تنتهي السورة بمرص مشهد الاختصار ، وهو مطر شديد التأثير في النفس ولحسن . «قلولا إذا نلعت الحلقوم ، وأنتم حيثن تنظرون» ولا يملكون أن تردوا عليه هذه الروح بمفارقة قبل أن تمارق وتنتهي «وحن أقرب إليه منكم ولكن لا تنصرون» وفي تصوير أن الله شاهد لهذا المشهد قريب من ذلك المحتضر ، ما يلقي الروح والروية والاحتشوع - والله شاهد قريب لكل شيء ولكل حدث ، ولكن التصوير هنا والتحييل يكاد يجعل هذه الحقيقة المعروفة حديدة مفاجئة مرهوبة - «قلولا إن كنتم غير مدينين» إن كنتم طلقاء قادرين لا تدبكم قوة ولا يقدر عليكم ديان ، «ترجعونها إن كنتم صادقين» فأنتم إادن قادرون على رجوع هذه الروح لو كنتم كما نرعمون . وما أنتم بقادرين ^١ وفي ومضة بتقل من مشهد الاختصار إلى مشهد البعث فيلخص الموقف الذي فصله من قبل بين الفرق الثلاث :

١ فأما إن كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين ، فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان من المكذبين الضالين ، فقل من حميم وتضلية حميم . وعندما ينتهي الاستعراض المجل تكون النفس منبهة بالإيمان الوثيق : «إن هذا لهو حق اليقين . فسح باسم ربك العظيم» .

سورة الشعراء^(١)

﴿وَرَأَيْتُ الْخِزْيَانَةَ لِّلْمُنْتَقِينَ ، وَرُبَّ الرَّحِيمِ لِّلْعَاوِينَ ! وَفِيلَ لَهُمْ :

(١) السورة (٤٧) مكية إلا خمس آيات

أَسْ مَا كُنْتُمْ تَعْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ هَلْ يَبْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ؟
 فَكُكُّوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ ، وَحُودُ إِبْلِيسَ جَمْعُونَ قَالُوا وَهُمْ فِيهِ
 يَخْتَصِمُونَ . يَا اللَّهُ ! إِنْ كُنَّا لَهِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ إِنْ تُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ
 وَمَا أَصْلَانَا إِلَّا الْمَحْرُومُونَ ، هَا لَنَا مِنْ شَاغِعِينَ ، وَلَا صَدِيقٍ حَكِيمٍ .
 هَلْوَ أَنْ لَكَ كَرَّةٌ فَكُونَ مِنَ الْمُزْمِعِينَ ﴿ ٤ 〉 !

* * *

يَأْتِي هَذَا الْمَشْهَدُ فِي سَبَاقِ السُّوَّةِ تَعْقِلاً عَلَى قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ ، وَالْحَوَارِ
 الَّذِي دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ ، وَقَوْمِهِ حَوْلَ مَا يَعْدُونَ هُمْ وَأَبَاؤُهُمُ الْآوُونَ ،
 ذَلِكَ الْحَوَارِ الَّذِي يَنْتَهِي بِاعْتِرَالِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ ، وَدَعَائِهِ لَهُ بِالْهُدَايَةِ ،
 وَدَعَائِهِ لِنَفْسِهِ بِأَنْ يُجْعَلَهُ اللَّهُ مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ، وَأَلَّا يُخْرِجَهُ فِي يَوْمٍ
 لَدَيْهِ . « يَوْمَ لَا يَصْغُرُ مَالٌ وَلَا نَبْوَنُ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ »
 وَمِنْ هَا بَيْنَتَقِلْ فَحَاقَةَ مِنْ دَعَاءِ إِبْرَاهِيمَ فِي تَصَوُّرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي
 يَتَّقِيهِ إِبْرَاهِيمَ فَكَأَنَّمَا هُوَ حَاصِرٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَرَاهُ سَاعَةَ الدَّعَاءِ .

لَقَدْ قَرَرْتَ الْحِمَّةَ وَأَعَدْتَ لِلْمُتَّقِينَ ، وَلَقَدْ كَشَفْتَ الْحَجِيمَ لِلْغَاوِينَ ،
 وَإِيَّاهُمْ لَعَلَى مَشْهَدٍ مَبْهُمٍ بِقُصُورِ ، حَيْثُ يَسْمَعُونَ التَّفْرِيعَ قَبْلَ أَنْ يَكْكُكُوا
 فِيهَا أَحْمَعِينَ ، إِنْهُمْ يُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْسُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ - وَذَلِكَ
 تَسَاوُقٌ مَعَ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ وَمَا فِيهَا مِنْ حَوَارٍ - مَا هُمْ لَا يَبْصُرُونَ
 أَنْفُسَهُمْ وَلَا يَبْصُرُونَ أَسَاءَهُمْ ، ثُمَّ لَمْ تُسْمَعْ مِنْهُمْ حَوَابٌ وَلَمْ يَنْتَظَرْ مِنْهُمْ
 حَوَابٌ ، وَإِنَّمَا كَانَ السُّؤَالُ لِمُحَرِّدِ التَّفْرِيعِ وَالتَّأْيِيبِ « فَكُكُّوا فِيهَا هُمْ
 وَالْعَاوُونَ وَحُودُ إِبْلِيسَ أَحْمَعُونَ » كُكُّوا وَإِلَيْكَ لَسْمَعٌ مِنْ حَرَسٍ
 لِمَقْطُصِ صَوْتِ دَفْعِهِمْ وَسَهْوِطِهِمْ بِلَا انْتِظَامٍ ، وَصَوْتِ لَدِيدَةِ النَّاشِئِ

من الكسكة كما يهزأ الخرف فتشعه الخرف ، فهو نطق مصور بحرسه
للعناء وإيهم لعاوون وقد كسكب معهم جميع العاوين . هم وحنود
بئس أجمعون والجميع حنود إبيس ، فهو تعميم شامل بعد
تخصيص

فلستمع الآن إليهم في الحُجيم ! إهم يقولون لأهتهم والجميع
كما يبدو هناك . « تالله إن كما هي صلال سين إد سويكم رب
العالمين » الآن بعد قرات الأوان ! وهم يلقون السعة على المحرمين منهم .
ثم يهيقون فيعمسون أن الأوان قد مات . وأن لا فائدة في توزيع
انتعاف . « فما لنا من شافعين ولا صديق حميم » فلا آلهة تشفع ، ولا
أصدقاء تنفع . وإذا لم تكن شعاعة فيما مضى أفلا رحمة في الدنيا
تصلح ما فاتنا هيب « علو أن له كزرة مسكون من المؤمنين ؟ » كلاً ، لا
رحمة ولا شعاعة ، فهذا يوم الدين

« إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » في هذا الاستعراض
آية . وهو نفس التعبير الذي اتحد للتعقيب في السورة على مصارع عاد
ونمود وقوم لوط . فكأن هذا الاستعراض واقع كهذه المصارع وهو
آية وعلامة ، وفي كل مصرع آية وعلامة .

وبذلك يجمع السياق بين مشاهد العام الحاضر ومشاهد العام
الآخر ، وكأى هما من نوع واحد ، وفي وقت كذلك واحد .

سورة النمل^(١)

﴿ وإذا وقع القور عليه أخرجنا لهم دابة من الارض تكلهم ﴾ .

(١) السورة (٤٨) مكية

أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بَيِّنَاتٍ لَا يُوقِنُونَ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ
يَكْذِبُ بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ، حَتَّى إِذَا حُوتُوا قَالُ : أَكْذَبْتُمْ بَيِّنَاتِنَا
وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ؟ أَمْ مَا ذَكَّرْتُمْ تَعْمَلُونَ ؟ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا
ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿١٠﴾ .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسًا وَالنَّهَارَ مِصْرًا ؟ إِنْ فِي ذَلِكَ
لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَهَرَعُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ،
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلُّ نَفْسٍ دَاخِرِينَ ﴾ .

﴿ وَتَرَى الْحَالِ تَحْسِبُهَا حَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، صُغِرَ
اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ، إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُتِبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ، هَلْ يُخْرُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ؟ ﴾

* * *

لست ميالاً إلى الحوض في حديث هذه « الدانة » المذكورة في
تلك الآيات اسمها الحساسة أو اسمها شيء آخر . طوها ستون ذراعاً
أم ستمائة ، دت رعب ودرش وربع قوائم وحناحين أم دت أربعين
قدامة وأربعمائة ذراع . إلى آخر ما تساق بعض التفسير القرآنية وراء
الأساطير الإسرائيلية وغير الإسرائيلية ... إنما ذلك كله عيب لا يجدي

في نظري أن نحاول له وصفاً منظوراً .

إنما الذي يعنيها من ناحية «التصوير» أن ذكر هذه الدابة التي تكلم الناس «إذا وقع القول عليهم» بحىء في سورة النمل ، تلك السورة التي تحوي قصة السمكة مع سليمان : «حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطيمكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، فتسم صاحبكاً من فوقها ..» فلقد أدرك إذن سليمان قصده ، وإن كنا لا ندري كيف أدرك ، وعلى أية صورة عُلِّمَ منطق الحشرات .. وهي السورة التي ترد فيها عد ذلك قصة الهدد مع سليمان «وتفقد لطير» فقال مالي لا أرى الهدد؟ أم كان من العائير؟ لأعدته عدداً شديداً ولأدبحه أو ليأتي بي بسطان مبر . فمكت غير بعيد ، فقال أخطب عما لم تحط به ، وحدثت من ساء بساً يقيى» قال . منظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ...» فقد فهم سليمان إذن عن الهدد ، وإن كنا لا ندري كيف فهم ، وعلى أية صورة عُلِّمَ منطق لطير . وهي السورة التي ترد فيها عد ذلك قصة العصريت مع سليمان في سياق قصة بلقيس : «قال : يا أيها الملأ يَكُم بأتبي عرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟ قال عصريت من الحسن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه قوي أمين» فلقد عرف سليمان إذن ما يعرضه العصريت . وإن كنا لا ندري كيف عرف وعلى أية صورة عُلِّمَ منطق العمارات

والمهم أن لسياق كله في السورة سياق حوار وأحداث بين مدثة من الحشرات والطيور والحسن مع أحد من الناس إن يكن نبياً وتلك آيته فهو عن كل حال إسن . فحاء ذكر «الدابة» وأنها آية اليوم الآخر متدسقة مع سياق السورة وحر الحوار فيها . محققاً لتناسق التصوير في

القرآن ، وتوحيد الخريجات التي يتألف منها المشهد العام .

ثم يمتص السياق في الاستعراض المعهود ، ويخصص به هذه جماعة المكذبين من كل أمة « ويوم يحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون » والباقى جميعاً يحشرون ، ولكن كانت رادة هنا أن يرر للمكذبين حشراً خاصاً فهم يحشرون كقطيع البهائم « يوزعون » يساقون ليجمع أولهم على آخرهم (وهو مشهد مألوف في سوق القطيع ويجمعه ، حيث لا إرادة له ولا فهم ولا اتجاه) « حتى إذا جاءوا قال أكذبتُم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً ؟ » وهو سؤال للتخجيل والتسجيل « أم ماذا كنتم تعملون »^{١٤} وهو سؤال آخر تهكمي عجيب ، له نظائر في لغة التخاطب العادية ! أكذبتُم أم كنتم تعملون ماذا ؟ فما لكم عمل ظاهر مذكور يقال إنكم قصيتم الحياة فيه ! ولن يكون لمثل هذه لسؤال جواب إلا الصمت ، كأنما وقع على المسؤول ما يلحم سانه ويكس حنانه « ووقع القول عليهم لما ظلموا فهم لا ينطقون » بل يطلون شاحصين مححولين ! لا ينطقون وهم دور اللسان الباطق . في حين تنطق تلك لدانة وهي من حسن العجاوات ! وذلك من نوان التساق في الاستعراض !

وسبق العرض في هذه السورة دو طبع خاص وله طائر في نقرآن . وذلك هو المواجهة بين ماطر الدنيا وماطر الآخرة في سياق ، والانتقال من هذه إلى تلك في اللحظة المناسبة للتأثر والاعتبار

وهو هنا ينتقل بنا من مشهد المكذبين المهوتين في يوم انتقامه إلى مشهد من مشاهد الدب كان خليقاً أن يوقف وحدهم ، ويبتلي في روعهم أن هناك إلهاً يرعاهم ويهيئ لهم وسائل الحياة ، ويخلق لهم يكون مناسباً لحياهم لا معاهواً لها ، ولا حرماً عليها « أم يروا أنه

جعلنا الليل لبسكوا فيه والنهار مصراً ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ » ومشهد الليل الساكن ومشهد النار المصير حقيقان أن يوقظ
في الحس وحدان ديباً يحجج إلى الاتصال بالله الذي يقرب الليل
والنهار ، وفيهما آيات من استعدت نفسه للإيمان ، ولكنهم لا يؤمنون .
ثم يستقل بنا من ساحة الدنيا ومشاهد الكون إلى الساحة الأخرى :
« وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ
شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ » أدلاء مستسلمين .

ثم يعود يستقل بنا إلى مشهد الدنيا ، فيها هي دي الحلال الراسحة ،
بحسبها الراي نائمة « وهي تمر مر السحاب » « صُغَّ اللَّهُ الَّذِي تَقْرَأُ كُلَّ
شَيْءٍ » وهو صنع متقن عجيب ، يدل على خبرة وبصر لا يحدان
« إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » وسبحاري يد على الحسنة والسيئة حراء العليم
الحبير « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ حَبِيرٌ مِّمَّا وَهَمَ مِنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُوا »
فلقد شهدنا الجميع مفروعين ، فمن جاء بالحسنة فهو آمن من هذا
الفزع ، وهذا الأمن نفسه حراء . وهول مما بعد لأمن فيه هو الحراء !
« وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُتِّ وَخُوهُهُمْ فِي النَّارِ » هكذا « كُتِّ » بالعف
والتشديد ، والجحيم لمصور بحركة الموحى بالفزع « هَلْ تَحْرُونَ إِلَّا
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ؟ » .

سورة القصص (١)

١ ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ آئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى نَارٍ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ .

(١) السورة (٤٩) مكية إلا خمس آيات

وَأَتَعَاهُمْ فِي هَذِهِ الدِّينِ نِعْمَةً ، وَيَوْمَ لِقَايَةِ مَنْ الْمُسْجُوحِينَ ﴿١﴾

٢ - وَيَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ : أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ؟
قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ : رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُعْوَيْنَا ، أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا
عَوَيْنَا ، ثُمَّ آتَا إِلَيْكَ ، مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ | وَقِيلَ : اذْعُبُوا شُرَكَاءَكُمْ
فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ، وَرَأَوُا الْعَذَابَ ، لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾
﴿ وَيَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ . مَاذَا أُحْثِمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ فَعَمِيصٌ عَلَيْهِمْ
لَأَنَاءٌ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ .

٣ . ﴿ وَيَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ
تَزْعُمُونَ ؟ وَرَرَعَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ ، فَقُلْتُ . هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعُنْأُوا
أَنْ الْحَقُّ لِلَّهِ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْشَرُونَ ﴾ .
٤ . ﴿ تِلْكَ الدَّرُ الْآخِرَةُ لِمِثْلِهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي
الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

نحيء هذه مشاهد الأربعة متشابهة في سياق لسورة ، ولكنها في
مواضعها تتسق مع الموضوع المعروف ، وكأنها هي تعقيب عليه يجمع
بين الواقع في الدنيا ولهاية المظتورة له في الآخرة

١ . فليشهد الأول يحيى تعقبا على قصة هرعوب وكبراء هومو
فهم كانوا في الدنيا أئمة فهمهم في الصلال ، فليقد صومهم هـ " أئمة
" يدعون إلى الدار " وهي إمامة عريية ودعوة عجيبة ، ترسم صورة

في الحبال لأعرب الدعوات . حين يقول الإمام لتابعيه . هيا بنا إلى النار !! « ويوم القيامة لا يُبصرون » فهم عمرة محتجون إلى النصر . ثم هم لا يبالون هذا النصر من أحد . ودلت في مقابل مشهد القوة التي تتعللون بها في الدنيا ، وقد عرّض في السورة قبل عرّض هذا المشهد وهم في هذه الدنيا مشغوعون باللعة « ويوم القيامة هم من المفرحين » . وهو تعبير مصور لأشد حالات التقيح !

٢ . والمشهد الثاني يحكي تعقياً على قول كفار مكة . « إن شع الهدي معك تتخطف من أرضنا » فالمال والمتاع إحداهما اللذان يحسبهما على الشرك ، لا الاقتناع بهم عبي الحق ، وقد جاء التعقيب . « وما أوتيت من شيء هتاع الحياة الدنيا وربيتها » وما عند الله خير وأبقى ، أفلا تعقلون ؟ » ثم تصوير لموقفهم يوم يحضرون أمام الله . فيسألهم ذلك السؤال المحير المحزى . « أين شركائي الذين كنتم ترعون ؟ » . وهنا تعرض صورتهم ، يتصل المتشغعون من التابعين ويشرأول إلى الله من تعة إغواء العاوين . « قال الدين حق عليهم القول » واستحقوا بأعمالهم العذاب : « رب هؤلاء الدين أعوب » . أغويائهم كما غويّا » فحين لم يصنع معهم شيئاً ، فقد غويّا نحن وضللنا فاتبعونا هم في ضلالنا وغيا ، فإن كان له عمل في إغوائهم ، فهو لنا قد غويّا أمامهم ! ثم هم لم يعدوا نحن فلسا مسؤولين عما عدوه !

وكأنما كان هذا كله لغواً . لا إحانة على السؤال : « أين شركائي الذين كنتم ترعون ؟ » فهو يدع هذا كله ، ليردهم إلى مواجعة الموضوع الأصيل « وقيل ادعوا شركاءكم » . هذا هم أولاء يدعونهم وإسهم ليعلمون أنهم لا يحبون ، ولكنهم مذهبون « فدعوه فلم

يستحيوا لهم» وإذا هم يروحون العذاب كأنما هو إجابة الدعاء ١
«ورأوا العذاب» !

وفي هذه اللحظة الحرجة الحاسمة يلفت أنظارهم في الدنيا إلى
الهدى لسي يقيهم هذا الموقف الأليم «لو أنهم كانوا يهتدون» لو ١
ولكنهم في غيهم يعمهون ! .

ثم يعود بعد هذه اللقطة إلى الموقف الذي تركناه هناك ، فها هو دا
دعاء آخر وسؤال آخر . «ويوم يناديهم فيقول : ماذا أحتم المرسلين ؟»
وبه ليعلم ماذا أحبوا ، وإيهم ليعلمون ، ولكنهم مذهولون «عميت
عليهم الأناء يومئذ» وبذت عنهم الإحاثات ، ووقفوا صامتين داهلين
«فهم لا يتساءلون» «فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن
يكون من المفلحين» ، وهذا توحية للتوبة والإيمان في اللحظة التي
يعرض فيها مشهد الصالحين المكذبين !

٣ ثم يستمر السياق فيعرض مشاهد مؤثرة من هذه الدنيا ، في
الكون وفي أنفسهم ، تدل على أن الله وحده هو الذي يصرف الكون
وإساس ثم يعقب على هذا بالشهد الثالث وهو متفق مع الشهد الثاني
في جزء منه ، ثم يختلف عنه في سائرته فإساءة هنا هو الداء هناك .
«أين شركائي الذين كنتم ترعمون ١» ولكنهم لا يتركونها للحجاب
إنما يستدعي رسول كل أمة ليشهد عليها «ورعنا من كل أمة شهيداً» ،
فقل هاتوا برهانكم «ولا برهان هناك بطبيعة الحال ، إنما هو الإخراج
والإدلال» فاعلموا أن لحق الله ، ولكن بعد فوات الأوان «وصل عنهم ما
كانوا يفكرون» فما تجمع بينهم جماعة ، وبه لاقتراء يسوب أمام
الحق ، وعيب عنهم كان م يكن له وجود .

٤ - ثم يحيى الشهد الرابع تعقياً على قصة «قارون» ذلك الذي

أعطى من كنوز الأرض ومن منافع الحياة ، ما جعل أنصار قومه تنصلع إلى منافع كمناعه وإلى دار كساره ، ثم حسف به ويداره الأرض ، ليعلم الذين تمسوا مكانه بالأمس أنهم كانوا محطتين فيما يتمون ولأن في القصة داراً فخمة كان في لصورة دار تلك الدار الآخرة نعمتها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين « وهو انساق في التعر وفي لتصوير . على السق اليهود في صور القر

سورة الإسراء^(١)

- ١ ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾
- ٢ - ﴿وكلَّ إِبْرَاهِيمَ الرَّمْيَ طَائِرَةً فِي عَنُقِهِ ، وَنُحِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ ، كَفَىٰ سَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾
- ٣ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ، وَتَقُولُونَ إِنْ لَبِثْنَا إِلَّا قَلِيلًا﴾
- ٤ ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ، وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ يَهُو فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ .

(١) السورة (٥١) مكية بلا إحدى عشرة به مكرمة

٥ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَنُكَمَا وَصِيًّا .
مَتَّوْهُمْ حَهْمٌ ، كَلَمَّا نَحْنَتْ رِدَاهِم سَعِيرًا ﴿٥﴾

المشاهد في هذه اسورة صغيرة قصيرة ولكن تعرض بمدح من
اصور حديدة فالصورة لأون تعرض حهم حصيراً للكافرين
تحصرهم وجمعهم ويصنعهم من أظرفهم وسعهم حسيماً
والصورة الثانية تعرض سحر لأعمال في كتاب مشور يرف في
عق صاحبه رفيف الطائر . حيث يكلف كل إنسان قراءة كتبه .
فيكون هو على نفسه شهيداً

والصورة الثالثة تعرض مشهد دعوة المعوثين ومشهد استجابتهم
وهو مشهد معهود في القرآن ، ولكن الحديد هنا أنهم يدعون فكيف
استجابتهم هي الحمد لله وفي هذا معارفه وسحره . ثم كما لا
يحمدون الله في الدنيا ، وأون ما تفر عنه فواشهم يوم السبت هو
التسبيح بحمده ' وصورته معوثين يسبحون تحمّل زواعة كما
تحمل السخرية ! وهم يحسرون أنهم لم يلبثوا إلا قليلاً

والصورة الرابعة تعرض مشهداً حديد بدعوة ، فكل حائمه
ستدعى باسم إمامها في الآخرة ثم أوني كتبه يمينه فيقرأ هد
لكتاب ومن أوني كتبه شماله فيقرأ أعمى كما كان في الدنيا أعمى .
هو صال في الآخرة ، كما كان صالاً في الدنيا والعنى يذكرها
في مقابل القراءة وهي تستلزم البصر ، وهي هداية في مقابل الصلوات
أيضاً

والصورة خامسة تعرضهم محشورين على أحوالهم يوم القيامة
وقد سقت صورة الحشر على الأحوال وكيفية هذه الصورة يوم
عمياناً فحسب كما شهدهم وما مضى . إيمانهم كذلك بكم وصم .
بادة في فسوة الحشر ولسحب في النار . فالحشر أعنى أنكم أعمى
بقي من الأصداف والآلاء حتى سحب أصداف ما يلقاه انفس
منكم السامع وحهم لها دائمة التسعر كلما حب رذلة سعيها
الصورة لها لمحات خاطفة وفيها مع ذلك تحديد وسوع لا
يحمل بعضها

سورة يونس (١)

١ إِنْ لَدُنَّ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ .
تُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ فِي نَجَاتٍ رَهِيمَةٍ . دَعَاؤُهُمْ فِيهَا : سُبْحَانَكَ
لِلَّهِمَّ ، وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهِ سَلَامٌ ، وَأَنْجِرْ دَعْوَاهُمْ : أَمَّا الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ .

٢ ﴿لَدَيْنَ أَحْسَرُوا الْحُسَى وَزِيَادَةً . وَلَا يَرْهَقُ وَجْهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا دِلَّةٌ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْإِخْطَاءِ هُمْ فِي خَالِدُونَ وَالَّذِينَ كَسَبُوا
السَّيِّئَاتِ حَرٌّ سَيِّئٌ مِمَّنْهَا ، وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ، مَا هُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَصَمٍ .
كَأَنَّمَا أُعْشِيتْ أَعْيُنُهُمْ فَوَاقٍ لِّمَنْ لَّدُنْهُ يُفْجِرُ الْأَرْضَ وَالْجِبَالَ
النَّارُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

(١) السورة (٥١) مكية إلا أربع آيات

٣ ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَاعًا ، ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ ، فَرَلُّوا فِيهِمْ ، وَقَالِ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ يُبَايِعُنَؤُنَ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَ وَبَيْنِكُمْ إِنَّ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ غَافِلِينَ ! هَالِكٌ تِلْكَ تِلْكَ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَصْلَفَتْ ، وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

٤ ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَارٍ ، بَتَّاعَفُونَ فِيهِمْ ، قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

٥ ﴿ وَأَسْرُوا الدَّامَةَ نَارًا أَوْ الْعَذَابَ ، وَقُصِيَ بِهِمْ بِالنُّفُوسِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

١ هي صورة فريدة .. ها في الحنة قوم «دعواهم فيها سبحانك اللهم» كأن هذه هي قصيتهم الوحيدة التي تشعلهم ، أو دعوتهم المفردة التي لا يعرفون سواها و«تحييتهم فيها سلام» فكل ما فيهم أمر واطمئنان وسلام «وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين» وهكذا يطوي الوحود كله لديهم على تسييح الله وتمجيده وشكره وحمده . لا تتحجر التسييح والحمد إلا تحيات طيبات وسلام

٢ أما الشهيد الثاني فشهد الكافرين ترهقهم قدره ، ويرين على وجوههم كدر وظلمة ، وشهد المؤمنين لا ترهقهم قتره ، إنما يعتر وجوههم الشر والرضى هذا الشهيد قد سبق في (عس) وفي (القيامة) ولكنه يعرض هنا بزيادة تكسبه الحدة وتطبعه بطابع التسرع موجره «الذين كسوا السيئات» كأنما أعشيت قطعاً من الليل المظلم ،

وهكذا يستحيل ليل حسياً محسوساً ، يمرق قطعاً ، ثم تعشى الوحوه
هذه القطع ، فيكون مشهدها هريداً ! « أولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون » .

٣ - ومشهد الحشر مع الشركاء كذلك معهود ، ولكنه هنا
كالحديد ، ولقاء بوجه إلى هؤلاء وهؤلاء . « مكابكم أنتم
وشركاؤكم » فعوا بلا حراك ، فثقلوا ، وتهدأ الحركة وتصلت
الأصوات ثم تقع حركة جديدة ، فيفصل بين هؤلاء وهؤلاء ، يد
الشركاء مرقون متحارون ! وهنا تبدأ ظاهرة التبرؤ « وقل شركاؤهم
ما كنتم إيها تعبدون » ! ومن يستشهدون « إياهم يستشهدون بالله »
« فكفى بالله شهيداً بينا وبينكم » فوالله لقد كما عافلين عن عاداتكم يا
لم شعر بها ، ولم يوها اهتماماً ، فليسوا إذن عنها بمسؤولين ! . وهو
مشهد ساخر وفي الوقت ذاته أليم « وردوا إلى الله مولاهم الحق » وتبين
أن كل ما أشركوا به ضلال ، وغاب عنهم ما كانوا يفترون

٤ - ومشهد الحشر الذي يطن المحشورون فيه أنهم لم يلبثوا في
قصورهم إلا قليلاً ، قد سبق ، ولكن يزيد عليه هنا أنهم يبدؤون يتعارفون
بعد قيامهم ، وإن هي إلا فترة قصيرة ريثما يسمعون الصبحة الثانية ،
كما ورد في سورة أخرى

٥ - ما المشهد لحامس فهو مشهد قصير ، ولكن ترسم فيه
صورة كامدة حريئة ، تم في داخل النفس ، وتلقي ظلها على الوحوه :
« وأسروا الدامه لما رأوا العذاب » التعبير لقصير يرسم صورته لمن يوجه
العذاب على حين عرة ، فيسقط في يده ، ويدرك ألا مفر ولا حدود من
المقومة ، فيستشعر في نفسه الدم ، ويسر في صميره ما يستشعر ، ثم
يقف التعبير هنا فلا يرد سمة أخرى ، تتركنا بلحاح تصور الضلال التي

نسو في الوحوه ، وهي طلال كامدة كثية لا يكاد ينفس عنها التعبير
وهذا تأخذ تلك الصورة مكانها في التصوير ، وبذلك التعبير
انقصر

سورة هود^(١)

١ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أَوَلَمْ يُعْرَضُوا
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ لِأَشْيَافِهِ هَؤُلَاءِ الدِّينُ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، أَلَا لَعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

٢ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ،
فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ . وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَشَسَّ الْوَرْدُ اسْرُودَ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
شَسَّ الرَّفْدُ الْمَرْهُودَ﴾

٣ - ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ
أَلَمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ دَيْتُ يَوْمُ
مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمُ مَشْهُودٍ وَمَا يُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَحْلَلٍ مُّعَدودٍ . يَوْمَ
أَنْتَ لَا تَكَلِّمُ نَفْسًا إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمَنْ شَقِيَ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا
فَإِنَّهُمْ فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا رَافِقُونَ وَشَهَقُوا ، حَالِدِينَ فِيهَا مَا دُمَّتِ السَّمَاوَاتُ

(١) السورة (٥٧) مكية إلا ثلاث آيات متفرقات

وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَلُّهُ لَ رَيبٌ وَأَمَّا الْبُيُوتُ
 فَسُجُودٌ فَفِي الْحِجَةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دُمَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، إِلَّا مَا
 شَاءَ رَبُّكَ ، عَطَاءٌ غَيْرَ مَحْذُورٍ ﴿١٠﴾

* * *

١ - يَرر في المشهد الأول عصر التشهير والتخجيل فهؤلاء
 جماعة كذبوا على الله في الدنيا ، فهم يعرضون على ربهم في الآخرة ،
 ويبري اليهود أمام الجموع ويقولون « هؤلاء الذين كذبوا على
 ربهم » . هكذا بالإشارة والتخصيص .

ثم لقد كان الكذب على من « على ربهم » لا على أحد آخر
 وهذه شمع « أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » وتلك زيادة في التشهير بإعلان
 ظلمهم للحق بهذا الكذب اللعين

٢ - أما المشهد الثاني فيجمع في لمحة بين الدنيا والآخرة ، وكأنما
 هي خطوة يخطوها الناس من الدنيا إلى الآخرة ، هذا فرعون
 يكذب ، ويتبعه قومه في الدنيا ، ثم ها هو ذا يقدم قومه يوم القيامة
 كذلك « فَأُورِدَهُمُ النَّارَ » أوردتهم بها فعلاً في مثل لمح النسر « وشن
 لورد المورود » ! وهكذا تنسق الصورة : يؤمهم في الدنيا إلى الصلابة
 ويؤمهم في الآخرة إلى النار .

٣ - ويحيى المشهد الثالث تعقيباً على أحد ربك للقري وهي
 طالمة في الدنيا أخذت السما شديداً ، بعدما عرض مصارع قوم نوح وقوم
 لوط وقوم هود وقوم صالح وقوم فرعون « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ حَافٍ
 عَذَابِ الْآخِرَةِ » فهي ذلك الأحد مشاه من عذاب الآخرة ثم أخذ

في وصف ذلك اليوم « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود »
وهنا ترسم صورة التجميع يشمل الناس جميعاً ، وهم يشهدون هذا
اليوم وينتظرون ما فيه . « يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه » فالصمت
الهائل يعشى الجميع ، ثم تكون عملية الفرز والتفريق .
و نحن نشهد « الذين شقوا » شهدهم في النار مكروبي الأناس
« لهم فيها زفير وشهيق » من الحر والكتمة واصبغ « الذين
سعدوا » في الجنة لهم فيها عشاء دائم غير مقصوع وهؤلاء وأولئك
خالدون ما دامت السموات والأرض ، وهو تعبير يلقى في الذهن
صفة الخلود ، وإن لم تكن السموات والأرض حالدة . وللتعابير
طلال معية ، وهذا التعبير طن الخلود ، وهو المقصود

سورة الحجر^(١)

﴿ إِنِّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعْتِ مِنْ آخَرِينَ .
وإِنْ جِئْتَهُمْ لَوَعِيدُهُمْ أجمعين ، لها سعة أبواب لكل باب منه
جبرٌ مقسوم ﴾

﴿ إِنَّا التَّقِيْنَ فِي حَيَاتِ وَعْيُونَ أَدْحَوْهُ سَلَامٌ آمِينَ ، وَنَرَعْنَا مَا
فِي صُدُورِهِمْ مِنْ عِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُورٍ مُّتَقَابِلِينَ ، لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا هَاصَةٌ
وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ .

* * *

١. السورة ٥٤ مكية لا ي . سبقها سورة يوسف وليس فيها شاهد ، وإن كان فيها ذكر
للدار الآخرة صريح

بحي ، هذا المشهد تعقياً على قصة آدم مع إبليس وخطاب هذا
 لإبليس . والحديد في المشهد أن لحهم سبعة أبواب - فهي تذكر هذا
 للمرة الأولى . أما مشهد الحمة فالحديد فيه هو الص على أنهم « لا
 تمسهم فيها نصب ومن هم منها محرجين » فمن يملك الشيطان مرة
 أخرى أن يخرجهم منها ، أو أن يردهم إلى الص الذي لاقوه في
 المرة الأولى .

سورة الأنعام^(١)

١ ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ .
 مَنْ يُضْرَبْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِمَهُ . وَذَلِكَ هُوَ الصُّورُ الْهَاسِ ﴾
 ٢ ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ، ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَسْ
 شَرِكُكُمْ يَدِينُ كَمَا تَرْعَمُونَ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فَتَسْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّهُ
 رَبُّنَا مَا كَانَ مَشْرِكِينَ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا
 كَانُوا يَفْتَرُونَ !

٣ ﴿ وَبِتَرَى إِدْوَ قَهُو عَلَى الدَّرِّ فَقَالُوا مَا لَنَا نُرَدُّ ، وَلَا
 نَكْدُبُ دِيَارَ رَبِّنا ، وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ
 مِنْ قُلْ ، وَتُزَكُّوا لَعَادُوا لَنَا نَبَا عَنْهُ ، وَإِهُمْ لَكَادُونَ ، وَقَالُوا إِنْ
 هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمُعْصِيِينَ ﴾

(١) السورة (٥٥) مكية إلا تسع آيات منقرات

٤ وَلَوْ نَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ، قُلْ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ؟
 قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا ۖ قَدْ جَاءَنَا الْعَذَابُ بِكَمْ تَكْفُرُونَ ۖ قَدْ حَبَّرَ
 الَّذِينَ كَذَّبُوا سَفَاءَ اللَّهِ . حَتَّىٰ إِذْ حَقَّتْ السَّاعَةُ بَعَثَ قُلُوبًا ۖ
 حَسَرْنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا . وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ
 الْأَسَاءَ مَا يَرُدُّونَ ۖ ﴿٤﴾

٥ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْخِرَاءِ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ
 الْإِسْ . وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ . رَبَّنَا اسْتَمْنِعْ بَعْضًا مِّنْهُمْ
 وَلِنَعْلَمَ أَخْلَاقَ الَّذِينَ أَحْبَبْتَ لَنَا ۚ قَالَ الْيَوْمَ أَتَاكُمْ هَٰؤُلَاءِ بِمَا
 شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُؤَيِّ بِبَعْضِ الْعَالَمِينَ بَعْضًا مَّا
 كَانُوا يَكْفُرُونَ ۚ يَا مَعْشَرَ الْخِرَاءِ وَالْإِسْ أَنْتُمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّنكُمْ ،
 يَقْصُصُ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ، وَيُنذِرُوكُمْ بِفَاءِ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ؟ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ
 أَنْفُسِنَا ۚ وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
 كَافِرِينَ ۖ ﴿٥﴾ .

* * *

تشتمل هذه السورة على خمسة مشاهد غير المواضع التي ورد
 فيها ذكر الجنة والنار في اختصار وإجمال

١ والمشهد الأول يرتسم من اضلال التي يلقيها التعبير «فهد»
 العذاب من الهول والشدة بحيث يعد مجرد صرفه رحمة وفوراً ميباً
 «من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه» ، وذلك «نور المي» «ساحي»

من ذلك العذاب يعد نحوه عاية الثوب وتلك ظلال تشير من حلال التعبير .

٢ - والمشهد الثاني : هو مشهد السؤال عن الشركاء ولكن الطريف هنا ، أنهم حين يُسألون يسون أنهم في الآخرة ، حيث لا تحي منهم حافية ، فيردون ردَّ مصححاً مؤدياً « والله ربنا ما كنا مشركين » وإيها لعنة وبلاء « ثم لم تكس فتشهم إلا أن قالو : والله ربنا ما كنا مشركين » فعلى من تراههم يكذبون ؟ ! إليهم لمساكين أدهلهم الحرج ، فاتجهوا إلى الكذب ، وإيهم ليعلمون أنه كذب مكشوف ، ولكنهم مضطرون !

وبذلك يتخذ المشهد طابعاً حديداً فذاً في مشاهد الشركاء الكثيرة .
٣ - والمشهد الثالث يمثلهم موقوفين على النار - موقوفين بلا إرادة ولا اختيار - تعالج نفوسهم « بحوف » وترتجف مصاصلهم من الرعب فيقولون : « ليتنا نرد ولا نكذب بأب ربنا وبكون من المؤمنين » وإيهم لسحوق ولا يستحقون « ولو رُدُّوا بعدوا لما هو عنه وإيهم لكذبون » !

٤ - وهم في المشهد الرابع موقوفون كذلك على ربهم ، يعلو الحري وجوههم ونستشعر الحجل نفوسهم ، ثم يوجه إليهم الحصاد المجلجل « ليس هذا بأحق » ؟ فيأله من سؤال « قالوا » إلى ربنا « في حصوع وحري واستسلام » ثم لم يرد على أن « قل صدقوا العذاب ما كنتم تكفرون » وقد كانوا في وقتهم يعملون أوزارهم على ظهورهم ، لا تحط عنهم ، ولا تسريح كوهلهم ، إلى أن يساقوا إلى الجحيم ، بعد صدور الأمر العظيم !

• أما المشهد الخامس ، فقد اجتمع فيه الحن والإس في صعيد واحد ، المتوعون والأناع ، وبدأ بتوجيه الخطاب إلى الحن : « يا معشر الحن قد استكثرتم من الإس » - وهذه جموع الصالحين العوين تشهد باستكثارهم من الأناع - فلا يحبون ، إنما يسري للحوار أولئك التعساء من الإس يقولون : « رَبِّ اسْتَمْعْ بَعْضًا يَبْعُضُ » فلقد كانت شركة على الاستمتاع والانتفاع ، يهين الشياطين للإس المتاع ، في مقبل الولاء ولا تبع ، « وبلغنا أحلكم الذي أجلب لنا » وهذا نحن أولاء في يوم البعث أمامك يا ربنا ! عندئذ يصدر الأمر ابذي لا يرد . « قال : النار مثواكم خالدين فيها » وهو الأمر استظر بعد هذا الاعتراف لصويل ، وبعد ما كان في ديار العافلين .

ثم يوجه السؤال إلى الجميع بساً وجباً . « يا معشر اجن والإس ، أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ، وَيُذَكِّرُوكُمْ بِقِيَامِ يَوْمِكُمْ هَذَا » وإبه ليعلم ، ولكن الاعتراف المخزي هو في ذاته عذاب « قالوا : شهدنا على أنفسنا » فلا محال اليوم لغير الاعتراف والشهادة على النفس باستحقاق العذاب ، « وعزَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » فكان هذا هو المصير « وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » وإليك تشهد الآن هذا الحوار ، ونسمع السؤال والاستكار ، لأن السياق يحدث عنه كانه في العيان .

سورة الصافات (١)

﴿ يٰٓأَيُّهَا مَن فِي رَحْمَةٍ وَاحِدَةٍ ۖ إِذْ هُمْ بِبُصُورٍ ۚ وَهَالِكٍ ۚ وَبِئْسَ ۙ

(١) السورة (٥٦) مكية

هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشرو الذين
ظلموا ورواحهم وما كانوا يعدون من دوزن الله ، فاهدوهم إلى صراط
الحكيم ، وقصوهم إنهم مستولون ما كنتم لا تناصرون ؟ بل هم اليوم
مستسلمون ﴿ ١ ﴾

﴿ وقيل بعضهم على بعض يتساءلون قاتلوا بكم كنتم تأبسون ﴾
عن اليمين قالوا : بل لم تكونوا مؤمنين . وما كان لنا عليكم من
سلطان ، بل كنتم قوماً طاعينين ، فحق علينا قول ربنا إنا لداثقون ،
وعويناكم إنا كنا عاوين فيهم يومئذ في العذاب مشتركون . إنا كذلك
نفعل بالمجرمين إنيهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ؛
ويقولون أثنا لتركوا آلهتنا لشاعر مجنون ؟ بل جاءنا الحق وصدق
الرسول إنيكم لداثقوا العذاب لأنهم ، وما تحروا إلا ما كنتم تعملون ،
إلا عاذ الله المحلصين . أولئك هم رفق معلوم فواكه وهم مكرمون ،
في حياتهم النعيم ، على سرر متقابلين ، يطاف عليهم بكأس من معين ،
بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها عول ولا هم عنها يسرفون ؛ وعندهم
فصارات الطرف عين ، كأنهم يبصرون ﴿ ٢ ﴾

﴿ وقيل بعضهم على بعض يتساءلون قاتل قاتل منكم إني كان
لي قريب ، يقول أثلك بين المصدقين ؟ أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً
أئنا مدبون ؟ قال هل نهم مطلقون ؟ فاطلع فراه في سواء الححيم
قال والله إن كذب لتردين ، ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين

أَفَدَّ بَحْرُ عَمِيْسٍ إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَى ، وَمَا بَحْرُ مَعْدِيْبٍ ؟ ﴿١﴾
 ﴿إِنَّ هَذَا نَهْوُ الصَّوْرِ الْعَظِيمِ لِمَثَلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾
 ﴿أَدَبُكَ حَيْرٌ بَرًّا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ ؟ إِيَّا حَعَلَهَا فِتْنَةً لِلنَّظَّالِمِينَ .
 إِيَّا شَجَرَةَ تَمْرَحُ فِي أَصْلِ الْحَجِيمِ . طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رَهْؤُسٌ لِّلشَّيْطَانِ
 فَيَأْكُلُونَ مِنْهَا فَدَيُّوْنَ مِنْهَا النَّطُوبُ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ لَشَرِبَاءُ مِنْ حَمِيمٍ
 ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْحَجِيمِ﴾

• • •

نحن أمام مشهد من المشاهد لمطولة المتعددة الجوانب ، المتنوعة
 الأساليب ، المردحمة بالمناظر الحية والحركات المتتابعة ، يلتقي
 فيها الوصف بالحوار ، فتسير على نسق الحكاية فترة ، ثم
 تنتقل إلى نسق الحوار أخرى ويتحلى سير الحوادث والمناظر تعليقات
 على كل منها ، هي أشبه شيء بتعليق المعلقين في ساحات الاستعراض
 على ما يقع فيها ، ويستحق الالتفات الخاص ، وبذلك كله يستكمل
 المشهد كل سمات الحياة . وقد جاء هذا الاستعراض طويلاً رداً على
 جماعة يقولون : «أئذا ميتاً وكُنَّا تَرَاءً وعظماً أئذا نَمْعُوْثُونَ ، وَ
 آتَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ» ؟ وكان الرد : «قُلْ . نعم ! ونتم داحِرُونَ» أي
 دلولون مُستسلمون ثم أخذ في هذا الاستعراض الطويل «فَأَمَّا
 هِيَ رَحْرَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ نَظُرُونَ» وهكذا في ومضة خاطفة بمقد
 ما تبعث صيحة واحدة ، تسمى هذا «رَحْرَةً» للدلالة على لون من الشدة
 فيها والعبث في توجهها ، والاستعلاء في مصدرها فإذا هم يظرون ،

محاة وبلا تمهيد أو تحصيل ، وإد هم يصيحون مبهوتين : « يا ويلنا هذا يوم الدين » وبينما هم في بهتتهم إذا صوت يحمل إليهم التقرير من حيث لا يتوقعون . « هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون »^١ وهكذا ستقل الساق من البحر ، إلى الحطاب يوجه من كانوا يكابون يوم الدين وإن هي إلا تقريرة واحدة حاسمة ، ثم يتوجه الأمر إلى الموكبين بالسفيد . « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دُونِ اللَّهِ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ، وفوههم بهم مسئولون » . وفي الأمر على ما فيه من طعنة جارمة تهكم واضح في قوله « فاهدوهم إلى صراط الجحيم » لما أعجبها هداية خير منها الضلال ! وإياها هي الرد المكافئ لما كان منهم من ضلال وإد لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم ، فبهتوا في الآخرة إلى صراط الجحيم !

وها قد نفذ الأمر ، فهدوا إلى صراط الجحيم ، ووقفوا على استعداد للسؤل وعندئذ يوجه إليهم الحطاب بالتقرير في صورة الاستهزام ، والسخرية في هيئة السؤل « ما لكم لا تنصرون ؟ »^٢ ما لكم لا تبصر بعصكم بعضاً وأنتم هب جميعاً ومعكم ما كنتم تعدون ؟ وطبعي أن لس هناك جواب ، ولكن برؤوس لمكسه والوحوه المحولة

وهو يرد تعليق من تلك التعليقات المقصود بها البصرة لشرح نقطة في الاستعراض : « بل هم مستسلمون »^٣

ثم يعود السياق مرة أخرى إلى الحكاية والقصص ، ليرى مشهدهم يحاد بعضهم بعضاً : « وأقل بعضهم على بعض يتساءلون : قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن أنبياء أي تأسسون لنا عن يميننا .. وهو المعتد

في حالة نوسوسة بالأسرار عالياً - فأنتم مسؤولون عما صرنا إليه سبب
 هذا الإغواء القديم وعمدته سرى المتهمون لتسفيه ذلك الاتهام .
 وإلقاء الشعة على العدين «قلوا : بل لَمْ تكونوا مؤمنين» فأنتم
 بطيئعتكم مصروفون عن الإيمان «وما كان لنا عليكم من سلطان»
 برعكمكم به على قول رأيا «بل كنتم قوماً طغين» لا يفقد الإيمان
 إلى قلوبكم ، ولا تفهون عند حدكم فيما يحسن وما يسوء «فحق
 عين قول رسا ، إنا لذائقون» فقد استحققنا العذاب بما عرين
 «فأعزيناكم إنا كُنّا عاوين» وقد ابرلقتم معا سبب استعدادكم
 للعوبة ، لا لأنا علمت عليكم سلطاناً ! فلماذا عكم مسؤولين .

وهنا برد تعليق آخر ، وكأنه حكم بعين على رؤوس الجميع
 بحيثياته وأسانيه «فإنهم يومئذ في العذاب مُشتركون . إنا كذلك
 بفعل بالمرحمين إهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله . يَشْكُرُونَ ،
 ويقولون أننا لتاركو آلهتنا يشاعِر محول ؟ » .

ثم يكمل التعليق موحهاً آخره إلى أوْشك المكذير . «بل حاء
 ناصق وصدق المرسلين ، بكم لذائقو العذاب الأليم وما تُحْزَوْنَ إِلَّا
 ما كنتم تعملون . إِلَّا عبادَ الله المخلصين»

وحين ينتهي التعليق بهذا الخطاب ، وينتهي الخطاب بذكر
 عباد الله المخلصين يعود العرض على نسق الإحبار المصور للنعم لدي
 يلقاه عباد الله المخلصون وهو نعيم معوي ومادي ، تستمتع به النفس
 والحس ، فهم أولاً عباد الله المخلصون ، وفي هذا تكريم أي تكريم ،
 وهم عبد الله «مكرمون» كما هو المفهوم ، ثم إن لهم متاعاً مادياً
 «فواكه» و«سُرر» وراحة كاملة ثم «يُطاف عليهم بكأس من

مَعِينٌ ، بِيضَاءَ لَدَةِ لِلشَّارِبِينَ ، لَا فِيهَا عَوْلٌ وَلَا هَمٌّ عَنْهَا بِسُرْعَى
وَنَتَكُ أَجْمَلُ أَوْصَافِ الْحَمْرِ ، الَّتِي تَحْقُقُ لَدَةَ الْخَمْرِ ، وَتَنْفِي عَقِيلَ
سِرَابٍ فَلَا حِمَارَ يَصْدَعُ الرَّؤُوسَ ، وَلَا بَرْقَ يَذْهَبُ ، يَقُولُ
«وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ عَيْنٌ» حُورٌ حَيَّاتٌ لَا تَمْتَدُّ أَبْصَارُهُنَّ إِلَى عَمْرِ
أَصْحَابِهِنَّ ، مَعَ أَنَّهُنَّ «عَيْنٌ» وَاسِعَاتُ الْبُيُوتِ ۱ وَهُنَّ كَذَلِكَ مَصُوبَاتٌ
«كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكُونٌ» لَا سَتْدِيلُهُ لِأَيْدِي وَالْعُيُورِ

ثُمَّ يَمْضِي فِي الْحِكَايَةِ الْمَصُورَةِ ، فَرَى عِبَادَ اللَّهِ الْمَحْلُصِينَ هَؤُلَاءِ -
بَعْدَ مَا يَسِرَتْ لَهُمْ كُلُّ هَذِهِ الْمَتْعَةِ - يَعْجَمُونَ سَمَرَهَا دَيْئًا ، يَتَذَكَّرُونَ
فِيهِ الْمَاضِي وَالْحَاضِرَ ، وَذَلِكَ فِي مَقَابِلِ النِّحَاصِ وَالتَّعَاسِ لَدَى يَقَعِ
بَيْنَ الْمُحْرَمِينَ وَهَآ هُوَ دَا أَحَدُهُمْ يَسْتَعِيدُ مَاضِيَهُ ، وَبِقِصَصِ عَلَى إِخْوَانِهِ
طَرَفًا مِمَّا وَقَعَ لَهُ ، لَقَدْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ يَكْذِبُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَكَانَ
مُحَاوِرُهُ وَبَسَائِلُهُ : «يَقُولُ تُنْكُ لَمَسَ الْمُصَدِّقِينَ ؟ أَتَدَا مِنَّا وَكَيْ تَرَاهُ
وَعِظَامًا أَتَدَا لِلدُّيُورِ ؟» هَكَذَا كَانَ صَاحِبُهُ يَدْهَشُ لِتَصْدِيقِهِ بِالْعِثِّ
وَالْحِرَاءِ .

وَبَيْنَمَا هُوَ مَاضٍ فِي قِصَّتِهِ يُخْطِرُ لَهُ أَنْ تَتَقَدَّ صَاحِبُهُ هَذَا يَعْرِفُ
مَصِيرَهُ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ بَطَبِيعَةِ الْحَالِ أَنْ يَكُونَ قَدْ صَارَ إِلَى الْحَجِيمِ فَهُوَ
يَقِفُ لِيَتَطَّلَعَ وَيُوحِيهِ بَطَرِ إِخْوَانِهِ إِلَى حَيْثُ يَتَطَّلَعُ ، «قَالَ : هَلْ أَنْتُمْ
مُطَبِّعُونَ ؟» ثُمَّ يَطْرُقُ فَيَرَى صَاحِبَهُ حَيْثُ تَوَقَّعَ «فَاطَّلَعَ مَرَّةً فِي
سَوَاءِ الْحَجِيمِ» ۱

عِنْدَئِذٍ يَتْرَكَ إِخْوَانَهُ ، وَيُنَوِّحُهُ إِلَى صَاحِبِهِ هَذَا الَّذِي وَحْدَهُ فِي
وَسْطِ الْحَجِيمِ يَتَوَحَّهِ إِلَيْهِ لِيَقُولَ : يَا هَذَا ، لَقَدْ كَذَبْتَ تَوَرَدَنِي مُوَارِدَ
أَرْدَى بُوَسُوسَاتِكَ ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أُنْعَمَ عَلَيَّ فَهَمَّ سَتَمَعَ إِلَيْكَ «قَالَ

تَالَيْهِ إِنْ كِدْتَ تُزْدِيرِ ، وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمَحْضَرِينَ »
 أي الذين يساقون إلى الموقف ويُحْضَرُونَ وهم كارهون ثم يسمر
 في تأنيبه بتذكيره بما كان يقول : « أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلُ
 وَمِنْ بَعْدِهِ ؟ » كما كنت نقول أيها القريب المشؤوم !
 وهو يرد تعليق من هذه التعليقات التي أسلفنا : « إِنَّ هَذَا يَهْوَى الْفُورُ
 عَظِيمٌ لِشَرِّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ » .

ثم يستمر التعليق بلمت النظر إلى ما يقابل هذا الفور ، وهو
 لعذاب الذي يصلاه المكذبون فالمواربة هنا بين الحائل تحيى في
 إبانها المناسب وفي هذه المواربة تعرض صورة كاملة للعذاب ، تالية
 لموقف لحساب الذي عرّض في أول مشهد بعد الرحلة الواحدة .
 فهذه شجرة الرقوم وقد مر ذكرها في مشهد آخر ولكن هذا
 بعض التعريف لشجرة الرقوم التي لا يعرفها المستمعون . « إِيَّاهُ شَجَرَةٌ
 تَحْرَقُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ » أي شجرة تبت في أصل الجحيم ولا تحترق
 لأنها من نوع هذا الجحيم ! ولزيادة التعريف فاسمع : « طَلَعُهَا كَأَنَّ
 رُؤُوسَ شَيَاطِينٍ ، أَعْرِفْ أَيُّهَا الْقَارِئُ رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ ؟ » نعم !
 فمن محيلة الإنسان بنت صورة الشياطين ، وهي تنير في نفسه لفرع
 والرعب ، وهو يتصورها ويستحضرها كل حين !

وهؤلاء الظالمون انبارلون في جهنم يأكلون طلع هذه الشجرة
 يأكلون رؤوس الشياطين هذه . « فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا قَائِلُونَ مِنْهَا الطُّونُ »
 أي إذا شاكت حلوقهم ، ورحمت بطونهم ، وتطلعوا إلى برد الشراب
 يقع الغلة ويطفئ اللهيب ، فإنهم لشاربون عليها ماء ساجاً مشوباً ،
 يردون بعده إلى عذاب الجحيم .

سورة لقمان^(١)

١ ﴿مَتَّعْتُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطَّرَّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ عَلِيظٍ﴾

٢ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَارْجَوْا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ

عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ حَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾

• • •

١ تصوير العذاب بأنه عليظ تحميم للمعوي يبرره للحس محسوساً وله في القرآن نظائر كثيرة ، وهذا ليس مشهداً من مشاهد القيامة على النحو الذي ستعرضه في هذا الكتاب ، ولكنه صورة مجسمة للعذاب ، ها وقع حاص في استشعار ذلك العذاب

٢ - والصورة الثانية ترسمها الظلال السارية بين السطور في هذا التعبير ، وهي ظلال تلمحها النفس ، ولا تكاد تدنو بلحس ، حيث تنقطع الروابط ، وتنقسم العرى ، وبصل التكافل المعهود في انديا بين اقرب الناس وأولاهم بالتكافل - الولد والوالد والعدالة مطلقة ، ولسعات محددة ، والموقف عصيب وذلك الوصف لليوم يصور اهل تصويراً نفسياً كاملاً ، دون أن يتعرض لوصفه المباشر فحين يقف فعل الروابط الوثيقة بين الوالد والمولود ، يكون ذلك ولا شك يوماً عصياً حد عصيب

(١) السورة (٥٧) مكية إلا ثلاث آيات

سورة مائدة (١)

١ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ، يُرْجَعُ
بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلِ ، يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا :
لَوْلَا أَتَمَّ لَكُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا .
أَنْحَرُ صُدُّدًا كَمْ عَنْ أَهْدَىٰ عِندَ إِدْ حَاءَ كَمْ ، بَلْ كُنْتُمْ مُحَرَّمِينَ !
وَقَدْ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا : بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَهُ أَنْ يَكْفُرَ بِاللَّهِ وَتَحْمِلُ لَهُ بُدَادًا ، وَأَسْرَارًا السَّامَةَ لَمَّا رَأَوْا
الْعَذَابَ ، وَحَمَلُوا الْأَعْلَالَ فِي أَعْقَابِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُخْرَبُونَ
إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾

٢ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ، ثُمَّ يَقُولُ الْمَلَأْتُكَ أَهْلُؤَاءَ
إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا : سِحْحَاتُ ۝ أَنْتَ وَلِيًّا مِنْ دُونِهِمْ ،
بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ لِحُرٍّ ، أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ فَايَوْمَ لَا يَحِلُّ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَعًا وَلَا ضَرًّا ، وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا دُونَهُمَا عَذَابُ
النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ۝﴾

٣ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ مَرَعُوا فَلَا قَوَّةَ ، وَأُحْزِنُوا مِنْ مَكَانٍ
قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ . وَأَنَّىٰ هُمُ التَّنَادُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ؟
وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ، وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَحِينَ

(١) السورة (٥٨) مكة لا آه

بيهم وبين ما يَشْتَهُونَ كما فَعَلَ نَاشِئاعَهُم من قَبْلُ ، إِيَّاهُمْ كَانُوا
فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ! ﴿ ١ 〉 .

♦ ♦ ♦

المشهد الأول مشهد النحاصم واحجور بين التابعين والمتنوعين من
الصالحين وقد سقت له بظائر ولكن الحديد الذي يذكرها للمرة
الأولى هو تسمية التابعين بالدين استضعفوا ، والمتنوعين باندبب استكروا
وفي الحوار تبوع . قالدين استضعفوا يحرمون نأهم لولا الدين استكروا
لكنوا مؤميين ! والدين استكروا يرذلونهم وهم يقولون عن أنفسهم
التهمة : « نحن صدقكم عن اهدي بعد إدهاءكم » ثم يحبسهم
بأشمة العليظة « بل كنتم مجرمين » ! عندئذ ينطق المستضعفون
في حراة يعدون عليهم آثامهم ومكرهم ، ووسوستهم هم بالليل والنهار ،
وأمرهم باتحاد آلهة أندادا لله .

ولما كان هذا كله لا يحلدي ، فقد أحسوا ابدامة الحسرة . ثم
كنموها في نفوسهم ، واستسلموا لمصير المحتوم في يأمن عقيم !
ويريد المشهد هذا أن يحتم هذه السجورة بجعل الأغلال في أعناق
الجميع ، فكلمهم كافرون ثم يلتفت من الحكاية إلى تعليق في
صورة سؤال « هل يحروون إلا ما كانوا يعملون ؟ » وذلك التعليق يرد
المشهد حاضراً ، ويحيل المستمعين بظارة ، كأن الأمر يُشهد الآن
ويكون .

٢ وفي المشهد الثاني يرى الملائكة حاصري الحشر ، حيث
يوجه إليهم الحصب على مرأى « مسمع من المحشورين » هؤلاء
إياكم كنوا يعملون ؟ » وإن الله يعلم . ولكنها فصيحة عامة

وتشهير علي على رؤوس الجموع^١ ويكون رد الملائكة بالترؤ من
هذا الإثم ، ولتنزيه الله عن الشرك «فالو . سحابت أنت
وينا من دوسهم بل كانوا يعدون الحرس ، أكثرهم بهم مؤمنون» !
وتم المصيبة ، وتحقق التشهير ، وعدت بصدر الحكم في
مواجهة المتهمين : «فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نصراً ،
ويقول لذين طموا دوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون»
٣ أما المشهد الثالث فلم يسبق له مثيل ، وهو حافل بالحركة ،
والشد والحذب ، فأنص بالحياة بسب هذه الحركات المتواليات
ها أنت ذا تراهم وقد فرغوا ، وكأنما أرادوا الإفلات ، ولكن
«لا فوت» ، ولا إفلات ، فقد قبض عليهم «وأخذوا من مكان
قريب» ! عدت استسلموا «وقالوا . آم به» وهم في فرعهم
ومحاولتهم الإفلات ، وأخذهم ومسرعتهم للإيمان ، كأنما يسألون
هذا الإيمان هشا وطوحه ، وهو بعيد عن متناولهم لا تطوله أيديهم .
«وأي لهم التناوش من مكان بعيد ؟» والتناوش هو التناول ، ولكن
في طوحه ونهشة ، واللفظ يجرسه معبر عن هذه الحركة كل لتعير .
أي لهم «وقد كهروا به من قبل» ؟ وكانوا يرجمون بالعيب ، وهم
بعيدون عنه ، ولكنهم كانوا يحرمون ، ولا يدعون محالاً للمسحوق
الذي لا يعلمون ؟ «ويقذفون بالعيب من مكان بعيد» . وبعد هذا
التعيق لمعرض لبيان حاشم ، وحقيقه موقفهم التي ستحفوا بها أعداد
يتمم المشهد ، فقد حبل بينهم وبين ما يشتهون من الإفلات ، ومن
التمويه بالإيمان بعد فوت الأول ، كما فعل ناشياعهم من قبل
فذلك جزاء مقرر للمكذبين من الأولين والآخرين «إيهم كانوا في
شك منه مريب»

سورة غافر^(١)

١ ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَىٰ لَحْذَرٍ كَظْمِيرٍ ،
مَا لِبَطْلَانٍ مِنَ الْحَمِيمِ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝﴾ .

٢ - ﴿وَبَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُذْبِرِينَ ،
مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۝﴾ .

٣ ﴿وَإِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ ، فيقول الصَّعَمَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعَذِّبُونَ عَنَّْا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ؟ فَإِنَّ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ! إِنْ لَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعَادَاتِ ! وَقَدْ الَّذِينَ
فِي النَّارِ لِحِزْنَةٍ حَتَمَ : اذْعُبُوا رُتُوكُمْ يُحَقِّقْ عَنَّْا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ !
قَالُوا أَوَ لَمْ تَأْتِكُمْ سُلُوكُكُمْ بِبُيُوتَاتٍ ؟ قَالُوا بَلَىٰ ! قَالُوا
فَاذْعُبُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ! إِنَّا لَنَصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ
آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَفْعَلُ الظَّالِمُونَ
مَعْدِيرَتَهُمْ ، وَهُمْ فِي الْمَلْعَةِ وَهُمْ فِي النَّارِ ۝﴾

٤ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلَ بِهِ رُسُلًا ، فَسَوْفَ
نَعْمُونَ إِذِ الْأَعْلَالُ فِي أَعْقَابِهِمُ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ، ثُمَّ
فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ، ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ : أَيُّ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟
قَالُوا ضَلُّوا عَنَّْا ، بَلْ لَمْ يَكُنْ يَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُصَلُّ
لِلَّهِ الْكَافِرِينَ ۝﴾

(١) السورة (٦٠) مكية لا مدنية

١ - المشهد الأول مشهد «الأدفة» وهي القيامة مصورة بصورة الواقعة السريعة ، وقد صافت الصلور ، ورهفت النفوس ، وبع الصيق كأن القلوب تغدر مكانها فتحشر في الحاجر ، وتكرب النفس ، وتكظم الأنفاس

وفي وسط هذا الصيق كله ، ليس لطاين من صديق يشون له ، وينصون عن صدورهم بالث ما يصيق به ، وليس هم من شيع دي كلمة مسموعة ، يسعى لهم في تهريج الكرب ، ورفع الحرح ، وهم هائل بين الصيق والافراد والإهمال . وكل ذلك يتمثل في كلمات قلائل ، مشحونة بالصور حافلة بالضلال .

٢ - والمشهد الثاني مشهد فريد بين مشاهد القيامة جميعاً ، فلمرة الأولى تشهد جماعه من المعوثين يولون الأدبار عند ابداء يحولون الفرار ، وإن لم ينفعهم هذا لفرار فدهم من الله من عاصم

والمشهد الوحيد الذي يمت إليه صلة جاء مد قريب في سورة ساء «ولو نرى إد فرعوا فلا فوب وأحدوا من مكان قريب» . ولكنه كان هناك مجرد فزع يتلوه الأخد ، أما هنا فقد وبنوا الأدبار فعلاً ، ثم أخذوا بعد الفرار !

٣ - والمشهد الثالث مشهد الحور والحصام بين المستكبرين والضعفاء وقد سقت مشاهد من هذ القليل - ولكن المشهد هنا ليس تكراراً لها ، فهو يتجدد في التفصيل .

ها يطلب الضعفاء من الأقوياء أن يؤدوا هم ديبهم . فيحموا عنهم نصيباً من العذاب . «إيا كما لكم تعافهل ثم معون عند نصيباً من النار ؟» ويصيق الأقوياء صندراً بهذا الاستهزام المطوي على

التائب ، ويرزون أنفسهم يحتفلون من العذاب أقصاه ، فلا محذور
 لاحتمال قسط آخر من نصيب الضعفاء ، فيطلقونها كلمة نضيق بها
 الصدور . « إنا كلُّ فيها » ويعقوبها بتسليم الأمر كله لله ، والتحوي
 عن الصفة التي يطالبهم على أساسها الضعفاء بالاحتمال ، صفة العلو
 والاستكبار ، فإن هم إلا عبيد كالعباد . « إن الله قد حكم بين العباد »
 ثم يتوجه هؤلاء ، وهؤلاء إلى حراس جهنم ، يرحلونهم في ضراعة ن
 يشفعوا لهم عند الله ، وأن يدعوهم فقد يجيب الدعاء ، فيحفظ عنهم
 يوماً من العذاب .

ولكن الحراس يعرفون حدود اختصاصهم ، ويعلمون من ماضي
 هؤلاء الذين في النار ما لا يشجعهم على الاستعصار . « قاذبوا ، أولم تك
 تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ » وهو سؤال لتقريع والتذكير « قاذبوا »
 بلى ! « عندئذ ينقض الحراس أيديهم من الأمر ، في راية وتهمكم ،
 ويدعوهم يتوبون أمرهم بأنفسهم على يأس من حدود المحاولة والدعاء
 « قالوا : هادعوا !

وسمع من وراء ستار تعبيراً على هذا الدعاء . « وما دعاء الكافرين
 إلا في صلال ! » وذلك حق وهو الذي يتفق مع العدالة : « إنا لنصر
 ربنا والدين آسوا في لحظة ادبنا ، ويوم يقوم الأشهاد ، يوم لا
 ينفع الظالمين معذرتهم وهم المعتة وهم سوء الدار » كما رأيت من حل
 أهل النار !

٢ . المشهد الرابع مشهد الأعداء في الأعداء والسلام في
 الأعداء ، ومشهد انسحب إلى جهنم ولسحر في النار (من سحر بك
 إذا شدة إلى الساحور) ثم التائب والتقريع . « أين ما كنتم تشركون من
 دونه ؟ » و « حوب : « صبروا عما » وعابوا بل الأطراف من ذلك

فوقهم « بل لم يكن يدعو من قبل شيئاً » ! فما عبدنا لا يستحق أن يكون شيئاً ! . ثم التعليق من وراء ستار . « كذلك يُصلُّ الله الكافرين »

سورة الزمر^(١)

١ ﴿ قُلْ : إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا دَلِيلٌ هُوَ الْخَسِرُونَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ طُلُوفٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ طُلُوفٌ ، ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ ، يَا عِبَادَ فَاتَّقُوا ﴾ .
﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَهْمَهُمْ عُرِفُوا مِنْ فَوْقِهَا عُرِفُوا بِسَبَبِهِ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

٢ ﴿ أَفَرَأَيْتَ يَتَّقِي بَوحه سوء العذاب يوم القيامة ؟ وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ .

٣ ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَحَؤُهُمْ مُشَوَّذَةٌ ، لَيْسَ فِي حَقِّهِمْ مَثْوًى لِمُتَكَبِّرِينَ ؟ وَيَسْأَلُ اللَّهُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عَمَارَتَهُمْ . لَا يَحْسَبُهُمُ السَّوَاءَ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

٤ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ . وَالْأَرْضُ حَمِيعاً قَلْبَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاسْمَواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ سَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُبْطَلُونَ وَأُشْرِفَتْ

(١) السورة (٥٩) مكية إلا ثلاث آيات

لأَرْضُ نَوْرٌ رُبُّهَا ، وَوُضِعَ لِكِتَابُ ، وَحْيٌ بِالسِّينِ وَالشَّهَادَةِ ،
وَقُصِّيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ، وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِيتُ ،
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٠﴾ .

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ دُمَرًا ، حَتَّىٰ إِذَا حُيِّدُوا فَتَحَتِ
أَبْوَابُهَا ، وَقَالَ لَهُمْ نَارُهَا : أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ
رَبِّكُمْ ، وَيُنذِرُوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ؟ قَالُوا بَلَىٰ ! وَلَكِنْ حَقَّتْ كُمَةُ
الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ : ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ،
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ الْمُتَكَبِّرِينَ ! ﴾

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ تَوَفَّوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْحِجَّةِ دُمَرًا ، حَتَّىٰ إِذَا حُيِّدُوا
وَفُتِحَتِ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، خُذُوا خُطوبَها
حَالِدِينَ وَقَالَ الْاِحْمَدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ ، وَأَوْرَثَنَا الْاَرْضَ
نَسُوءًا مِنَ الْحِجَّةِ حَيْثُ شَاءَ ، فَتَعَمَّ اَحْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ .

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ عَرْشٍ ، يَسْتَحْسِنُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ ، وَقُصِّيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ، وَقِيلَ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

* * *

١ المشهد الأول معرض من معارض التباسق الفني الظاهر في
تصوير القرآن قال الدين كدوا مآلات ربهم لهم طلل ونكها من النار ،
طلل كالطلل الذي من يحوم ، والطلل دي الثلاث شعب ، الذي لا
طليل ولا يعني من المهب ! وهذه الفصل من فوقهم ومن تحتهم أيضا !

ليست من نار ؟ ولنا تلمهم من فوقهم ومن تحمهم سواء !

أما الذين اتقوا ، هم فلهم في مقابل لظلم من اندر غرف مسة من فوقها عرف كذا لك ، تحري من تحتها الأهر ، فالمشهد متناسق بين الظلم والعرف . وإن كان ما بين هذه وتلك شتار ، ولكن اتحادهما في المنظر مما يلاحظه التناسق في القرآن .

٢ . والمشهد لثاني يعرض صورة فريدة لأحد أصحاب النار ، لا يملك أن يدفع عن نفسه النار بيديه ولا برجليه ، فيدفعها بوجهه ! والعادة حرت أن تكون كل لأطراف هذه اللوحة تدفع عنه المؤثرات ، ولكن ها بصح اللوحة نفسه من الأدوات ! وهو على أية حال مشهد محيف ، ينم عن العجز والحيرة والاضطراب .

٣ . وفي المشهد الثالث تلوين لوحه الكاديين على الله بالسواد ، ولعله سواد الحزني والرهق ، أما الذين اتقوا فقد نحا سبب نورهم فهذه البجاء لا يكون إلا بما قسم لهم من النور ، ومجرد البقاء من هذا اليوم الذي تسود فيه أوجوه هو في ذاته نور كبير - وقد سبق الحديث عن لون من هذا التصوير .

٤ . ثم نخص إلى المشهد الرابع ، وهو مشهد رثع حافل يبدأ متحركاً ثم يسير وثيداً ، حتى تهدأ كل حركة ، وسكن كل دمة ، ويحجم عن ساحة العرض جلال الصمت ، ورهبة الحشوع ، وروعة السكون .

ها هي دي الأرض حميعاً في قصة دي الحلال ، وها هي دي السموات حميعاً مطويات بيمينه (واقرآن الحريص على التبريه والتحرير يستلهم ها التحليل والتحسيم ليندو لمشهد محسوساً عثيراً

بلحس مشعاً لنفس) ثم هـ هي دي الصبيحة الأولى تسعث ، فيصعق
 من يكون ناهياً على طهرها من الأحياء . ولا نعم كم مصى من الوقت
 حتى ببعثت الصبيحة الثانية « فإذا هم قيام ينظرون » ... وفي غير
 صحيح ولا عجيب هما ومن غير ذكر للصبيحة الثالثة تجتمع الحلائق
 ذلك ن كل شيء في هذا المشهد يتم مهدوء ، ويتحرك في سكون ،
 ضمناً للتناسق في حو المشهد كله من بدئه إلى نهايته ، فعرش ربك
 هنا يحف به الملائكة ، فما يليق الصخب في مثل هذا المقام ..
 « وأشرق الأرض نور ربها » أرض اساحة التي يتم فيها الاستعراض .
 أشرق بالبور الهادي « نور ربها » ، « وحيء ناسيين ولشهداء » وطوي
 كل خصام وحدال - في هذا المشهد خاصة « وقضي بينهم بالحق
 وهم لا يظلمون » ووقيت كل نهر ما عمت وهو أعلم بما يفعلون «
 فلا حاجة إلى كلمة واحدة تقال ، ولا إلى صوت واحد يرتفع وهكذا
 تحمل هنا عملية الحساب والحر ، لأن لقاء هنا مقام روعة وجلال .
 ودا تم الحساب وعرف المصير وُحه كل فريق إلى مأواه : « وسيق
 الدين كهروا إلى جهنم ذمراً ، حتى إذا وصلوا إليها بعيداً هناك ستقبلهم
 حزنهم تسحيل استحقاقهم لها ، وتذكيرهم بما جاء بهم إليها : « قال
 لهم حررتها : ألم يأتكم رس منكم يتلون عليكم آيات ربكم ويسروا لكم
 نفاً يومكم هذا ؟ » قالوا بلى ! ولكن حقت كلمة العذاب على
 الكافرين ، فيوقف موقف إدعاء واعراف وتسليم . « قيل ادخلوا
 أبواب جهنم خالدين فيها فليس مثوى المتكبرين »

وكذلك وُحه الدين تقوا ربهم إلى الجنة ، حتى إذا وصلوا
 هناك ستقبلهم حررتها بسلام والنساء « سلامٌ عليكم » طم .
 ودخلوها خالدين ، وهيمنت أصوات أهل الجنة بالحمد والدعاء :

الحمد لله الذي صدّقنا وعده وأررنا الأرض نتوا من الجنة حيث شاء .

ثم يحتم المشهد كما يلقي في النفس والحس روعة ورهبة وجلالاً تتسق مع المشهد كله ، وتحتمه خير حتام : وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون حمد ربهم ، وقصي يسهم بالحق ، وقيل الحمد لله رب العالمين .

فإذا انتهت السورة ، فكأنما سد الستار على المشهد وفي العين منه بقية ، والخيال يستعرضه ويتملاؤه ، والحس مستغرق في طيوه ورؤاه .

سورة فصلت (١)

١ ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ، فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا حُيِّدُوا مِنْهَا يُشْهِدُ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ، وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ . وَذَلِكَ طُنُجُكُمُ الَّذِي ظَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَنْزَلَكُمْ ، فَاصْصَبُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ . فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ، وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا فَلَا هُمْ مِنَ النُّعْتِينَ ﴾ .

(١) السورة (٦١) مكة

﴿ وَفِيصَا لَهُمْ قُرْبَاءُ فَرِيئُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَحَقُّ عَلَيْهِمْ انْقُولُ فِي أُمِّهِمْ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا حَاسِرِينَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْعَوَّ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ! فَلْيُذِقِرْ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ حَرَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، الْبَارِ ، هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ، حَرَاءُ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَأَيْتَ لَئِنْ أَصْلَاْنَا مِنَ الْخُسِّ وَالْإِنْسِ بِحَبْلِهِمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَ مِنَ الْآسَفِينَ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ، رَبَّنَا اللَّهُ ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، تَتَرَّبُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأُنْشِرُوا بِالْحَبْلِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ مَحْرُورًا أُولَئِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ بَرًّا مِنْ عَمُورٍ رَحِيمٍ ﴾

٢ ﴿ وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ : أَيْنَ شُرَكَائِي ؟ قَالُوا : آدَانَا مَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ ! وَصَلَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ ، وَطُوبَى لِمَنْ هُمْ مِنْ مَحْضِينَ ﴾ .

* * *

مشهد الحشر على طريقة حشر الحشرات ، وتجميع أولادها على آحرها كتجميع لقصب . مشهد مَرَّ ، وهي ما هي من الزرابة ولحظ من قيمة المحشورين « حتى إذا جاءوها » ولصمير هو المار .

فهى التى ترصد مآثرهم . «شهد عليهم سمعهم وأنصارهم وجلودهم كما كانوا يعمون» وهما يحيا المشهد ويشير العجب والانشاء . فهذه حوارهم وجلودهم ، تقف منهم موقف المحصومة ، أو موقف الشهادة من حيث لم يكونوا يتوقعون بل من حيث لم يكن أحد يتوقع من طارة هذا العرض الكبير ! «وقالوا لجلودهم م شهدتم عليا ؟» ولعلمهم اختاروا جلودهم لأنها ألصق بهم ، ولأنها لا ترى ولا تسمع كسمعهم وأنصارهم ! فهى هى ذى تحبهم كما يحبه العريب العريب فى موقف الشهود . «قالوا أطقا الله الذى أطق كل شيء» ثم ترتفع نبرة التأنيب من هذه الجلود : «وهو حقيقكم أول مرة ، وإليه ترجعون» . وإياه لمشهد عجب ناص بالحياة فى هذا الحوار العريب !

وحيا ينتهى لحوار بين بعضهم وبعض بينهم وبين جلودهم التى فصل الموقف بينهم وبينهم ، ولم ترل لاصقة بأحاسادهم ! .. حيا ينتهى هذا الحوار يصب عليهم التأنيب والبهكم «وما كنم يسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أنصاركم ولا جلودكم» قد كان يحظر بالكم وأنتم تقترفون ما تقترفون أن هناك من ينحس عليكم من حواركم وجلودكم ، حتى تتحصوا منها وما أنتم مستصعبين ! ما كنتم تتوقعون ذلك ، ولكن طستم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون» ما دمت عملوه متحفين فاصرف همكم فى التحفي عن الأنصار ، وحسنتم أنكم فى مأمن على الأسرار ! وإذا بالسحرية السحرة تسع لكم من أنصاركم أنتم ، ومن أسماعكم كذلك وجلودكم ولقد ساء طيكم بالله ومبلغ علمه بما تعملون «ودلكم صمكم الذى طستم بربكم أرداكم ، فأصبحتم من الخاسرين»

وهما ينتهى التأنيب والتهكم ثم يندفقت بالقول عن هؤلاء الذين

عرفنا مصيرهم في الحميم إلى الظلابة . « فإن يصروا فالبار مشوى هم »
وهي مشواهم صبروا أم حزعوا . « وإن يستعشوا فما هم من المعنيين »
وإن يطلوا العتب وذلك كناية عن طلب تصفية الموقف ولا عتذار
عما فات هل يجسوا إلى ما يطلون ، وهم في كتنا الحادين في
الحميم !

وكنى يراد أن تُقصَّ عن الظلابة قصة أولئك القوم ، في هد
الموقف ، ليعلم الجميع كيف صبروا إلى هد المصير ، فهذا يسمر
السياق ، فيذكر أنهم في الدنيا كانوا قد جعل الله لهم قرناء سوء يزيون
هم ما يعينهم من الشهوات والروايات ، وبذلك استحقوا أن يحرقوا
بالنفس في أمم قد حلت من قبهم من الحر والإيس . إهم كانوا
حاسرين »

ثم يستطرد إلى حكاية قول الكفار بعدم الاستماع إلى هد القرآن .
« لا تسمعوا هذا القرآن والعوا فيه لعلكم تعلمون » ثم يهددهم بما
ينتظرهم من عذاب شديد ، كالذي صورته آفا في هذا المشهد القريب
وإذ وصل السياق إلى ذكر العذاب المنتظر ، فإنه يعرض مشهداً من
مشاهده كأنه قد حصر : ذلك مشهد هؤلاء الذين كفروا اتباعاً
ما يريه لهم قرناء سوء من الحر والإيس ، مشهدهم معتظي حاقين
على قربائهم المحترين ! « وقد الدين كفروا ، ربنا أرننا اللذين أضلانا
من الحر والإيس نجعلهم تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين » وترسم
هذه الأنفاط وجوهاً كاشرة محقة ، وأبواباً كطمة مفترسة ، على
أولئك الفرناء الذين قادوهم إلى ذلك المصير !

وهذه المناسبة يعرض السياق للدين آموا وقربائهم من الملائكة
هم « أوليؤهم » وهم « يتبرلون عليهم » بما يحسون ، يطمشونهم

وَيُشْرُوهُمْ بِالْخَبِيرِ ، وَبِالْحَبْطِ الَّتِي كَانُوا يُوعَدُونَ . كَانُوا ، فَحَسَّ الْآنَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى مَا صَبِرَ كَان ! وَهِيَ دِي الْحَبْطِ هُمْ فِيهَا مَا تَشْتَبِي أَنْفُسَهُمْ ، وَلَهُمْ أَنْ يَدْعُوا مَا يَشَاءُونَ فِيهَا مِنْ حَقُوقٍ ، فَيَحَقِّقْهُمْ كُلُّ مَا يَدْعُونَ !

وَفِي نِهَآيَةِ السُّورَةِ يَرُدُّ مَشْهَدَ آخِرِ مَسَقَّتْ لَهُ نَظَائِرُ « وَيَوْمَ يَبَادِيهِمْ أَيْنَ شَرَكَاؤِي ؟ » وَالْحَدِيدُ هَا هُوَ الْحَوَابُ . « قَالُوا ، أَأَدْبَاكَ مَا مِمَّا مِنْ شَهِيدٍ » تَرَكَّ ذَلِكَ الْإِذْنَ وَالْعَدَمَ ، مَا يَعْلَمُ عَنْهُمْ شَيْئًا ، وَمَا شَهِدَهُ هُمْ وَحْدَهُمَا ! وَنَظَرُوا فَإِذَا الشُّوَاهِدُ كُنْهَآ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَا مَفْرَ هُمْ مِنْ الْمَوْقِفِ « وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ »

سورة الشورى^(١)

١ - ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ يَقْعَمُونَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ، هُمْ فِيهَا يَشَاءُونَ وَعْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَصْلُ الْكَبِيرُ ﴾ .

٢ ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مَرَدٌّ مِنْ سَبِيلِ رَبِّهِمْ يُعْرَصُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الرَّبِّ ، يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ ﴾ .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا - إِنَّ الْخَاسِرِينَ ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ

(١) السورة (٦٢) مكية إلا أربع آيات

أولياء يصرونهم من دون الله ، ومن يُصبر لله هـا له من سبيل
استجيبوا لربكم من قل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله ، ما لكم من
ملجأ يومئذٍ ، وما لكم من نكير ﴿

• • •

المشهدان متقاربان ، ولكن ثانيهما أبرد وأوضح ، وأشد تفصيلاً
وبينهم مع ذلك خلاف ينمي مطية التكرار فالظالمون في المشهد الأول
مشفقون مما حتمته أيديهم في الدنيا من سيئات ومظالم « وهو واقع
هم » هـا يحزون إلا من جسمه وبسببه . بينا المؤمنون الذين عملوا
الصلوات في روضات اخبات رعياتهم بحاة عذرهم
والظالمون في المشهد الثاني بدون العذاب ، ويعرضون على النار
أذلاء خاشعين مكسي الأبصار ، لا يرفعون أعينهم من الحري والذل .
بل ينظرون من طرف خفي « وهي صورة شاحصة دليلة وهم
يتساءلون في دن وانكسر . « هل إلى مرد من سبيل ؟ »

وفي هذا الوقت يبدو أن الدين أموا هم سادة الموقف ، فهم
ينطقون ويقررون فيقولون : « إن الحامرين ، الذين خسروا أنفسهم
وأهلهم يوم القيامة » وهم هؤلاء الذين « يعرضون عليها خاشعين من
الذل » !

ويكون التعليق العام على الموقف بياناً لماك هؤلاء المعروضين على
النار « ألا إن الظالمين في عذاب مقيم » حيث لا يصبرهم أحد « وما
كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله » .

وفي هذه اللحظة التي يعرض فيها مشهد الظالمين خاشعين من الذل
لا ولي لهم ولا نصير ، وقد دلت كبرياؤهم وتصاعل طغيانهم في

هذه اللحظة ينتفت السياق إلى الدنيا محددا لجميع من ذلك المشهد
 الرهيب : « استحيوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ،
 ما لكم من ملجأ يومئذ » يعصمكم « وما لكم من نكير » سكر موقفكم ،
 أو بكم ما ساقكم إلى هذا الموقف الرهيب ، ويحددكم من هذا
 المصير المرعب

سورة الزحرف^(١)

١ - ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ
 وَإِنَّهُمْ لَيَصْلُونَهُمْ عَنْ سَبِيلِ وَيَحْسُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ حَتَّى إِذَا
 حَاءَا ، قَالَ : يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ مَشْرِقَيْنِ ! فَتُسِ الْقُرْبَى
 وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ ﴾

٢ ﴿ هَلْ يَنْصَرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ؟
 الْأَجَلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ . يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ
 الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا
 الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَزُوجَاكُمْ تُحَرَّوْنَ . يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُحُفٍ مِنْ ذَهَبٍ
 وَأَكْوَابٍ ، وَفِيهَا مَا تَشْتَبِه الْأَنْهَارُ وَتَبَدُّ الْأَعْيُنُ ، وَأَنْتُمْ فِيهَا حَالِدُونَ .
 وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا
 تَأْكُلُونَ ﴾

(١) السورة (٦٣) مكة إلا آية

﴿ في المجرمين في عذاب جهنم خالدون . لا يُصْرَفُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُنْسَوْنٌ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين وبادوا . يا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْكَ ! قال : إنكم ما كنون ! ﴾ .

١ . يمتد المشهد الأول من الدار الدنيا إلى دار الآخرة فهذا هنا وينتهي هناك فأما في الدنيا فمحض أمام مخلوق تعامى عن ذكر الرحمن فلم يتذكر ربه ، ولم يجعل له حسناً في عمله ، وعندئذ يدب له شيطاناً يرافقه ، ويملي له في العواية ! وإنه ليصده عن الهدى فيحسب أنه مهتدي ، ويصله عن الصواب فيظن أنه مصيب . ثم تستمر القصة « حتى إذا جاءنا » في يوم القيمة « قال يا ليت بيي وببيك نُعَذِّدَ المشرقين » أي القريش المصاحب الذي أمليت لي في الضلال « فئس القريش » أنت ، أغويتني وأصلبتي ! وإذ كان ذلك سيقع في الآخرة فحين إذن أمام المشهد حاصراً لا مستقلاً على طريقة القرآن وإذ النداء يوجه للقريش وقريبه : لن ينفعكم اليوم شيء من هذه الملاحاة ، ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب شيئاً ، ولن يخفف منه بصاً

٢ . والمشهد الثاني مشهد انمحاء محيي الساعة ، هذه انمحاء تحدث حدثاً عريباً « الأحلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو » بعد إذ كانوا أصدقاء رفقاء . وإن عداءهم ليسع من معين ودادهم فقد كانوا من قبل يجتمعون على الشر ، ويملي بعضهم لبعض في الضلال فالיום هم يتلاومون ، ويلقي بعضهم على بعض نعة الضلال فهم خصوم يتلاحون من حيث كانوا أحلاء يتصافحون « إلا المتقين » فأرلك مودتهم باقية ، لأن اجتماعهم كان على هدى . وتناصحهم كان إلى خير ، فلا مجال بينهم للسخط والنكر .

وحينما يدع الأحمقاء يتلاحقون ويتخاصمون ، يرهف آذاننا لنسمع
 إلى التكرير يد الله المتقون « يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم
 تحزبون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخولوا الجنة أنتم
 وأزواجكم تحبرون » أي تسرون أي يشيع الحبور في نفوسكم وبصهركم في
 محباتكم . ثم يشهد فإذا صحاف من ذهب وأكواب يطاف بها عليهم .
 وإذا هم في الجنة ما تشبهه الأنفس وتلد الأعين . وهم فوق ذلك
 لجلود في هذا العجم ، وهم فوق الحبود التكرير : « وتلك الجنة التي
 ورثتموها عما كنتم تعملون » ثم توكيد بالعيم وتفصيل « لكم فيها
 فاكهة كثيرة منها تأكلون »

فما زال المجرمين الذين تركواهم مذاهبية يتلاحقون ويخصمون
 بهم في عذاب جهنم يخالدون وإليه عذاب دائم وفي درجة شديدة
 عصبية ، لا يُفتر لحظة ولا يبرد هيبه ولا يلوح لهم نارقة أمل في
 الخلاص منه ، فهم « فيه ملسون » يائسون .

وهما تصل إلى اسماعنا صبيحة يبدو أنها آتية من بعيد ، ومن خلف
 الأسراب الموصدة في الحميم إياهم ينادون مالكاً حارساً .
 يندعرونه فيمس عليهم بالهلاك « وادعوا يا مالك ليقص عليك
 ربك » قالوت هذا أمية عظمى . وحسب المايا أن يكن أمايا وإن
 هذا النداء يلقي طلاً للصيق والألم المزعين ، وإيا لنمخ من وراء
 صرخات الاستعانة بهوساً أصار صواها لعذاب ، وحسباً محاور
 الألم بها حد لطاقة ، فاسعشت منها الصبيحة المريرة « يا مالك ليقص
 عليك ربك » ولكن الجواب في تئيس وتخذيل ، وبلا رعاية
 ولا اهتمام : « إياكم ما كنون ! فلا خلاص ولا دعاء . إياكم
 في العذاب مقيمون !

سورة الدخان^(١)

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتِهِمْ أَحْمَعِينَ ، يَوْمَ لَا يُعْبَى مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً ، وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ . لَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، بِهِ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . إِنَّ شَجَرَةَ الرُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ خُلْوه فَاغْتَلَوْهُ إِلَى سَوْءِ الْحُجَمِ ، ثُمَّ ضُبُّوا هَوِّقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ . ذُقْ : إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۚ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَمْتَرُونَ ۝﴾
 ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۚ فِي حُجَّتٍ وَعِیُونَ ، يَلْتَسُونُ مِنْ نُجَسٍ وَاسْتَبْرَقَ مُتْقَابِلِينَ ، كَذَلِكَ وَرَوْنَاهُمْ بَحُورٍ عِیْنَ ، يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهِ آمِينَ ، لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى ، وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْحَمِيمِ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ، ذَلِكَ هُوَ نَقُورُ الْعَطِيمِ ۝﴾

* * *

نحن أمام مشهد قديم حديد ، سبق بعضه وبعضه فيه تحديد فالיום لا يعي مولى عن مولى شيئاً ، وهؤلاء وهؤلاء لا يبالون خلاصاً ولا نصراً . ونحن نعرف من قبل أن شجرة الرقوم طعام الأثيم . ولكن لم نكن نعرف ما الرقوم ، ولا أثره في البطن . نعم لقد تحيلنا من نظرة الرقوم وحرسها الحش أن طلعتها الذي كأنه رؤوس الشياطين ، يحز الحلق والبطن . وقد علمنا في مشهد سابق أنهم يشربون على هذا لطعام من ماء شديد الحرارة ويشربون كأنهم الحمال لمصدة بداء

(٢) السورة (٦٤) مكة

الاستسقاء ، لا تشع ولا تروى بالشراب . فالآن نشهد المحرمين يتولون من هذا الرقوم . وعلم أنه كسردي الزيت يعلي في البطون كعي الحميم . واليوم شهد المحرم وفقاً في الساحة . وسمع الأمر الذي لا يرد إلى الرابية : « حدوه فاعتلوه إلى سوء الحميم » اعتلوه عتلاً إلى وسط الحميم ، شدوه في قسوة وحشوة ، وهناك صوا فوق رأسه من ذلك الحميم المعلي الذي يشوه الوحوه . وقد تم ذلك على عيب وها نحن أولاء سمع التأيب يصاحب التعذيب . « دق ، إنك أنت العزيز الكريم ! » وذلك حراء العزيز الحكيم ، الشامح المتعالي على المرسلين « إن هدام كنتم به تمترون » وما كنتم فيه تشكون وبها يدور الأحذ والعتل والتعذيب والتأيب في حباب ، نمد أنصارتنا إلى الخاب الآخر . فإذا المتقون « في مقام أمين » لا شدة ولا حذب ، ولا عتل فيه ولا سحب ، معمون رافلون في أنواع التحرير الرقيق والسميث ، وهم متقبلون في محالهم ومتكاثرون « وزوجاهم بحور عين » وهم كذلك أصحاب لدار « يدعون فيها بكل لكمة آمين » وهم فيها خالدون « لا يذوقون فيها الموت » فلا موت إلا سونة الأولى التي نقلتهم إليها « ووقاهم عذب الحميم » وهذا وحده « هو العور العظيم » وهو فصل من رب العالمين .

سورة الجاثية (١)

﴿ وَيَوْمَ تَفُومُ السَّاعَةُ يُحْسَرُ الْمُظِلُّونَ ، وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ حَاشِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا . الْيَوْمَ تُخْرَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ هَذَا كِتَابُ

(١) السورة (٦٥) مكية لا آية

يُطَقُّ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَشِيعُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾
 ﴿فَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، فَيَدْخُلُهُمْ رُحْمُهُمْ فِي
 رَحْمَتِهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ، أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ، فَاذْكُرْتُمْ ،
 وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ وَإِذَا قِيلَ : إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ
 فِيهَا ، فَلَمْ تَأْمَنُوا بِمَا تُرْفَعُ السَّاعَةُ ، إِنْ كُنْتُمْ مُّسْتَعْتِبِينَ﴾ !
 ﴿وَيَذَاقُهُمْ سِيقَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ .
 وَقِيلَ : الْيَوْمَ نَسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ، وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
 وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ . ذَلِكَ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ، وَغَرَّكُمْ
 الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، فَيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ .

* * *

لقد تجمعت الأمم في ساحة لعرص المسيحية ، وقد حثوا جميعاً
 متحجرين في رتق البداء عليهم للحساب ، وقد نودوا جميعاً بدك
 اسداء الشامل ، وأعلوا بالدعوى التي اجتمعوا هـ من كل حدب
 وصوب «اليوم تُخْرَجُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» هـ كتاباً يطبق عليكم
 بالحق إِنْ كُنَّا نَسْتَشِيعُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فكل سجلات الدعوى
 حاضرة بين أيدي الشاهدين !

فَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، فَأَمْرُهُمْ هَبِيسِير وَمَا هِيَ
 إِلَّا لِحِطَّةٍ ، حَتَّى يَدْخُلَهُمْ رَحْمَتُهُ ، فَيَسْتَرْيَحُوا مِنْ طَوْلِ
 الْارْتِقَابِ وَمَا فِيهِ مِنْ قَنَقٍ وَاضْطِرَابٍ فَلَنُلْقِ أَبْصَارَنَا تَجَاهَ الْآخِرِينَ !

إليه التأييب الطويل ، والتشهير المحجل « أفلم تكرر آياتي تتلى عليكم
 فاستكبرتم وكنتم قوماً محرمين ؟ » أفلم تنحاهوا هذا اليوم وتندوا
 ستحدهمكم به ؟ « وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم
 ما ندري ما الساعة ، إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين » ١٢

وبعد مئة قصيرة إلى المشاهدين بشرح لهم فيها حالة القوم على
 طريقة التعليق في الاستعراضات الكبرى « ولما لهم سيئات ما عصوا
 وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون » بعد هذا التعليق يعود التأييب والتشهير
 في خطب المحرمين . « اليوم نساكم كما سيم لقاء يومكم هذا ،
 وماؤاكم النار وما لكم من ناصرين . ذلكم بأنكم تحدثتم آيات الله
 هرواً وغررتم الحياة الدنيا . »

ثم يلتفت إلى مشاهدين في تعلق أحير . « فاليوم لا تُحرحون
 من ولا هم يُستغثون » . فلتدعهم ولتصرف ، وليس في المشهد بعد
 هذا تعبير ولا تحوير !

سورة الأحقاف (١)

- ١ - ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ : أَدْهَبْتُمْ طِبَاتِكُمْ
 فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ، وَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُحْرَوْنَ عَذَابَ الْهُورِ ، بما
 كنتم تكبرون فِي الْأَرْضِ بِعِيرِ الْحَقِّ وَمَا كنتم تَفْسُقُونَ ﴾
- ٢ - ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ : لَيْسَ هَذَا بِأَحَقَّ
 قَالُوا بَلَى ! وَرَبُّ ! قَالَ عَذَابُ الْعَذَابِ مَا كنتم تكفرون : ﴾

• • •

(١١) السورة (٦٦) مكية الا ثلاث آيات متدفات

في المشهدين عرّض متكافرين على النار ، واستفهام للتوبيخ والاستنكار ، ثم قرار ، فأما الأول فواحة وتقرير « أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا » فكأنما استعدوا هذه الطيبات في الدنيا فلم يبقوا منها شيئاً للأخرة : بما نأخروا لأنفسهم من المتاع بلا حد ، وبالتداذ بلا حساب . هابيوم تحدون الهوان في العذاب في مقابل الاستنكار والفسوق

وأما الثاني فحوار ينتهي إلى قرار . « أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ » هذه الدر التي تشهدون أليست حقاً ؟ والحوار في ستسلام واحد . « بَلَىٰ أَوْرَثْنَا وَثِيكًا وَهُمْ يُغْمَرُونَ بِمَا أَلْهَوْا فِي هَٰذَا حَاجَةً لِلْإِيمَانِ . « فَنُوقُوا الْعَذَابَ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ »

وهكذا في سرعة تم الحوار ويصدر القرار فهي « كسرة ورد عطاها » كما يقولون الواقعة ثالثة . الحائي معترف « إِنِّي أَخْجِمُ » وسرعة مشهدها مقصودة . فادواحة حاسمة . ولا يحسن لأحد ولا رد . فقد كانوا سكران اسر فلا حد في يد ولا إنكار

سورة الداربات^(١)

﴿ قَتِلَ الْخَرَّاصُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ، يَسْأَلُونَ : أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ؟ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتَلُونَ ! دُوقُوا فَتَنَّتْكُمْ ، هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي حَيَاتٍ وَمَعْيُونَ ، أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ، كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ، كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ اللَّيْلِ مَا

(١) السورة (٦٧) مكة

يَهْتَجُونَ ، وَالْأَسْحَابُ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ، وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ
وَالْمَحْرُومِ ﴿١٨﴾ .

• • •

يبدأ المشهد في الدنيا وينتهي في الآخرة . يبدأ بلعبة الكاديين
للتشككير ، الذين يعمدهم الصلصال فيسهلون عن النظر في آيات الله ،
ولا يتوقعون لآخرة . بل هم يشاءون شاكين مستعدين ذلك اليوم
« إيان يوم الدين » ؟ .

والحوادث هو عرض مشهد من مشهد صدمه . فيها هم أولاء
يعرضون على النار لآثلاثهم ، وهذا هو ذا القول بوجه إليهم « تنابيث :
« ذوقوا فنتكم ، هذا الذي كنتم به تستعجلون » ! فطعم هذا العذاب
هنا من طعم تلك الفتنة هناك !

وبينما هؤلاء في النار يذوقون فنتهم ، إذا المتقون في نعم « في حنات
وعيون » وهم يتلفون هذا نعم في هول واضطشان . فهو من عند
رهم ، وهم قد عتادوا أن يتقبوا كل ما يعطيهم الله بالقول ، في حال
هذا النعم انقيم ؟ ثم هذا نحن أولاء سمع « حيثيات لحكم » . « إياهم
كانوا قبل ذلك محسبين كانوا قبلاً من الليل ما يهجعون » .
فهم إذا مستحقون للنعم ، والله لا يصيب آخر المحسبين وإياهم
سأخذون يوم لأهم كانوا يعطون ، وكان في أموالهم حق للسائل
والمحروم .

سورة الغاشية (١)

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ؟ وَحُوهُ يَوْمٌ ذُو حَاشِعَةٍ ، عَامَّةٌ ﴾

(١) السورة (٦٨) مكة

ناصية ، تصلى ناراً حامية ، تُسقى من عين آية ليس لهم طعام إلا
من صريع ، لا يُسَمُّ ولا يُعْنى من جوع .

﴿ وحوه يومئذ باعثة ، لسعيها راصية ، في حنة عابية ، لا تسمع
فيها لأغية فيها عين حارية ، فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موصوعة ،
ومارق مصفوفة ، وزرابي مشوثة ﴾

° ° °

العاشية - القيامة ، وإسها لتعشى لاس كاساهيه واسوال عما
ها لئلند كبير وللتحويل والحواف عليها مشهد دو حادين
هي حاب مه وحوه حاشعة ديلة متعة مرهقة ، « تصلى نار
حامية » . تسقى من عين باعة الحرارة لا تبرد ولا تروي . ونطعم من
شوك ترعاه لأبل دا كاساً وتعدده إدا حف ، « لا يسمن ولا يعي
من جوع » فيجتمع على تلك الوجوه عذاب الروح بالذل والحزي ، إلى
عذاب المدن بالنصب والاسار ، إلى عذاب الظلم والطوى ، وشراب
والطعام ما هو أشد من الظلم والطوى

وفي الحاب لآخر مقانة كاملة فهك وحوه باعثة ، رصة
عن مسعاها . في حنة عاليه هادئة . لا تسمع فيها لأغية وهك عين
حارية رونة عدنة ، ولهم لراحة في السرر المرفوعة ، والأكواب المهباه
للشراب ، بل الترف في اوسائد المصفوفة . والمسقط المبروشة

ودلت العيم كله في يوم العاشية وهذا قيمته الحاصة وهذا
التقابل الكامل في حرثات المنهد ، لون من ألوان التناسق في لعرض
وللتناسق في القرآن ألوان

سورة الكهف^(١)

١ ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَإِنْ يَسْتَعِثُوا
يَعَانُوا نِإَاء كَالْمُهْل يَشْوِي الْوُحُوهُ بِشَسِ الشَّرَابِ ، وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .
﴿ إِنْ لَدَيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ
عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ حُنَاتٌ عَدْنٌ يَخْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ، يُخَلِّتُونَ فِيهَا
مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ،
مُتَكئينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، يَمُومُ الثَّوَابُ ، وَحَسَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

٢ ﴿ وَبِوَمِ نُسِيرُ الْحَالِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ، وَحَشَرْنَا هَمِ قَدَمِ
نَعَادَرُ مِهِمُ أَحَدًا ، وَغُرِضُوا عَلَى رَنَكٍ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا
حَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ! بَلْ رَعِمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ! وَوُضِعَ
الْكِتَابُ ، فَتَرَى الْمُحْرَمِينَ مُشْفَقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ : يَا وَيْلَتَنَا ! مَا لِي
هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَعِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ؟ وَوَجَدُوا مَا
مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ، وَلَا يَظْلَمُ رَنَكٌ أَحَدًا ﴾

٣ ﴿ وَبِوَمِ يَقُولُ : نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ، فَدَعَوْهُمْ ،
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ تَوْبِقًا وَرَأَى الْمُحْرَمُونَ النَّارَ ، فَظَنُّوا
أَنَّهُمْ مُوقِعُونَ فِيهَا ، وَلَمْ يَجِدُوا عَلَيْهَا مَضْرِبًا ﴾

* * *

(١) السورة (٦٩) مكية إلا تسع عشرة آية

في هذه اسورة ثلاثة مشاهد ، غير الإشارات اعارضة و معصرة
لشوم الآخر .

١ فاما مشهد الأول فمشهد النار في هيئة السراشق تحيط دالطين ،
فان استعاثوا من الحر واطمأ أعيشوا بماء كدردي الريت المعلي شوي
الوحوه والخلود ، بله الخلق والأمعاء « نرس لشراب » ونا نسوء اساء
مكائاً للاتكاء ولا ارتفاق وفي ذكر الامكاء والارتفاق في النار تهكم
مرير فما هم هالك لاتكاء والارتفاق بما هم لمصب والاشنوء
ونكها مقاسه مع ارتفاق المؤمنين في الجنة ، وشدن شتان

وبينا هؤلاء كذلك إذ الذين اموا في حيات عدن . تحري من
تحتهم الأنهار ناري واعدل نسيم وهم هالك للارتفاق حقا
« متكنين فيها على الأرائك » وهم راقون في ألوان من الحرير ، نريد
عليها ساور من ذهب بلرينة وامتاع « نعم الثواب وحسب مرتقفاً »
٢ وفي مشهد الثاني يتحلى اهل المادي في تسيير الحال الراسية .

وبرور الأرض من عاريه . فهي كما رأينا في مشهد سلف وقع
صفصف لا عوج فيها ولا شواء ثم يبي ذلك مشهد الحشر الجامع الذي
لا يحلف وراءه أحداً ، وعرض الجمع صف على « ربك » وهما يحبون
عما سلف منهم من تكذيب . فلمع الحزني على الوحوه ، والذل في
بلامح « لقد خنتمونا كما خلقكم أول مرة » حشم أيها القوم
وكنتم برعمون أن لن يحثوا ند ، « بل رعمم أن نر جعل لكم موعداً »
ثم اذا ترون الآن ، وقد كان ما كان ؟!

« ووضع الكتاب » وهنا بلمح مشهداً فريداً . هؤلاء هم المحرمون
حائمين من هذا الكتاب وما فيه صمعي الصدور بدفته التي لا تعرفها
فئة « وقلوا مال هذا الكتاب لا يعدر صعره ولا كبرة إلا

أحصاها ؟ » به لكذلك أي الإحسان ، ولا حيلة لكم ولا مهر من هذا
 لسحل الدقيق « ووجدوا ما عملوا حاصراً » شاحصاً حاصراً نفسه كأنه
 جاء بلا محيى « ولا يظلم ربك أحداً »

٣ ومشهد اشركاء والمواجهة بهم يوم القيامة مشهد مكرر في
 عمومهم ولكن الحديد هـ أن يقال لهم « نادوا شركاء الذين عثم »
 فيسبون أنهم في العلم الآخر ، وأن هؤلاء الشركاء لا يمكنونهم شعراً ،
 ويدفعهم هؤلاء لأن ينادوهم فعلاً « فدعوه فلم يستجيبوا لهم » فقد
 وضعت مهادنة بين الفريقين « وجعلنا بينهم موقفاً » وكل منهم على
 حافة هذا الموق ، وهو فاصل بينهما ، وبه للبار وقد رآها المحرمون ،
 فتوقعت نفوسهم أنهم واقعون فيها ، محتلظون بها وضح ما توقعوه
 « ولم يجدوا عندها مصرفاً ! »

سورة النحل (١)

١ ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْرَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَمِنْ أَوْرَارِ الَّذِينَ
 يُضْلَوْنَ بغير علم ألا ساء ما يبررون ! قد مكر الذين من قبيلهم ،
 فاتى الله نبياتهم من القواعد مختر عليهم اسقف من فوقهم ، وأتاهم
 العذاب من حيث لا يشعرون ، ثم يوم القيامة يُجزى بهم ويقول : أين
 شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم ؟ قال الذين أوتوا العلم : إن الحري
 اليوم والسوء على الكافرين ، الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ،
 فالقوا السلم : ما كنا بعمل من سوء ، نى ! إن الله عليم بما كنتم

(١) السورة (٧٠) مكة الا ثلاث آيات

تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فليس مثوى المتكبرين ﴿١﴾
﴿وقيل للذين اتقوا ، ماذا أنزل ربكم ؟﴾ قالوا : خيراً ، للذين
أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ، ولندار لآخرة خير ، ولنعلم دار المتقين
جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار ، لهم فيها ما يشاءون
كذلك يحزي الله المتقين ، الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون
سلام عليكم ، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴿٢﴾ .

٢ .. ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ، ثم لا يؤذن للذين
كفروا ولا هم يستعتبون وإذا رأى الذين ظلموا العذاب ، فلا
يخفف عنهم ولا هم ينظرون وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم ،
قالوا : ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك ، فأنقوا إياهم
القول : إياكم يكادون ! وأنقوا إلى الله يومئذ أسلم ، وصل عنهم
ما كانوا يفترون ﴿٣﴾ .

٣ ﴿يوم تأتي كل نفس فتجدل عن نفسها ، ونؤفي كل نفس
ما عملت وهم لا يظلمون﴾

• • •

١ لمشهد الأول من المشاهد المشتركة ، يسير موكبها من الحياة
الدنيا فيمر بموقف الاحتضار ، ويختار تواراً إلى الحياة الأخرى
فاحيائن متصتين بهذا البرزخ ، والموكب متصل السير إلى موقف
الحرام ، فإما إلى جنة وإما إلى نار
ويبدأ المشهد بمظهر المحرمين يحملون على ظهورهم أوزاراً ،

وهي ديوت في صورة مجسمه ، فهي أحمال تحمل على ظهور ، وهي
أوراقهم لشخصية وعص أوار للدين أصلوهم وهم عافلون ثم
ينتقل العرص إلى ساحة الدنيا يرى مصير قوم ما كريس قد هدم الله
سياسهم من القواعد ، وحر عليهم السقف من فوقهم ، وهم عافلون
معوتون .

ومن هناك مباشرة ينتقل إلى يوم القيامة . يراهم في موقفٍ محر
محجل ، سألهم الله أس شركتي لدين كنتم تحادلون المؤمنين فيهم ،
وتعادوسهم من أحلهم ، ومحللون لدينا شقاق نسهم " ومشهد السؤال
عن الشركاء مشهد متكرر ، ولكن له في كل مرة وجهاً حديداً
وهذا الوجه الحديد ها ، هو أن حواب على هذا السؤال يتولاه " الدين
أوتوا العلم " حين يحجل المشركون ويصمتون . فهم يقولون " إن
الحري اليوم والسوء على الكافرين " فكان " الدين أوتوا العلم " هؤلاء .
هم أصحاب الموقف . وهم الحق في أن يقرروا حقيقته ، وأن يشتموا
على الكافرين الحري المهدي ثم يستمر أولوا العلم في الحديث
ويسطردون في وصف هؤلاء لكافرين وتاريخهم لتقديم ، فيعرضون
مشهداً لهم تنوهم الملائكة فيه وتقص أرواحهم ، وهم طالمون
لأنفسهم ، وهم كادبون أيضاً كعادتهم ؛ ثم إن يواحبوا الملائكة ساعة
الاحتصار حتى يستسلموا لهم بعد المكابرة ، ولكنهم يحولون لكذب
عليهم فيقولون " ما كنا نعمل من سوء " " بى " " لقد عيب " " إن
الله علم بما كنتم تعملون " أ

ومن موقف الاحتصار رأساً إلى موقف الخراء ، ومن مدار إلى
النار : « فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليس مثوى المتكبرين »
ثم يستمر السياق بالمثل فيعرض للدين اتقوا نفس المراحل ، ويقف

هم في ذات مشاهد ولكن لأمر بالعكس . كما يبدو من نص الآيات ، وهي ليست بحاجة إلى التفسير

٢ - أم المشهد الثاني فهو مشهد الشركاء أنص ، ولكن فيه عنصر جديد طريفاً . فهم أولاء الذين كفروا في الموقف الرهيب لا يؤذن لهم في شفاعة ، ولا يطلب منهم عتاب ، ولكنهم يسمحون شركاءهم الذين عبدوهم من دون الله ، فيصبحون مشيرين إليهم : « رب هؤلاء شركؤنا الذين كما ندعو من دونك » وكأنما هم يحرضون على هؤلاء الشركاء خفية أن يهتئوا من الحزاء ! عندئذ يرتاع شركاؤهم للاتهام ، فيجبهونهم بشدة : « إياكم لكادبون » ثم يتجهون إلى الله وهم كانوا آفة ! فيستسلمون إليه في إذعان وينتهي الأمر ، ويتخضع الجميع للواحد الديان .

٣ - والمشهد الثالث يصور له ذلك أهول الذي صورته من قبل قوله : « لكن أمري مهم يومئذ شأن يعيه » فكل نفس لا يشعلها إلا نفسها ، وقد جاءت مفردة ، وهي في وسط هذا الحضم من المحشورين لا تحس بشيء إلا بذاتها ، فهي تجادل عن نفسها ، تدافع أو تحاول الدوع ، وتروم الخلاص ، ولا مجال هناك للخلاص . فكل نفس توقي ما عملت ، فلا يفع الحذل ، ولا تؤخذ الحجة ، وهم مع ذلك لا يظلمون فكل شيء في كتاب مير

سورة إبراهيم^(١)

١ - ﴿ واستفتحوا وحاب كل حمار عبيد ، من وراءه جهنم .

(١) السورة (٧٢) مكية إلا بين سفتها سورة نوح ويس فيها شيء من مشاهد القيامة و ن ل نحل من إشاره

وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ ضَرِيحٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيَعُهُ ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ عَلِيطٌ ﴿١﴾

٢ ﴿وَنُرْزِقُوهُ لِقَاءَ رَبِّهِ أَفَرَأَى إِنْ خَسَفَ السَّمَاءُ أَوْ انفَطَّتْ فَسُحُبٌ مُنْجِيَةٌ ۖ وَرَأَى الْمُلُوكَ مُتَفَرِّقِينَ ۚ﴾

كَذَّبْتُمْ لَكُمْ تَعَاً ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَذَابَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ هَدَيْنَاكُمْ ، سِوَاءَ عَلِيَّا أَوْ عِزِّ رَبِّنَا ، مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ . وَقَالَ الشَّيْطَانُ مَا قُصِّيَ الْآمُرُ : إِنْ اللَّهُ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَحْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ، فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمُوا أَفْسَكُم ، مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢﴾

٣ ﴿وَلَا تَحْزَنْ أَلِ اللَّهِ عِمْلُ الظَّالِمِينَ ۖ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۚ مُهْطِعِينَ ، مَقْبَعِي رُءُوسِهِمْ ، لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ، وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٣﴾

٤ ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ، فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذَا قَرْيَةٍ ۖ نَحْبِئُ دَعْوَتَكَ ، وَنَتَّبِعُ لِرَسُولٍ . أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ؟ وَسَكَتُمُ فِي مَسَافِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ، وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ؟ ﴿٤﴾

٥ ﴿يَوْمَ تُدْأَى الْأَرْضُ كَدَأَ الدُّمَى ، وَالْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ ، وَرَبُّهُنَّ

الواحد القهار وترى المحرمين يومئذٍ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ، سرايبهم
من قَطِرَانٍ ، وَتَعْشَى وَجوههم النار ﴿١﴾ .

* * *

١ - في المشهد لأول طرفة . فجهنم مؤجلة للآخرة ، ولكنها
كذلك حاضرة في الدنيا ! فيها هم أولاء يستفتحون على الله في الدنيا ،
يطلبون أن يفتح الله على الذين هم على الحق ، ويخيب الذين هم على
الباطل . وقد استعاب الله الدعاء «وحب كل حذر عبيد» وبه لها
في هذه الدار ، ولكن جهنم من ورثته وهو منها عى شفا جرف هار لا
بل إنه في جهنم تأنيه فيها أسباب الموت من كل مكان ؛ ولكنه لا يبدل
الموت ولا يرتاح «ومن ورثته عذاب غليظ» ينتظره في كل حين .
وإنه لمشهد طريف أن نقف الحمار في الدب ، ونقف من حلمه
جهنم : «ومن ورثته عذاب غليظ» يترأى للخيال ، ويكاد يتمثل
في العيان .

٢ - والمشهد الثاني مشهد الدين ستكروا والدين ستضعفوا
وقد مرت له نظائر ؛ ولكنه هنا طريف كذلك بما أدخل عليه من
التجديد ؛ وسبب دخول شخصية جديدة في الحوار ، هي شخصية
اشيطان ..

وفي هذا المشهد تتجسم للخيال ثلاث فرق :
الصنفاء : الذين كانوا ديولاً بلاقوياء . وهم ما يزالون في ضعفهم
وقصر عقولهم ، وخور نفوسهم يحاؤون إلى الذين استكروا في الدنيا ،
يسألونهم الخلاص من هذا الموقف . ويعتزون عيهم إعواءهم في
الحياه ، متمشين في هذا مع طبيعتهم الهريلة وضعفهم المعروف
والذين استكروا . قد ذلت كبرياؤهم ، وواحدوا مصيرهم

وهم صيقوا الصلور هؤلاء الضعفاء ، الذين لا يكتفيهم ما يروهم فيه من دلة وعذاب ، فيسألونهم الخلاص ، وهم لا يملكون لدات أنفسهم خلاصاً ، أو يدكروهم بحريمة إغوائهم لهم حيث لا تمنع الذكرى . فإز يدون عى أن يقولو لهم في سأم وضيق « لو هدايا الله لهديناكم » والشيطان : بكل ما في شخصيته من مراوغة ومغالطة . واستهتار وتسحح ، ومكر « وشيطة » . يعترف لأناعه الآن فقط بأن الله وعدهم وعد الحق ، وأنه هو وعدهم فاحفهم ، ثم يمحهم ويؤلمهم ، وهو ينفص بديه من تعاتهم « وما كان بي عبيكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجنت لي » ، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم » لا بل يريد في تبجحه ، فيقول : « بي كفرت عما أشركتمون من قبل ، ولقد أنكرت شرككم وإشراككم بي مع الله ! حقاً . إنه لشيطان !

وإن هذا هو الإبداع في تصوير الموقف ، الذي يتحلى فيه الدبع عن المتنوع ، وينكر المتنوع لتتابع ، حيث لا يحدي أحداً منهم أن يتحى أو يستمسك . ولكنها طبيعة كل فريق . تدر عارئة أمام أهوب العظيم .

وبد الشيطان هنا ينطقي مع نفسه ، ومع الصورة التي برسمها لقرآنه . ولا فما يكون شيطاناً عبر هذا التلاعب والتسحح والإنكار ! ٣ - والمشهد الثالث يتألف من أربع صور متتابعة متواكبة ، أو أربعة مشاهد بصورة واحدة ، يتلو بعضها بعضاً ، فتم بها لوحة شاحصة في الخباب . وهي لوحة فريدة للفرع والحجل والرهنة والاستسلام ، يجللها ظل ساهم كثيب ، يكاد الأنفاس عهد هي دي لأبصار شاحصة لا تطرف ولا تتحرك . وهؤلاء هم مسرعين في مشيتهم ،

دفعين رؤوسهم ، لا لكرباء ، ولكن لتقيد أحسابهم وتحشها لا
تطرف أنصارهم ولا تنقل إليهم شيئاً مما ترى وقلوبهم فارعة يطير
الفرع وتستند بها الحبرة

إيه مشهد كامل لا تنقصه سمة من السمات . مشهد أهول يتبدى
في الملامح والسمات . وبلقي طله على النفوس والقسمات .

٤ ولمشهد ابراع مشهد الظلمين «يوم يأتيهم العذاب» وإذا هم
يتقدمون صارعين «رأساً أحرماً إلى أحل قريب ، بحب دعوتك وتتبع
الرسول» ، وهما ينصب عندهم التأيب انصافاً : «أو لم تكونوا قسمتم
من قبل ما لكم من روال»^٢ حينما حذعنكم الحياة فسيتم الموت وسيتم
البعث ، وعميت عن رؤية مصائر الظالمين قلوبكم ، وهي حاصرة أمامكم
إذ سكتتم مسكتهم «وتبين لكم كيف فعلنا بهم» فلم يؤثر ذلك في
نفوسكم ، وصرت لكم لأمشا ، فلم يكن لكم فيها عتد
وهو ينتهي المشهد ، وقد حُهو بما كان منهم ، وبين أن لا موضع
لرحائمهم ، ولا محال لإرجائهم .

٥ والمشهد الخامس مشهد التعبير اشامل لكل ما يعهده الناس
في الدنيا ، فاموقف هه حديد طارئ على أنصارهم وحواسهم «يوم تبدل
الأرض غير الأرض والسموات» هكك شيء قد تبدل ، وهم يوم في
وصع حديد «وبرروا لله الواحد القهار» بلا وقاية ولا ستار . وفي ذلك
من الوحشة وهول ما فيه . وحشه العربية في عالم حديد ، ورهه اسرور
للواحد القهار

ثم أنظر إليك لتنصر مضرأ عجباً «وترى المحرمين يومئذ مقرنين
في الأصصاء» وهم أودية ولكنها من «قصور» فيها منه اسود والتلطيح
والقابلية للاشتعال وهم يساقون اثنين اثنين في الأصصاء ، أو مقرونة

أيديهم إلى أرجلهم فيها «وعشى وحوهم النار» وإن الحبال يتم حركة
الاشتعال في السراويل المتحددة من قطران !
فاهول هول مادي ومعوي ، في تبدل الأرض ، وفي البرور
للوحد القهار ، والعداب عذاب حسي ومعوي ، في عشيان النار
لوحدهم ، وفي تقرينهم في الأصماد وهذه سمة الإهانة والاحتقار

سورة الأنبياء^(١)

١ - ﴿ وَيَقُولُونَ . متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ۚ لو يعلم الذين
كفروا حقاً لا يكفون عن وحوهم النار ولا عن ظهورهم ، ولا هم
يُصْرون ، بل تأتيهم بغتة فسهُهُمْ ، فلا يستطيعون رُدَّها . ولا هم
يُنْظَرُونَ ﴾ .

٢ ﴿ واقرب الوعد الحق ، إذا هي شاخته أنصار الذين
كفروا ، يا ويلنا ! قد كنا في غفلة من هذا ، بل كنا ظالمين ! إلكم
وما تعبِدون من دون الله حَصْبُ حُهم ، أنتم لها واردُونَ لو كان
هؤلاء آلهة ما وردوها ، وكلُّ فيها خالسون ، هم فيها زفيرٌ وهم فيها لا
يُسمعون ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُنْعَلُونَ ، لا
يَسْمَعُونَ حَبِيبَتَهَا ، وهم في ما اشتت أنفُسهم خالدون ، لا يحزُّهم
الفرعُ الأكبر ، وتلقاهم الملائكةُ هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾

(١) السورة (٧٣) مكة

﴿يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجُلِ لَنُكْتُبَ ، كَمَا نَدَّأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
تُعْبِدُهُ ، وَعَدًّا عَلِيًّا ، إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

• • •

١ - في المشهد الأول يرى الدرس كهروا تنوشهم الدار من كل
حاجب . وهم يحولون في حركة مُحَلَّة يرسمها الخيال ، أن يكهو
النار عن وحوهمهم وعن ظهورهم وهي تنوشهم فلا يستطيعون وكأما
تلففتهم لدار بعتة ، ففقدوا قدرتهم على التصرف . ومهدرهم على
التصكير ، ووقفوا مشدوهين تناوهم الدار من كل حاجب ، فلا يستطيعون
ردها . ولا يؤخر عنهم العذاب ، ولا يمهلون إلى حين قريب وهذه
إساعته في مقبل الاستعجال فلقد كانوا يقولون « متى هذا الوعد
إن كنتم صادقين ؟ » فكان الرد هو هذه البعثة التي تدهل العقول ،
ويحجر المعذنين عن ردها ، ويحرمهم أمهلة والتأجيل !

٢ ثم يمضي لسبق في السورة . فيعرض مشهداً آخر فيه من
المشهد الأول عصر المفاحاة التي تهت المحرثين . « فإذا هي شاحصة
أصبُ الدرس كهروا » ويقدم في التعبير كلمة « شاحصة » لترسم مشهد
المطلوب ثم يميل السياق عن الرسم ولتصور ، إلى الحوار المباشر
فهؤلاء لشاحصة أصدبرهم في الساحة يكلمون « يا ويلنا ! قد كنا
في عصية من هذا ، بل كذ طيرين وهي تمحج «صحوء التي تنكشف
بـ بحفيضة البروعة بعتة . فتصمج ويعترف ويلهم ، ولكن بعد فوات
الأول !

• • • • •
دع في دمول المفاحاة : يصدر الحكم
بما طع ، إركب ومانته ، و... من دون الله حصصاً جهنم أتم ها وردون »

وكأنما نحن في الساحة شهد ورودهم مع آهتهم إلى جهنم ، فهم
 حطها ووقودها ، وعندئذ يوجه الله من هذا الواقع المشهود ، « لو
 كن هؤلاء كلمة ما وردوها » وهو برهان وحداني يعتمد على هذا شبه
 معروف للحيان قبل وقوعه بأحبال ! ثم يستمر السياق على أنهم قد
 وردوا جهنم فعلاً ، فصف حالهم فيها ، وهي حال المكروب المذهوب
 بإدراكه - « اللهم فيها زفير وشهيق وهم فيها لا يسمعون »

وبدع هؤلاء لسجد المؤمنين في بحرة من هذا كله « أولئك عما
 سفذون ، لا يسمعون حسيبها » ولقطه « الحسيس » من الألفاظ
 المصورة بحرسها حقيقتها . وفيه لحرس يتفرع له الجند ويقشعر
 « حسيس النار » و« أولئك يحيى من مماعه » الذين سقتهم عما الحسيس
 فتحوا من « الفرع الأكبر » وتولى الملائكة مصاحبتهم لتطمئن قلوبهم
 منه ؛ و« ينهم يندخلون إلى نفوسهم الطمأنينة بالترحيب والتكريم : » هذا
 يومكم الذي كنتم توعدون .

ويجتم المشهد بالمطر المصاحب له ، ذلك أن السماء قد طويت
 في هذا اليوم كما يطوي خمار الكتب كتبه ، فلمت أضراسها ،
 وحرمت رفعتها ، أو كورت ، كما جاء في موضع آخر من
 القرآن

وهو مشهد انقلاب وانتهاء . « كما بدأ أول خلق نعيده » ذلك
 وعد الله : « وعداً علينا إنا كنا فاعلين »

سورة المؤمنون^(١)

﴿ حتى إذا جاء أخذهم الموت قال : يا أرحم الراحمين ، لعلهم يعملون ﴾

١ - السورة (٧٤) سورة

صالحاً فيما تركتُ . كلاً ! إنها كلمةٌ هو قائلها ، ومن ورائهم برحٌ
إلى يومٍ يُبعثون .

﴿ فإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ
مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ
الَّذِينَ حَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ حَالِدُونَ ، تَلَفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ ، وَهُمْ
فِيهَا كَالْحُوتِ . أَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ ، فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ؟ قَالُوا :
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ، وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ . رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ
عُدْنَا بِمَا ظَلَمْنَا . قَالَ : احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكْلِمُونَ . إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
عِبَادِي يَقُولُونَ : رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ .
فَاتَّخَذَ مَوْهَمَ سِخْرِيٍّ حَتَّى اتَّسَوْكُم ذِكْرِي ، وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ . إِنِّي
جَرَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَاقِرُونَ ﴾ .

﴿ قَالَ : كَمْ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَّةٌ سَبِينَ ؟ قَالُوا : يَشَاءُ يَوْمًا وَ
بَعْضُ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ! قَالَ : إِنَّ لَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا ، لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ أَفَحَسِبْتُمْ مَّا خَلَقَكُمْ عَشَاءً ، وَأَنْتُمْ إِلَيَّا لَا تُرْجَعُونَ ؟ ﴾ .

• • •

يبدأ المشهد هنا بمطر ، لاحتصار ، وإعلان التوبة لدى قدوم
الموت ، وطلب الرحمة إلى الدنيا لتدارك ما فات . وكأما نحن مشهد
المطر فإذا انرد على هذا لتمي لا يوجه إلى صاحبه ، بل يوجه إلى
إخطاره عامة ! « كلاً ! إنها كلمة هو قائلها » فهي كلمة لا معنى لها ،

ولا نحور انعاية نقائلها هي ككمة الموقف الرهيب ، فلا ثمرة لها ولا استحاة ، وهو هناك حيث فارقتة الروح ، ومن ورائهم برزح إلى يوم يُبعثون .

ولا يطول المكوث فقد شخ في الصور ، فاستيقظوا وقد تقطعت نيسهم الروابط « فلا أسب بينهم يومئذ » وشملهم طوف بالصفحت ، فهم ساكنون لا يتحدثون « ولا يتساءلون » . ثم يعرض السياق مبرر الحسات والسببات محسماً كما مر في مشهد آخر ولا يقف عنده طويلاً . فهناك مشهد جديد :

لقد تمت عملية الوزن ها بسرعة وانتهت ، فلتع خطوات « الدين حسروا أنفسهم » ها هم أولاء « تلح وحوهم النار وهم بها كالحون » وهذا العذاب الحسي في كمة ، وما يقونه من الإخراج والتكيت في كمة أخرى . فلسمع لهذا الحوار الطويل : « ألم تكن يأتي تتلى عبيكم فكتم ؟ تكذبون ؟ » وها محل لهم أنهم مأدبون في الحدث ، مسموح هم بالرجاء ، وأن الاعتراف قد يجدي في قبول الرجاء « قالوا ربنا غشت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين » وهو اعتراف تبدو فيه المرارة والشهرة « ربنا أخرجنا من هنا عداً لنا طالمون » وكأننا قد تجاوزوا حدهم وأساءوا أدمهم . فلم يكن مأذوناً لهم إلا بالإحانة على قدر أنسؤ بل لعله سؤال لا يطلب عليه جواب فهم يزحرون رجراً قاسياً عيباً « قال : انخسثوا فيها ولا تكلموا » انخسثوا ، واسكتوا سكوت الأدلاء المهيب . فإنكم لتستحقون ما أنتم مقارنون : « إنه كان فريق من عبادي يقولون . ربنا آما فاعمر لنا ورحمنا وأنت خير الراحمين . فنجذبهم سحراً حتى أسوكم ذكرى وكنتم منهم نصحاء » فلم يكن حرمكم أنكم قد كهرتم واقتصرتم على أنفسكم

إِنَّمَا يَلْعَلُ كُفْرَكُمْ أَلَّا تُسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي حَمْدِهِ يَوْمَ تَبْعَثُونَ ، وَمَنْ يَرْجُ الْكَافِرَ لَعْنَةُ اللَّهِ فِي الْأُمَمِ
 الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَصْحَكُوا عَلَيْهِمْ فَاعْبُدُوا « إِنِّي خَشِيتُ يَوْمَ تَصُورُونَ »
 هُمُ الْفَائِزُونَ » !

وبعد الرد لقسيسي المهين ، وبيان أسسه وما في البيان من تعزيز
 ونسكيت ، يبدأ استجواب جديد : « قال . كم بعثتم في الأرض عدد
 سين ؟ » وإيهم لا يعلمون كم لبثوا ، فهم يحيون : « لئن يوماً أو
 بعض يوم » وإيهم ليأتسون صيقون ، فما هالك حدوى ، طالت هذه
 الأيام أم قصرت « فساء العاديين » فما نحن نحاسين ! والرد : إياكم لم
 تنشأوا على كل حال إلا قليلاً ، بالقاس إلى ما سيكون . فلقد بعثناكم
 سريعاً ، ولم يكن من ذلك يد « أمحسنتم أم خلقناكم عتاً وأنكم إلينا
 لا ترجعون » فكفرتم وفحرتهم ؟ فاعبدوا الآن أين أنتم مما كنتم تحسبون ؟

سورة السجدة^(١)

١ ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ انْحَرَمُونَ بِالْكَسْبِ خِزْيُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ . رَبَّنَا
 أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَارْجِعْنَا لَعْمَلٍ صَالِحاً ، إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ .
 ٢ ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ لَمٍّ
 بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ
 يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ، وَقِيلَ لَهُمْ دُوقُوا عَذَابَ الْبَارِئِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
 تَكَذِّبُونَ ﴾

(١) السورة (٧٥) مكية إلا حمداً .

والسقف المرفوع ، والنحر المسجور : إن عذاب ربك واقع ، ماله من دافع ، يوم تمور السماء موراً ، وتشير الحبال سيراً . هويل يومئذ للمكذبين ، الذين هم في خوضٍ يعبون ، يوم يدعون إلى نار جهنم دعاً هذه النار التي كنتم بها تكذبون . أفسحروا هذا أم أنتم لا تصيرون ؟ اصلوها ، فاصروا أو لا تصروا سواء عليكم ، إنما تجرون ما كنتم تعملون ﴿

﴿ إن المتقين في جناتٍ ونعيم ، فأكهيهم عما آتاهم ربهم ، ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون . متكئين فيها على سررٍ مصفوفة ، وروجاهاهم يخور عيين . والذين آمنوا واتبعنهم ذريتهم بإذن الحقنا هم ذريتهم ، وما آلتناهم ^(١) من عملهم من شيء ، كل أمرئ بما كسب رهين . وأمددناهم بغاكة ولحم مما يشتهون . يتنارعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم ، ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ، وأقل بعضهم على بعض يتسائلون . قالوا إنا كنا قبل في أهلٍ مشفقين ، فس الله علينا ، ووقانا عذاب السموم . إنا كنا من قبل ندعوه ، إنه هو الله الرحيم ﴿

* * *

(١) نقصناهم

في هذه المشاهد يبدو لون من تداعي الصور واحواطر بطريقة
حسية تحتاج في ملاحظتها إلى حس شاعر ذي تحرره ، يدرك كيف
تتداعي الصور والحواطر في الحس ، وإن بعدت بينها في الظاهر
صلات .

فهما قسم بأشياء على وفوق أشياء ، وبين الصائفة الأولى والطائفة
الثانية هذا اللون من التداعي والتدسق وقد سبق في سورة «العاديات»
وفي سورة «المرسلات» لونا آخران بينهما بعض لفروق

هما قسم بالطور ، ذلك الخيل الذي يوحى لقارئ القرآن بقصه
موسى وبالأرواح التي كتبت له في الخيل ، وبلي القسم بالطور ، القسم
بالكتاب المسطور في رق منشور . وهذا هو لتداعي لأول ويليهما
قسم بالبيت المعمور ، وهو المكان المقدس للمسلمين ، كما أن الطور
المقدس لموسى . وهذا هو التداعي لثاني . وبالسقف المرفوع والمقصود
به هنا السماء - وهي تتداعي مع القديسات المذكورة من الناحية المعنوية
وكلمة السقف تتداعي مع البيت من الوجهة اللفظية والتصويرية وهذا
هو التداعي الثالث وبالبحر المسجور ، وهو يتداعي مع السماء من
جهة التصوير ومن جهة المنظور وهذا هو التداعي الرابع .

ذلك في القسم الأول لحاص بالقسم ، في القسم لحاص
بقسم عليه ، فيجري تداعي الصور واحواطر على نفس لسق :
«والصور ، وكتاب مسطور» إلح «إن عذاب ربك لواقع .
ما له من دافع» ثم يأخذ في عرص مشهد ليوم الذي يقع فيه العذاب .
«يوم تَمُورُ سماءٌ مَوّاً» فذلك تداع مع اسقف لمرعوى «وتسير
أحسان سيراً» فذلك تداع مع الطور «هويل يومئذ للمكذّبين . الذين
هم في عوص يلعبون» فيبدع على انحوض من بعيد مع سحر المسحور

ونتم هذا التداعي الحمي الطيف بين الصور والحواس ، فيدركه احس
لدقيق الشعر ، وتنسق به المشاهد والمناظر .

وتتوالى المشاهد بعد ذلك بصورة طريقة العذاب . مقصدة ذلك

الويل الذي ينتظر المكذبين

ها هم أولاء « يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاءً » ولقطة الدع غطة مصوره
محرسها لمعناها ، يكاد سامعها يحس بالدفع في ظهور المكذبين ، وهم
يرحون مدعوين . تدسس مع الحوص واللعب الذي كانوا فيه . ويهمهم
بدعوى في عنف وصعط . يشار إلى جهنم ويقال « هذه النار التي كنتم
مها تكذبون » ثم يتقل السباق من جهة التقرير إلى لجة التهكم
ولاستنكار « أفسحروا أم أنتم لا تصرون » ؟ أفسحروا ما ترون . أي
العين كما كنتم تقولون عن الآيات وفي مقدسها القرآن ، أم قد عميتم
فلا ترون ، تشهدون ؟ ثم يعود السباق إلى الأمر والتقرير « اصْلَوْهَا .
وَصِرُوا أَوْ لَا بَصِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ » فلا مخرج منها ولا قرار « إنما
تخرون ما كنتم تعملون » فهو حراء مقرر ، له أسانه قل يتعب
وعى عادة القرآن في عرض حاشي العذاب والنعيم متحاورين -
وفي تعال متقابلين يعرض السباق مشهد النعيم هـ ، وهو نعيم حسي
ونفسي عرضت له طائر من قل ولكن فيه حديداً هـ هو ذكر الدرية
الصالحة تنع لوالدين ، ولا ينقص ذلك من نصيب هؤلاء شيئاً ولا
هؤلاء .

ويلفت نظر كدلت تعبير حديد عن الكأس التي يشربونها في دار
النعيم فهم (يتنازعونها) ولا تنازع في دار الرضى ، إنما هو التناوب
وتبادل ، زيادة في الصفاء ، وتندداً بالكأس المشتركة تدار على
لأصفاء كما يفت طرباً تعبير حديد عن العلم الذي يصفون

هذه الكأس ، فهؤلاء العلماء محصورون كالملوك لأهل لعم
 «ويطوف عليهم علمان لهم ، كأنهم لؤلؤ مكنون» من لصارة
 ولصاحه ولصيانة أيضاً وللكأس «لا لعو فيها ولا تائم» وهو تعبر
 لطيف ، فهذه الكأس لا لعو فيها كأنى «لعو» مدى يهدر به الشاربون
 من حمر الدنيا كما في ذات الكأس التي بها شربون أما هذه
 الكأس لهردوسية امرأة من اللعوا ، امرأة من لائثه أيضاً .

والشاهد لأحر هو مشهد السمر بين الشكتين على لسر المرهوعه ،
 الشاربين من الكأس الزوية ، اطاعمين من الفاكهة الشبيهة .
 مشهد سمر والذكريات : «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون»
 ويتذكرون أسباب النعم الذي يستعون به انوم «قلوا يا كفا في
 أهلبا مشفقين» حثفين من هذا اليوم وما فيه ونحن «في أهلبا» آمون
 «عن الله علينا ووقانا عذاب لسؤوم» الذي يصلاه المكذوبون «
 كما من قبل بدعوه . إنه هو البر الرحيم» وهذا هو ير ما نحن اليوم
 فيه من نعم .

وهدد المشهد تم صبرة امتاع . فهو متاع الحسن ، ومتاع الحاضر .
 ومتاع الصمير

سورة الملك^(١)

١ ﴿وللذين كفروا بربهم عذابٌ جهنم وبئس المصيرُ . ١٠
 ألقوا فيها سميعوا لها شقيقاً وهي تكورُ . ١١ تكادُ تميزُ من العيظُ . ١٢
 ألقى فيها فوحٌ ساءهم حزنتها . ١٣ ألم يأتكم نذيرٌ ١٤ قلوا بلى ! قد جاءنا

(١) السورة (٧٧) مكة

ندير ، فكذلكنا وقد . ما برل الله من شيء ، إن أنتم إلا في ضلال كبير ، وقالوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير . واعتزوا بدينهم ، فسحقاً لأصحاب السعير إن الدين يحشون دينهم بالعب لهم معفرة وأجر كبير ﴿

٢ - ﴿ ونقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل : إنما العلم عند الله وإنا أنا ندير ميين فلم رأوه رنفة سيئت وحوه الدين كهروا . وقل . هذا الذي كنتم به تدعون ﴿

* * *

التشخيص طريقة من طرق التصوير ، تُردُّ الصورة حية ، وتمح الحوامد والحواطر شخصنة آدمية أوقع في الحس ، وأجمل في لفس . وحهم في هذا المشهد حية متحركة ، يلقى إليها الدين كهروا كما يلهو إلى العوب ، فتلقاهم شهيق وهي تصور ، يملأ " نفسها " انعط حتى لتكاد جواسها تنفجر من الحقد

به مشهد مروع . تصطرب له لقلوب ، وتقشعر هونه الخلود ويبها هم في فزع من هذه العول التي تتمير من العيط وهي تتلفعهم شهيق وهي تصور ، سمع حرتب وحراسها يتلقون كل فوح مدفوع سؤال واحد مكرور . هكلهم ذوو شأن واحد مكرور : « ألم يأتكم ندير ؟ » ولحواف في دن الاعرف وحجل الانكسر . « بلى ! قد جاءنا ندير فكذلكنا » بل تنحنا في الإيكار « وقلنا : ما برل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير » أيها المرسل ، ونحن على هدى ميين ! ثم تطرد موحاة الاعتراف والاحذاف ، فإدا هم يهون عن أنفسهم السمع

والعقل « وفارو : لو كد سمع أو بعقل ما كما في أصحاب السعير »
ها يذهب الإنسان إلى السعير إلا وقد فقد لسمع لذي يستمع إلى
هذى ، وفقد العقل اندي يقود إلى الحق « فاعترفوا بدنهم فسحقاً
لأصحاب السعير » .

وعلى الجانب الآخر في اختصار الدين يخشون رهم بالعيب «
دون أن يشهدوه . أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » .

٢ - والمشهد الثاني يتم بطريقة عريضة نوعاً . إنهم كعدتهم يكذبون
باليوم الآخر ويشكون : « ويقولون . متى هذا وعدكم صادق ؟ »
فيكون الجواب : « إنما أعلم عند الله » وبمعنى هذا الخواب يقال بحس
كأنما على حس غصة قد وقع اليوم المعلوم . وإذا هم يرون فحاة قراً
منهم . كأنما فرجئو به وهم يتساءلون . وذلك بطبيعة الحال تخيل ،
ولكن السياق يهيئ الحاطر له تنواري المشاهد في كسر سريع . « فلما
رأوه زلّة » قريباً منهم « سيئت وحوه الدين كهروا » كأنما قصر الاستياء
إلى الوحوه قصر سيئت وكلحت « وقيل هذا الذي كنتم به تدعون »
وتكذبون .

ومشهد المفاجأة على هذا النحو . يؤثر في الحس تأثيراً مضاعفاً ،
لأنه يجيء من حيث لا يحتسبون بل يجيء وهم يتساءلون ١

سورة الحاقة (١)

﴿ الحاقة ما الحاقة ؟ وما أدراك ما الحاقة ؟ كذبت نمود وعاد
بالقارعة . أما نمود فأهلكوا بلطغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر

(١) السورة (٧٨) مكية

عائيه ، سخرها عليهم سبع لياح وثمانية أيام حسوماً ، فترى القوم
 فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية ؟
 وجاء فرعون ومن قبله والمؤمنيات بالباطلة . فعضوا رسول ربهم ،
 فأخذهم أخذة رابية . إنا لما صغى الماء حملناكم في الجارية ، لسجلها
 لكم تذكرة وتعيها أذن واعية . فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ،
 وخُمِيت الأرض والحيال عدكنا ذكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة ،
 واشتقت السماء فهي يومئذ واهية .

﴿ واملأنا على أرحابهم ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
 ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ .

﴿ فاما من أوتي كتابه بيمينه ، فيقول : هاؤم اقرأوا كتابه .
 في طست أبي ملاق حسابه . فهو في عيشة راضية : في جنة عالية ،
 قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ .

﴿ واما من أوتي كتابه بشماله ، فيقول : يا ليتني لم أوت كتابه ،
 ولم أدر ما حسابه . يا ليتني كانت لقاضية . ما أغنى عني ماليه . هلك
 عني سلطانيه ﴾ .

﴿ حصوه ، فقلوه ، ثم الحميم صلوه ، ثم في سلسلة ذرعتها
 سبعون دراعاً فاسلكوه . به كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على
 طعام المسكين . فليس له اليوم ها هنا حميم . ولا طعام إلا من عسلين ،
 لا يأكله إلا الحاطئون ﴾ .

* * *

الحاقة . القيامة . وهو يختار هذا اللفظ من ادحيه المعوية لـ
 سيعقه من ذكر التكديس من عاد و نمود . فهي الحافة التي تحق .
 والتي تقع لأحقيتها «لوقوع» . إحقاقاً للعدل الإلهي وتقريراً للحراء على
 لخير والشر ، كما سيحيى في السورة بعد قلب .
 وهو يختار هذا اللفظ من الناحية التصويرية لأن له حرساً خاصاً ،
 هو أشبه شيء برفع الثقل ثم استقراره استقراراً مكيناً ، رعه في مدة
 الحاء بالأنف ، واستقراره في تشديد القاف بعدها ، والانتفاء بالهاء
 المربوطة التي يوقف عليها بالهاء الساكنة (والجرس في ألفاظ القرآن
 وعاراته يشترك في تصوير المعنى ووقعه في الحس)
 ومن ينتهي الحديث في لفظ «الحاقة» لسطر في محط أوسع إلى
 السياق الكامل :

أخو كله في هذه الآيات جو تهويل وترويع ، وتعظيم وتضخم ،
 يوقع في الحس شعور بالقدرة الإلهية الكبرى من جهة ، وبصآله الكثر
 الإنساني ، بقياس إلى هذه القدرة من جهة أخرى . ولألفاظ مجرمها
 وبمعانيها واحتجاجها في التركيب وبدلالة التركيب كله ، تشترك في
 خلق هذا الجو وتصويره . فهو يبدأ فيلقيا كلمة مفردة لا خرها في
 الظاهر : «الحاقة» ثم يتبعها باستمهام حافل بالاستهوال والاستعظام
 لماهية هذا الحدث العظيم . «ما الحاقة ؟» ثم يريد هذا الاستهوال
 والاستعظام باستجھيل وإخراج المسألة عن حدود الإدراك : «وما
 أدراك ما الحاقة ؟» ثم يدعك فلا يحجب عن هذا أسؤال . يدعك
 واقفاً أمام هذا الأمر المستعظم المستهول الذي لا تدريه ولا يمكن أن
 تدريه . يدعك لحظة معكم الحس بالاستهوال والاستعظام ليدور بك
 هيئة حول الموضوع ، ما دامت موجهته غير مستطاعة !

« كذبت ثمود وعاد بالقارعة » !

إيت لا تلري ما الحاقة ... فهي القارعة !

أأحسست وقعها في حسك ، وقرعها في نفسك ؟ إن عاداً
وثمود كذبوا بهذه القارعة ! لماذا كان ؟ « فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية »
وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . « والطاغية عني ما في
اسمها من صورة الطغيان والعمر والتعطية . وكذلك الريح الصرصر
العاتية . كلاهما أحف من القارعة ، ولكن لعلهما تقربان إلى حسك
هذه القارعة ، فهما من جنسها وبوعها . وهكذا قصي على عاد وثمود
في هذه الدنيا ، قصي عبيهما طرف من تلك الحاقة ومن هذه القارعة ،
فإذا عجز إدراكك وهو عاجز - عن تصور الحاقة ، وإليك
نموذجاً مصغراً منها في الصيحة الطاغية ، وفي الريح العاتية ، فهما من
مشاهدات هذه الحياة الدنيا ، وإن نصّح اسمهم ووصفهما هولاً !
هولاً تنقله إلى حسك هذه الصورة المروعة . صورة العاصفة مرمجة
مدوية سح ليلال وثمدية أيام ، وصورة القوم فيها « صرعى كأنهم أعجاز
نخل خاوية » وإنك لتراهم لأن الصورة حاضرة « فترى القوم فيها
صرعى . » « فهل ترى لهم من باقية ؟ » كلا ! لا باقية ولا أثر ،
فلتتعض إذن ولتعتز ، وبيحش حسك ليهول ، ولتفتتح نفسك للإيمان
بالعيب المجهول .

ثم إليك مشهداً آخر لعله يعرب إلى حسك روعه الحافه وهون
القارعة إن فرعون ومن قبله وقرى قوم لوط المعروفة قد جاءوا بالصفة
الحاطة .. جاءوا بها فكأنما هي شيء محسوس أو كائن يحاء به « فعصوا
رسول ربهم » وهم رسل متعددون ، ولكنهم بمثابة الرسول الواحد ،
فجميعهم يحمل رسالة واحدة من عبد إله واحد « فأخذهم أحدة

رأية» والأحذة ها «رأية» يتم التناسق بينها وبين «الصاعية» فكلتاها
ترنى وتطعى ، وتعطي وتعمر . ولتساق في الماخر ملحوظ في اللوحة
الكبرى .

وما دما يصدد استعراض المشاهد الهائلة ، والروائع العامرة ،
فشهد الصوقا إذن يتسق مع هذا لاستعراض كل الانساق . «إيا لما
ضعى الماء حملناكم في الحارية» لتكون هذه الحادثة عرة تذكروها
وتعيها الآدان الراعية .

والآن وقد استعد الحس الشري محدود لتصوير هول الحاققة
غير المحدود الآن وقد تهيأ الحس باستعراض هذه الصور المروعة
الطاعبة الراسية العامرة فقد آل الأول لاستكمال العرض . وتهيأ
الموقف بلوحة الكبرى . «فإذا نصح في لصور نفحة واحدة ، وحملت
الأرض والحمال عدكتا دكة واحدة ، هيومثذ وقعت الواقعة ، واشتقت
السماء فهي يومثذ وهية» وسطر في اللوحة الكبرى التي تجمع هذه
المشاهد جميعاً . فماذا نرى ؟

نرى نوعاً من التناسق المنى العجيب بين الحاققة والقارعة والطاعبة
والعائبة والرأية والدكة لو حدة ، الواقعة . تناسق اللفظ والحرس ،
وتناسق المناظر التي تحيل للحس أنها جميعاً ثائرة هائرة صاعية عامرة .
تدفع الحس طولاً وعرضاً ، وتملؤه هولاً وروعاً ، وتهره من أعماقه
هراً

ولن نجد مصور بارع تساقاً أعظم من اتساق الصبيحة العاية
الطاعية والربيع الصرصر العاية . والأحذة القوية الرأية . والظنون
الطاعمي تحوص عمارة الحارة ، والنفخة الهائلة الواحدة . والدكة
المحطمة لمردة وبين وقعة الواقعة والسماء المشقة الواهية . إنها كلها

من لون واحد ، وحجم واحد ، ونغمة واحدة ، وكلها تؤلف اللوحة الكرى ، وترسم الجو العام الذي أراده القرآن .

وكأنما العاصفة تهدأ ، والسكون يحجم لحظة ، ليبدأ استعراض حديد ، فيه هول ولكنه هول ساكن رص ، بعد ما سكر الهول الهائج المائع .

«وَأَمَّا عَلَى أَرْجَائِهَا ، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ . يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ» .

هـ نحن أولاء شهد العرص . شاهده محسباً محبلاً في أشد المواضع التي يحرص الإسلام على التحريد فيها والتزبیه . ولكن طريقة التعبير بالتصوير تختار التحسيم في هذا الموضع أيضاً لمجرد إثارة الحس وإثراك الحيال والتأثير الوجداني الحار

فهذا السماء قد اشقت فهي واهنة واهية ، وهما الملائكة مورعون على أرجائها في هذا الاستعراض الإلهي العظيم . وهما لعرش عرش ربك يطل الجميع في وقدر رهيب . يحمله حمته وهم ثمانية . ثمانية أملاك ، أو ثمانية صفوف منهم ، فالحرص الموسيقي لثمانية يتسق مع حرص الفصلة كلها ، ولقصود ليس حقيقة العدد ولكن تسبق المشهد وتكثير المعداد . هنا مجلس قصء تم فيه الحشد . فليبدأ الاستعراض ، حيث لا تخفى خافية في الحس أو الصمير ، في هذا الحشد اجهم الصمير .

وتكلمة لعرض المحسم ينقسم المعروضون ، ويكون هناك كتاب يؤتى باليمين وكتاب يؤتى بالشمال . «فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ» هـ تسعة الساحة من لاطمشان والمباهاة «فَيَقُولُ : هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِي» لقد ظننت بشدة خوفي من القارعة «أَنِّي مَلَأْتُ حِسَابِي» هذا أنا ألقى

العمران والعيم^١ ثم لينق صاحب السعيد جراه الطيب عني مشهد من
الطيارة جميعاً : « فهو في عيشة راضية : في حنة عالية ، قطوفها
داية » ويلق التكريم المعنوي كما لقي التكريم الحسي ، فها نحن
أولاء نسمع من عيين « كلوا واشربوا هيثاً بما أسلفتم في الأيام
الحالية » فذلك التكريم حق بكم بما أسلفتم من صالحات .

ونظر في الجانب الآخر من الساحة يرى ديك الذي أوتي كذبه
شبهاله لقد أدركته الحسرة ، وركبته الدامة ، فلمسمعه يتوجع توجعاً
طويلاً . وقد ثبت المشهد كأنه لا يتحرك . « يا بيتي لم أوت كتابه ،
ولم أدري ما حسابه يا ليتها كانت القاضية ما أعنى عني ماله . هلك
عني سلطانيه » ولكن ما ناله هكذا لا يسوي معادرة الموقف ، ولا
سوى كذلك اسكوت عن التصحح^٢ فقد طان ستعرصه لينحقق التأثير
الوحداني تناوه لئلا يفجع الحسرة في داسم هذا العرض فها نسمع
الأمر العلوي الذي لا يرد ، فليكن لباساً من خشية ، ولستمع في
رهبة : « حذوه فعلوه ثم الحميم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون
ذراعاً فامسكوه » ها كل شيء مفصل مطول ، من الجمال الفني ، ومن
التأثير الوحداني ، ومن العرض الانبجي ما يجعل لطول الموقف غايته
المقصودة . وهذا يشترك حرم الكدمات وإيقاع العبارات مع السلسلة
التي « ذرعها سبعون ذراعاً » - وذراع واحدة تكفي ! يشترك هذا
كله في إطالة الموقف أمام الطيارة وفي حسهم أيضاً ، ليتم التناسق بين
المشهد المعروض والتأثر المطلوب .

ثم لا نقف المسألة عند الأمر العلوي الذي لا يرد سمحه في عيب
من موقفه ، بعد أن طان التصحح والدم : إنما يلقي التقرير والتشيع .
فيكشف حرمه عني أعين للطيارة جميعاً « إنه كان لا يؤمن بالله العظيم .

ولا يحص على طعام المسكين» فإذا يكون اجراء المرتقب بعد اسحب
 وان ؟ إن كل من في ساحة العرض سيعلمون : « فليس له اليوم ها
 ها حميم ، ولا طعام إلا من عسلين^(١) ، لا يأكله إلا الحاطثون »
 فهو معذب الحسن في طعامه من عسلين ، معذب الروح في نذره بلا
 حميم ليتم جحيم الجسم و الروح ا

وإذ يلح التأثير الوجداني ها دروته بعد هذا الاستعراض الحي
 بشرية في يوم الهول العظيم ، يوم الحاقة القارعة ... في هذا الأوان
 الذي تفتح فيه مافد النفس جميعاً للإيمان ، لا نكون حاجة للتوكيد
 وانقسم والأيمان .

« فلا أقسم بما تُصرون وما لا تُصرون . إنه لقول رسول كريم ،
 وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلًا ما
 تذكرون . تنزيل من رب العالمين »

سورة المعارج^(٢)

١ ﴿ سأل سائلٌ بعددٍ واقعٍ ، للكافرين ، ليس له دافعٌ ،
 من الله ذي المعارج ، نعرجُ الملائكةُ والروحُ إليه في يومٍ كان مقداره
 خمسين ألف سنة . فاصبر صراً حميلاً إهم يروونه بعيداً وبراها قريباً .
 يوم تكونُ السماءُ كالمُهْل ، وتكونُ الحالُ كالعِهْر ، ولا يسألُ حميمٌ
 حميماً ، نُصْرُوهم ، يودُّ المحرم لو يفتدي من عذاب يومئذٍ بنيه ،

(١) من عسله من جحيم ربما سبيل من نذابه بعد لاجه في ١٠

(٢) السورة (٧٩) مكية

وصاحبه وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعاً ، ثم
يُنْجِيهِ ، كلاً ! بها ظلي ، تَرَاةٌ يَلْشَوِي ، تدعو من أدبر وتولي ،
وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿ ١ 〉 .

٢ ﴿ فدرهم يحوضوا ويلعوا حتى يُلَاقُوا يَوْمَهُم الذي يوعدون .
يوم يُخرجون من الأحداث سِراً ، كأنهم إلى تُصْبٍ يُرَفُّون ،
حاشة أنصارهم ، تَرْهَقُهُمْ ذِبة . ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾ .

* * *

١ - يتألف المشهد الأول من عدة خطوات أو مناظر يتلو بعضها
بعضاً . فالمشهد الأول منظر الملائكة والروح يصعدون إلى الله واسياق
يخمس لمنظرها لأن هذه هي طريقة القرآن العالمة التي يحاطب بها
الحس ، ويشط بها المخيلة وهو منظر عجب حين يتملأه الحيال ،
منظر الفضاء الشاهق بين الأرض والسماء تصعد فيه هذه المخلوقات
الشَّعَّةُ ، التي لا يعرف لها في عدا إلا صورتها المتخنة العامضة في
نفوسنا مما توقط كل مشعر لمس ويرهقها وذلك في يوم « كان
مقداره خمسين ألف سنة » وهو يوم القيامة ، وهو يوم طويل بأحداثه
ومراتبه كما هو طويل في حس الحاسين فيه وطوله هنا في السياق
يتسق مع الارتفاع الشاهق الذي تصعد فيه الملائكة إلى دي العرش
الرفيع ، فوحدة لحو الشعوري والتصويري هنا وحدة واضحة محققة
وهذا المشهد العجيب الرائع تمهيد للمشهد التالي - « يوم تكون
السماء كأنه دخان » وقد تداوت واسودت ، وانهم ه سائل المعادن الثلاثة
« وتكون الجبال كالعِيش » هشة حبيبة مطيرة كالصوف المعروش

وهنا يكون الحس قد امتلأ رعباً وروعاً ، والحاضر قد ردم ،
وكاد يدركه الدهول . وهكذا يبدأ المشهد الثالث مشهد الناس أمام هذا
الهول الذي اشتركت فيه مشاهد الأرض وسماء ، فإذا هم - كما هو
استوقع - في دهول ، لا ينفقت منهم أحد إلى خارج نفسه ، ولا يجد
فسحة في شعوره لغيره « ولا يسأل حميم حميماً » فلقد قطع الهول المروّع
جميع الوشائج ، وحس نفوس على ههنا لا تتعداه . وإنيهم ليترامون
ويبصر بعضهم بعض غيراه ، ولكن لكل منهم همه ، ولكل ضمير
مهم شعله .

ذلك حال الناس جميعاً ، فما بال « المحرم » ؟ إن الهول ليأخذ
بحسه ، وإن الرعب لبذعر نفسه ، وإنيه ليود « لو يفتدي من عذاب
يومئذ » نعر الناس عليه ، ممن كان يفتدسهم ويناضل عنهم ، ويضحي
بنفسه لهم . « سنيه ، وصاحته وأخيه ، وعصيلته التي تؤويه » بل إن
حاجته إلى الافتداء ورغسته في الخلاص ، لتجعله مخلوقاً أثراً لا بهم
شيء في الديق إلا نفسه ، وإنيه ليتمنى لو يفتدي بالناس جميعاً !
« ثم ينحيه » !

ولكن شئاً من هذا كله لن يحدث . « كلا ! إنها ظلي نزع
للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى » وهنا يعرض السياق مشهداً
مزعجاً للبار التي يوجهها هذا محرم فتطير نفسه شعاعاً ، ويتمى تلك
الأميات الجبوية المستحينة التي سلساها . « إنها لظلي تتلظى وتتحرق .
« نراة للشوى » نرع الخلود عن الوحوه وارؤوس برعاً . وهي عول
« طقة ، لا تستظر حتى يلقى إليها وقودها ، بل « تدعو من أدبر وتون »
تدعوهم إليها كما كانوا من قبل يدعون إلى الهدى . تدعوهم فلا يملكون
الفرار وقد كانوا يدعون من قبل فيولون الأدبار ! فإلهام دعوة مصرعة ،

لا يملك المدعو إلا أن يليها مقهوراً ، وكل ما فيه يدعوه أن يعلت فلا
يستطيع الإفلات !

٢ والمشهد الذي تأتي في الساق بعد فاصل من بيان حال
المؤمنين والكافرين وهو مشهد رأيت له نظائر فيما مضى ولكن في
التعبير شيئاً جديداً . هؤلاء الخارجون من القصور يسرعون كأنما هم
داهيون إلى مصب يعدونه ! وفي هذا التهمك بأسبق مع حالهم في الدنيا .
لقد كانوا يسرعون إلى الأنصاف يعدونها . فها هم أولاء يسرعون يوم
القيامة إسرعهم ذلك ، ولكن شتان ما بين هذا وذاك !

ثم تتم سماتهم بقوله « حاشعة أبصرهم ترهقهم دلة » فلمح
سيعاهم كاملة ، وترسم لك من قسائمهم صورة واضحة ، وهي صورة
تتأسق مع صورة الحوض واللعب في الدنيا ، فإياهم ليسرعون اليوم
ولكن لا إلى اللهو واللعب ، بل إلى الدل والرهق وإن أسار يرهق المرحه
لصرحة في الدنيا لتخشع وتذل في الآخرة وحدة بوحدة . ويوم
يوم : « ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون »

سورة النبأ^(١)

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا : يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَتَأْتُونَ
فُوجًا ، وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ، وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ
سَرَابًا .

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ، لِلطَّاغِينَ مَنَآ ، لَا تُبْقِي فِيهَا أَحْقَابًا .

(١) السورة (٨١) مكية

لا يلدوقون فيها نرداً ولا شرباً ، إلا حميماً وغساقاً جراً ، وفقاً ، بهم
كانوا لا يرجون حساباً ، وكذبوا بآيات كذاباً وكل شيء أحصيناه
كتاباً . فلدوقوا ، من يريدكم إلا عذاباً ﴿

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً : حَدائقَ وَأَعْنَاباً ، وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً ، وَكَأَسَاءَ
دِهَاقاً ، لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً حراً من ربك عطاء حساباً ﴿
﴿ربُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، الرَّحْمَنُ ، لا يَمُوتُ
مَهْ جُطَاءً يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَبَّرُونَ إِلَّا مِنْ أَذِنِ
لَهُ الرَّحْمَنُ ، وَقَالَ صَوَاباً . ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ
مَآئاً . إِنَّ أَنْدَرْنَ كَمْ عَذَاباً قَرِيباً ، يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ،
وَيَقُولُ الْكَافِرُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴿

* * *

هذه المشاهد جاءت رداً على سؤال في أول السورة ، أو استكاراً
لسؤال تعبير أدق فقد سألت السورة هكذا : «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ؟ عَنِ
الْبَاطِنِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ؟ » وكأنما هذا التساؤل غير مفهوم
ولا مقبول فالأمر ينتهي معلوم ثم مضى السياق بقول : « كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ » وفي هذه الصيغة رائحة التهديد فكأنما
يقول : إياهم سيعلمون ولكن في وقت لا يجدي فيه العلم شيئاً ! وقبل
أن يعرض ليوم المعلوم استعرض من مشاهد لحبة ما فيه الكفاية
من شاء أن يلتبس الدليل « لم نجعل الأرض مهداً والحبال نوداً ؟
ونخلقكم أرواحاً ؟ وجعلنا نومكم سباتاً ؟ وجعلنا الليل ناساً ، وجعلنا
النهار معشاً ؟ وسببنا فوقكم سناً شديداً ؟ وجعلنا سراحاً وهاجاً ؟

وأُريد من العَصْرَاتِ (١) ماءً ثَجَاحًا ، ليجرح به حياً وساتاً وحناتٍ
إعافاً ؟ وفي هذه المشاهد كلها دليل .

ثم أخذ في عرض مشاهد يوم انفصل الذي جعله موعداً وميقاناً
يعرض مشهد النخ في الصور ، وتركنا مشهد الأفراح الآتية لساحة
الحشر . ثم عرض المشهد المصاحب في السماء والأرض فاسماء
فتحت فصارت أنوياً بعد أن كانت «سعا شداداً» واحمال سيرت
فصارت سراً بعد أن كانت «أنوياً» ثم ها نحن ولأء مشهد جهنم
ترصد الكهريس فهي في ارتقاف وانتظار ، وهي مآب الظلمين ومردهم
وهم يردونها للآقامة والثلث لا للمرور والمشاهدة . لا يذوقون فيها برداً
ولا شرباً ، إلا ماء ساحباً شوي الطون والحلوق ، وإلا ما يعسق
ويسبل من أحساد المحروقين . وهو أش وأبكى من الحميم وذلك
حرأ يوافق أعمارهم ، فقد كانوا لا ينظرون يوم الحساب ، وكانوا
يكذبون به أسد التكذيب فيما قد أحصيت أعمارهم في كتاب دقيق
وعقب عرض حاضهم في هذا المشهد الأليم سمع كلمات التأسب
نوحه إنهم مع التبتيس من تغيير الحال «فذوقوا ، فمن يريدكم
لأ عذاباً»

ثم يعرض المشهد المقابل مشهد لمتقين في النعيم وقد عرصت له
بطائر من هن ، فهم هائرون ، لهم حدائق وأعياب ، ولهم كواعب
تراب ، ولهم كأس مليئة ، وهم لا يسمعون نعوأ في لحظة ولا كدناً
ودلك جزاؤهم العادل بعد الحساب الدقيق .

وتكملة مشهد اليوم الذي يتم فيه هذا كله ، مشهد الملائكة والروح

(١) السحب تعصرها الرياح فتعطر

فائمين صفاً ، لا تتكلمون في ساحة العرض المسيحة ، إلا لمن يأذن له
الرحمن ، ويقول قولاً صواباً ، لأهم لا يتكلمون إلا فيما هم فيه
مأدبون وموقف هؤلاء المقربين إلى الله ، الأتريفة من ارتكاب الذنوب
موقفهم هكذا صامتين لا يتحدثون إلا يأذن وحساب ، يعمر الجو
بالروعة والرهة وشعهم في الموقف كله فلا عجب إذا نظر كل امرئ إلى
ما قدمت يده فعرف حزاه ، ولا عجب أن يقول الكاهن : « يا ليتني
كنت تراباً » وهو تعبير يلقي ظلاً للرهة والندم ، حتى ليتمنى الكائن
الإنساني أن ينعدم ويصير إلى عصر مهمل رهيد ، فذلك خير
من المواجهة في هذا الموقف الشديد .

سورة النازعات (١)

١ - ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غُرَقًا ، وَالنَّاشِطَاتِ سَهًا ، وَاسَّابِحَاتٍ
سَبْحًا ، فَالْمُتَسَاءِفَاتِ سَفًا ، فَلِلْمُبْذَرَاتِ أَمْرًا ، يَوْمَ تُرْجَفُ الرَّاحِمَةُ .
تَتَّبِعُهَا الرَّاكِبَةُ ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاحِدَةٌ ، أَبْصَارُهُمْ تَبْتَهِتُ
﴿ يَقُولُونَ أَإِنتَ لَمُرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ؟ أَأُنْذَاكُمَا عِطَاءًا مَّجْرُومًا ؟
قَالُوا : تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ! ﴾
﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

٢ . . ﴿ فَإِذَا حُمِلَتِ الطَّائِمَةُ الْكُورَى ، يَوْمَ يَنْدَكُرُ الْإِنْسَانُ
مَا سَعَى ، وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى . فَأَمَّ مَنْ طَفَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ

لدي ، فإنَّ الحميمَ هي المأوى وأما من حوف مقام رثه ، ونهى
الفسَّ عن اهوى ، فإنَّ الحمة هي المأوى ﴿

٣ ﴿يسألك عن الساعة أبان مرساها ؟ فيم أنت من دكراها ؟
إلى ربك متهاها . إيمانك منلير من يحشاها كأنهم يوم يرونها
لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ .

* * *

لكأنا كل شيء هنا يرحف ويلهث الإيقاع ولألفاظ والصور
والمعاني . ولكأنا كل شيء هنا يركض وهو في شبه عمرة وفي خفقات
أو اضطراب ، لا يدري مما حوالبه شيئاً ..

ذلك طبع السياق كله بمشده وإيقاعاته . حيث يرتفع إلى
مستوى من التماسق الكامل بين جميع الجعريات .

البارعات . النشاطات . السابحات السقات المدرات ... ما
هذه ؟ ما شأنها ؟ ما باله هكذا تركض ركضاً وترحف رحفاً ؟
طوائف من الملائكة ، أو طوائف من أي خلق ، أو من أي شيء
نصنع أشياء ، وتحدث آثاراً ، ولكن ذلك كله يتم في عجلة وسرعة
ورحمة إن كل شيء هنا كذلك «يوم ترحف الراحمة» . تنعها
الرادفة «والراحمة» قد تكون الصيحة الأولى ، و«الرادفة» قد تكون
الصيحة الثانية .. على أية حال إن هذه كلها إرهاصات ممهدة لشهد بعدها
المخلوقات الآدمية : «قلوب يومئذ واحة ، أبصارها حاشعة» وكيف
لا تجفُّ القلوب وتخشع الأنصار ، ويحن على العبد ، وتأثير هذا
لايقع اللاهث ، وهذه الإرهاصات المدعورة ، قد وجعت قلوبنا
واهترت مشاعرنا ، وعدرنا شعور عارض بالرحمة والاضطراب ؟

وفي هذه اللحظة التي يعمر الموقف فيها الارتخاف ، يرتد السياق إلى المكذبين بهذا اليوم ، ويعيد أقوالهم المتشككة التي سددو في هذا الموقف سحيفة مصحكة إنهم « يقولون أننا لردودون في الحامرة ؟ » أئد ، كعظماً بحرة ؟ » فهم لا يصدقون أن يعادوا من حمرتهم التي دهوا بها ، وقد صاروا عظاماً بحرة ، وهم يتهمون على هذه العودة « قالو : تلك دن كرة خاسرة » ! وكمة « دن » هـ مما يرر السحرية من الإعادة

وإذ ينتهي من عرض ما يقولون ، يرتد إلى الموقف لدي كـ هـ منذ لحظة . فيحيب على هذا التساؤل وهذه السحرية إحاة حاسمة سريعة . « فإما هي زحرة واحدة » والصيحة هـا زحرة ، لأن الزحرمم يلائم هذه الطبائع الساحرة « فإذا هم بالساهرة ^(١) » هكذا فحاة ، وبعد الزحرة مباشرة ، فاحر كله أسرع ، والموقف كله اندفاع

٢ ثم يمضي السياق يقص قصة فرعون وموسى ، فهذا الإيقاع نوعاً ، وتتراخى لسرعة قليلاً . ثم يعرض بعد القصة مشاهد السماء والأرض وما تدل عليه من قوة « أيدي : » « أنتم أشد خلقاً أم السماء بناه ، رفع سمكها فسواها ، وعطش لبها وأحرق صحاها . ولأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعاً لكم ولأنعامكم »

نلاحظ في جميع هذه المشاهد القوة والأيد ، كما نلمحه في حرس الكلمات وصورها من بناء السماء إلى رفع سمكها وتسويتها إلى إعطاش الليل ، وإخراج الضحى إلى دحر لأرض . إلى إرساء الجبال

(١) الساهرة . الأرض اليعاء المستوية

وفي ذلك كله تمهيداً وتنسيقاً مع وصف القيمة المحترق في هذا
الموضع . إنها « الطامة الكبرى » والطامة لعظة مصورة محرسها لمعناها ،
وهي تطم وتعم وتربي وتطغي . على السماء المنية ، والأرض المدحوة ،
والخمال المرساة ، والليل المعطش والضحي المخرج . إنها تطم على
كل شيء ونعم وهي تحي في إياها لتطم على هذا كله ، وليطفي
مشهداها على تلك المشاهد جميعاً !

وفي يوم الطامة لكبرى برزت الجحيم لمن يرى ، فكل شيء هنا
شديد بارز « فأما من طعي » واطعيد مما يتسق مع السياق - « فإن
الجحيم هي المأوى » . « وأما من خوف مقام رب » والخوف أليق شيء
بالسياق أيضاً - « فإن الجنة هي المأوى » .

٣ وفي هذه اللحظة التي يعمر الوجدان فيها شعور عامر بالبروعة
الكبرى ، يرتد الساق إلى أولئك الذين يتشككون في اساعة وسألون
الني « أيا ن مرساها ؟ »

والجواب : « فيم أنت من ذكرها ؟ » وهو جواب يوحى بالعظمة
والصحة ، فيها هو ذا يقال بمرسل العظم : « فيم أنت من ذكرها ؟ »
إنها لأعظم منك جداً وما كنت لتحدد ميقاتها ومرساها (وكلمة
مرساها توحى باللمحة الطامة ترسل الساعة منها في مرساها) إنما أنت
فقط لتندر من يحشها ، وعد ربك منها فكل شيء للتحويل
والتضخيم ، حتى الهاء الممدودة ذات الإيقاع الصبح الطويل وهي
تأتيهم بعة حتى « كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية وضحاها » !
وحيث تجتمع الصخامة إلى الفجاءة تجتمع هولاء ، وتحدد مطهران ،
ويتسق الجو كله من مبدأ الصورة إلى منتهاها !

سورة الانفطار^(١)

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انثَرَتْ ، وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ، وَإِذَا الْقُورُ بُعْثِرَتْ ، عَلِمْتَ نَفْسُ مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ ﴾ .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ رَبُّكَ الْكَرِيمُ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ؟ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ . كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّكْرِ ، وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِطِينَ ، كَرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي حَرِيمٍ ، يَصُومُهَا يَوْمَ الدِّينِ ، وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ؟ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ؟ يَوْمَ لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ .

* * *

عودة إلى مشاهد الطبيعة لهائلة المقلدة في اليوم العظيم : السماء مفطرة منشقة ، والكواكب معثرة منتثرة ، والبحار فائضة متفجرة ، والقور مسوشة معثرة . هون في السماء وفي الأرض ، وحركة عيفة في الطبيعة .. فإذا أقعم الحس ، وتصححت صافد النفس ، أحد السياق في يقاظ الوجدان للاتعاط والاعتبار « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ رَبُّكَ الْكَرِيمُ . ؟ » « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ » فهو خطاب للبشر بأحسن ما فيهم وهو (الإنسانية) . خطاب بهر القلوب ، ويشعر هذا الإنسان بعناية ربه ، ومآثر حالقه ، الذي حقه فأحسن خلقه ، وأبرزه في هيئة

(١) السورة (٨٢) مكية

حبيلة معدة ، وتسيق سوي^١ سليم ، وهو القادر على تركيبه في أية صورة يشاء ، ثم لم يرك سدى ، فهناك من يحسب عليه كل حركه وكل نامة « وإن عليكم بحافطين كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون .. » . ذلك عرض للمؤثرات من طرفها : المؤثرات الهائلة المروعة في الطبيعة ، والمؤثرات لوديعه العميقة في النفس . فإذا تم هذا كله عاد السياق إلى عرض مشاهد الحراء فالأبرار في نعيم ، والفجار في ححيم ثم تفصيل لمشاهد العذاب لأنها أوقع في الحس وخاصة مع المكذبين فهذه الححيم « يصلونها يوم الدين ، وما هم عنها بعائنين » ثم يعود إلى تهويل بيوم الدس ، يسأل عنه سؤال التعظيم ، ويثني سؤال للتحهل والتفحيم ، ثم يصف هذا اليوم بإحدى خصائصه العظيمة « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، وأمر يوتد لله » مالك يوم الدين والكل دونه عحرون .

سورة الانشقاق^(١)

﴿إذا السماء انشقت ، وأدنت لربها وحقت ، وإذا الأرض مدت ، وألقت ما فيها ونحت ، وأدنت لربها وحقت يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه . وأما من أوتي كتابه بيمينه ، فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثوراً ، ونصلى سعيراً . إنه كن في أهله مسروراً إنه طرئ أن يحور . بلى ! إن ربّه كان به بصيراً ﴾

° * *

(١) السورة (٨٣) مكية

المشهد العام لا يشقى لسماء . وساحل الأرض لا عوج فيها ولا
أفك هذا المشهد هو هو كما عرص من قبل وكسها حديد
في الملاسات يصيف إلى المشهد عناصر ذات قيمة .

فالسما هو تشق ، ولكن لا تنتهي إلى حدث المادي وحده
فيها كدك تعاد لرميها ، وتسلمه رماها ، وبان إديه على اشقاقها
والأرض كذلك تسوى ونروب حياها وتواءاتها ، ويلقي ما في رطها من
الحث وسواها وتتحي عنها ولكنها كدك تسلم قيادها لرميها وتال
إديه على تحليها ، وكما تسلم أماتها التي حملتها صوبلاً ، وتقص من
نفسها أخيراً ١

انوقف موقف تسليم وانقياد واداء خدمة تعبت لطبيعة في حملها
حتى تسلمتها وذلك تنسج مع موقف الإنسان في هذا مشهد من
مشهد القيامة :

« أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فلاقه » ولإنسان
كذلك محتمل مشقات ، كادح ليصل إلى ربه في النهاية ، كما
وصلت الأرض والسما ، يبقى أمامه حمته ، ويتلقى منه الجراء
« فأما من أوتي كتابه بيمينه فهو يحاسب حساباً يسيراً » وذلك قد
علمه من قبل في مشهد آخرى ثم يريد هذا أنه يثقل إلى أهله
مسروراً ، كما يقع للإنسان حين يباله لحير فيعود إلى أهله مستشراً .
وأهله يدكرون هذا ، لأن لدي يؤتي كتبه وراء ظهره وهذا وضع
حديد لإيتاء الكتاب كان في هله مسروراً في الدنيا ، وكان بطل أن
لن يرجع لله . وسيصلى هو سعيماً . من المقابلة المسقة أن يكون من
يؤتي كتبه بيمينه أهل ، يعود إليهم في الآخرة مسروراً ١

سورة الروم^(١)

١ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُحْرَمُونَ ۚ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ۚ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُعْمَاءُ ۚ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَاذِبِينَ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئُونَ بِتَفْرِقُونَ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَصَّرُونَ ۚ﴾

٢ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُحْرَمُونَ مَا لَنَا مِنْ سَاعَةٍ ۚ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ۚ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ۚ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ۚ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَنُّوا مَعْرِضَتَهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۚ﴾

* * *

١ المشهد الأول مشهد المحرمين نعمهم الساعة فيسكتون سكوت اليأس الذي يحس أن لا فائدة بحديث ، ولا حدود لمحاولة ، ثم لا يحدون من شركائهم الذين عبدوهم في الدنيا شعماء ، بل يكفرونهم شركائهم ، ويكفرون صلتهم بهم بكار الحهود ! ثم يتفرق الناس فريقين ، الذين آمنوا في روضة تملأ نفوسهم ووجوههم بشراً وحبوراً ، والذين كفروا يحضرون إلى العذاب إحصاراً على كره منهم واضطرار .

٢ . والمشهد الثاني مشهد المحرمين كذلك يعثون نعمة ، فيحذعهم إحساسهم حتى ليحسوا أنهم لم يلبثوا إلا ساعة ثم ستبطل . وهذا

(١) السورة (٨٤) مكة إلا آية

يتدخل « أنيس » أوتوا العلم والإيمان ، وكأنا هم موضوع في تقرير الأمور . كما قلنا في مشهد سابق فيكشفون لهم عن جهنم . ويدكروهم عما قرأ منهم ، ويقولون لهم ، لقد لستم ما شاء الله أن تثنوا ؛ ثم لقد بعثتم اليوم . وها هو ذا المبعث الذي كنتم به تكذبون ! ثم يأتي التعليق على الموقف كه : « فيومئذ لا يسمع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يُستعْتُونَ » !!

سورة العنكبوت^(١)

﴿ يستعجلونك بالعذاب ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ، يوم يغشاهاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ويقول : ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾
... ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لبوئنتهم من الجنة عرفاً
تجري من تحت الأنهار ، خالدن فيها ، نعم آخر العاملين ﴾

• • •

المشهد هذا طريف ، وقد سبق له بطير على وجه آخر هؤلاء القوم يستعجلون السي رعد ، في الوقت الذي تحط بهم جهنم وكأنا سطر بحر يرى هذا اسطر من حيث لا يروه ، فمعجب لعفتهم ، وهم واقفون يستعجلون ، وحنهم محيطه سائس ! وتنسباً للمشهد كله عرضت صورة للعذاب في الآخرة يوم يحيى عشاها

١ سورة العنكبوت : ١٨ - ٢٠

من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ففيه صورة الإحاطة من كل جانب ،
ثم يريد على ذلك النائب والنوبيح . «دوقوا ما كنتم تعملون»
وللدين آموا عرف تصمهم وتحتوبهم في مقابل إحاطة حهم
بالكافرين ولكن شتان بين احتواء واحتواء ! ولهم كذلك تكريم
ويعم ، مقابل التأنيب والتوسيع . «نعم أحرار عاملين» .

سورة المطففين (١)

﴿كَلَّا ! إِنْ كُنَّا الْفُحَّارِ لَهِيَ سَحِيحٌ ، وَمَا أَثَرُكَ مَا سَحِيحٌ ؟
كُنَّا مَرْقُومٌ . وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمَكِيدِينَ ، الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ -
وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُنْ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ ، إِذَا تُلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ : أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ . كَلَّا ! بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . كَلَّا ! إِنْهُمْ
عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ، ثُمَّ إِنْهُمْ لَصَالُو الْكَاثِبِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ :
هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ! ﴾

﴿كَلَّا ! إِنْ كُنَّا الْأَرَارِ لَهِيَ عَيْنٌ وَمَا أَدْرَاءُ مَا عَلِيُونَ ؟
كُنَّا مَرْقُومٌ ، بِشَهَادَةِ الْقُرُونِ إِنْ الْأَرَارِ لَهِيَ نَعِيمٌ ، عَلَى الْأَرَارِ
يَنْظُرُونَ ، تَعْرِفُ فِي وَجْهِهِمْ نَصْرَةَ النِّعَمِ ، يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقِ
مَحْجُومٍ ، حَتَامُهُ مِسْكٌ ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ، وَمِرَاحُهُ
مَنْ تَسْتَنِيمٌ ، عَيْبًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾

﴿إِنْ لَدِينِ أُخْرَمُوا كَانُوا مِنَ الدِّينِ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا

مُرُوا بِهِم بِعَامُرُونَ ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَرَبُوا فَكَرِهِينَ ، وَإِذَا
رَأَوْهُمْ قَالُوا : إِنَّ هَؤُلَاءِ لَصَالَتُونَ . وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِطِينَ ﴿١٤﴾
﴿عَالِيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ، عَلَى الْأَرَائِكِ
يَطْرُونَ﴾ .

﴿ هَلْ ثُبُوتَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٤ ﴾

• • •

وللمرة الأولى يذكر أن لصحار كتاب يحفظ في مكان خاص عبر
المكان الذي يحفظ فيه كتاب الأبرر وكتاب الصحار في «سجين»
ويعرف ما هو ولا أس السجين ولكن لا أن يصهم من طريقة
المفاتيح المتعة في القرآن أنه مكان هابط تقابل «عيسى»

ثم يشهد الصحار محجوبين عن ربه لا يرونه . والله من ربه
يسأل ، ولكن الحجب هنا معوي محسوس ، فهم لن يتطلعوا إلى ربه .
بل يقولون كما عهدناهم في كسي رؤوسهم في سجن وإهم ليحجوبون
عن ربه ، لأنه ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . ران عليها فحجبها
عن الهدى وحجب عنها النور فحجروا أنفسهم أن يحجوبوا عن ربه في
الآخرة حراء وفاقاً ، وتنسيقاً في المشهد كذلك محفوظاً

كذلك شهد الأبرر في نعم ، على الأرائك يَطْرُونَ ، تعرف في
وحدهم بصرة النعم وللمرة الأولى يذكر أنهم «يُسْقَوْنَ» من رحيق
محتوم» «وهو» حه من تسميم ، عيماً يشرب بها مقرون» ولأول
مرة تذكر التسميم ، ويعرف أنها عين يشرب بها المقربون
ويحفظ هذا أن هناك تطويلاً يسود مشهدين مشهدين لعظيم

الذي يتمتع به المبرورون ، ومشهد اسخريه التي كانت تسلهم في الدين من المحرمين . وكلما زاد المشهدان طولاً وهذا المشهد الأخير بخاصة - كانت المصاحاة في السهية أوقع عندهم يقول «اليوم الدين آمنو من الكفار بضحكون ، على الأرائك يطرون» ! ثم يتوجه ، لتكم في النهاية إلى أولئك المستهزئين بامؤمنين ، «هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون» ؟

كلا ! لم يتوبو معهم كما شهدهم مدهسية ، هنا في اللحيم !

سورة البقرة (١)

١ - ﴿مَاتَقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ .

﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ، وأنوا به متشابها ، ولهم فيها أزواج مطهرة ، وهم فيها خالدون﴾ .

٢ ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب إذ تبوأ الذين اتبعوا ، من الذين اتبعوا ورأوا العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا : لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا ! كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار﴾ !

(١) البقرة (٨٧) مائة الآية ، البقرة كملت لكم دينكم ، فقد ربت على في حجة الوداع

٣ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ، وَلَا يَكْنُفُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

• • •

١ في النص الأول تصوير جديد لمدر فقد علمنا أن وقودها من الدس وأن بعض الناس وبعض الآلهة (خَصَصُ حَهم) ولأن بعض على أن وقودها من الحجارة أيضاً وأن الناس يسوون بالحجارة في هذا الوقود ! فبس من الضروري أن تكون تلك الحجارة معبودات ، إلى هي حهم تنهم كل شيء ، والناس فيها والحجارة سواء وفي هذا من التحقير لأصحابها ما فيه ، فهم حجارة تسد مسد الحجارة ، وفيه صورة كذلك لنعيم حديدية . فالثمار في هذا النعيم متشابهة المطهر ، مختلفة الصعوم . فكلما رزق المؤمنون من هذا ثمر : قالوا

هذا الذي رزقنا من قبل « ولعل قيمة هذا التشابه ولتنوع هي قيمة المفاجأة اللدنية السارة من حيث لا تحتسب ، مع شيء من المداعمة لهؤلاء المعين تريدهم شعوراً بالنعيم ثم لعله مظهر من مظاهر القدرة التي تضع الفروق بين لمتشابه ، وتعدد الأنواع والمطهر متقارب

٢ - والنص الثاني يعرض حالة الناعم والمتنوعين وهذه قد عرصت من قبل . ولكن تفصيلاً هـ مختلف فلا حور هـ بين هؤلاء وهؤلاء ، إنما يشرأ المتنوعون من لتعين ، فيحفظه عليهم هؤلاء . ونشغفون بحور على أساليب من العظ . ويتمون أن عودو في الدن لعرص واحد يشغفون منه بعبودهم الفائضة بالمررة « لو أن ل ككرة فسر منهم كما به أو ما » فقط لمجرد رد الحميل !

ولكنها حسرات» وما هم بخارجين من النار» .

٣ . وانص الثالث يعرض نوعاً من العذاب الحسي والمعوي يذكر هنا لأول مرة . فالذين يشترون آيات الله ثمناً قليلاً «إعما يأكلون في بطونهم نارا» وهو مشهد طريف حقاً أن تنحيلهم يأكلون النار ، فتستقر في بطونهم نارٌ . أما في الآخرة بهم مسودون مهملون ، لا يكلمهم الله ولا يزكّيهم . وبإله من عذاب مُحَرَّمٍ مهيئ . وإليه لعذاب هوو العذاب الحسي ، لا يقص عنه مصاباً للحواطر وإيلاماً للنفوس .

سورة آل عمران^(١)

- ١ - ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ حَيْرٍ مُخَضَّرٍ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ، تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ .
- ٢ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .
- ٣ - ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، خَالِدِينَ فِيهَا ، لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ، وَلَا هُمْ يُنْقَرُونَ﴾ .
- ٤ - ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وَجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ - أَكْثَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ ؟ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ! وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

٥ ﴿وَلَا يَحْسَبُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ حَبِيراً لَهُمْ﴾ ، بل هو شرُّهم ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾
 ٦ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ، وإنما تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، هُنَّ زُحْرٌ حَرٌّ عَنِ النَّارِ وَأُدْجِلَ الْحَبَّةُ فَقَدْ فَازَ ﴿٧﴾ .

• • •

١ يتألف المشهد الأول من طلال نفسية تسعث من تحسّم متحيّل . فهي هي دي النفوس سطر في يوم للقيامه ، فإذا الذي عملته في الدنيا محصر بخيره وشره ، وكأنا هو شيء محسّم يُحصّر ، وتوجه به موجهة حسية لا سبيل معها إلى الفرار عندئذ تنعث من هذه نفوس تلك الطلال النفسية التي ترسمها لنا مشحونة واصحة إنها لتصر بما عملته هي ذاتها بصوراً شديداً ، وإياها لتودو أن ييبها وييه أمد بعيداً ، وإياها للحطاب نائسة من الحري والإشفاق والتمني الخائب . ترتسم شاحصة في هذه الكلمات القصار

٢ أما مشهد الثاني فهو مشهد الإهمال والإهانة ولاحتقار من عهدوا ثم أهملوا عهدهم واشتروا به ثمناً قليلاً وقد مر له شبهه ، ولكنه لا يكرر ما حتى تكون به زيادة فذلك كان مظهر الإهمال وإهانة أن الله لا يكلمهم ولا يركبهم مرادها أن الله لا ينظر إليهم أيضاً ، والمطر أدسى من الكلام وتركبة ، ولكمهم لا يدلوه أيضاً فليسوا معترفاً بهم في الموقف أدسى اعتراف ، ليسوا قد نقصوا عهدهم مع الله واشتروا به ثمناً قليلاً من الناس ؟ ألا إهمهم يستحقون لاحتقار والإهانة والإهمال !

٣ والمشهد الثالث يصور نوعاً جديداً من العذاب م يسوق

تصويره . ليس لعذاب هذا بالسر . ولا شجرة لزقوه . ولا بالمهل
يعلي في اسطون كعلي الحميم . ولا بالعسلين . ولا بالحميم شربونه
شرب الميم .

إما هو عذاب من لوز آحر . عذاب قد تحسه لعوس والقلوب
أكثر مما تحسه الأنداد واسطون . به نعمة الله والملائكة والناس
أجمعين .

ولقد كانت لعنة واحدة من هذه اللعنات تسود حياة إنسان وتعدده
عداها شديداً . بل لقد كانت لعنة حيل وخذ من الناس تنصب على
فرد تصير حياته حجيماً فكيف نعمة هائلة محتمة من لمة الله ولعة
الملائكة ولعة الناس أجمعين ؟

إبه نوع من العذاب لا يطاق وهو حدير بان يسمى عذاباً .
يريد وقعه به خالد دانه . وحاصر لا يؤجل « حالدين فيها لا يحقّف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون » .

٤ . والمشهد الرابع يرى فيه منظر عجايب يرى وجوهاً مسودة
ووجوهاً مبيضة . ولا ند أنما عرف لأن من الوجوه المسودة ومن الوجوه
المبيضة وهو مشهد حسي . ولكنه مسعث عن تأثر نفسي . ألقى
صده على هذه الوجوه فابيضت . وعلى تلك الوجوه فاسودت . ومع أن
في هذا الكهفية للدلالة على ما يحيش في نفوس هؤلاء هؤلاء . فإبهم
لا يتركون لما يعتلج في نفوسهم من شعور تدور ضلالتهم على وجوههم .
« أما الذين اسودت وجوههم فادعوا العذاب بما كنتم تكفرون » .
« وأما الذين بيضت وجوههم فهي رحمة الله هم فيها خالدون » .
وهذا ودئت ريباده في العذاب والعيم ، وفي التحقير والتكريم .
٥ . والمشهد الخامس مشهد طريف كذلك هؤلاء قوم آتاهم

لله من فضله في الدنيا سعة في الرق ومالاً ومتاعاً ، فاحتوا بذلك كله .
وحسبوا أنفسهم باحسين ، ثم جاءوا يوم القيامة . فإذا لديهم مخلوا به
شيء محسوم . وإذا بهم يطوقون به أغلالاً في الأعناق تكتم الأنفاس .
لما هم بحاجة إلى أغلال حديدية ، فلقد جاءوا بأطواقهم من بيوتهم !
ولما مكهم أيديهم ! ولما مخلوا به في ديبهم ! وهو ولا شك عذب
طريف ، وحراء محيف !

٦ - ولشهد السادس يرسم صورة نقوة العذاب لا يرسمها
مباشرة . ولا يبرزها مواجهة . عما هو يدع الألفاظ تلقي طلالاً معيبة .
ويرسم في الضمير مشهد مخيف « فمن رحرخ عن النار وأدخل الجنة
فقد فار » فكل فرد إدد عن وشك أن يسقط في النار . وإنه ليجتاح
في محاورتها قليلاً إلى جهد عفيف . جهد الرخرحة ، وهي الحركة الطيئة
العيبة « ورحرخ » نفسها ترسم صورة لمعاصيها . فمن تمت به الحاجة بعد
هد الجهد الطيء العفيف فقد فار . وقد نجا من الخطر ذي الحادية
العيبة . التي يجتاح الإنسان إلى الجهد في محاورة مطلقها الخطرة
وعندئذ يدخل الجنة . فلقد بعد حصر الحادية للنار !

مشهد بطيء عفيف للرخرحة ولإدخال الجنة . يستقر في الحس
مه أنها محاولة خطره . وأنها محاربة رهبة . وأن جهنم تمرصاد لكل
إنسان . لا يحومها إلا نخه . وعبية تلحظ الفرد ، ونقوة فوق
قوته ، وبالنصال واجتهاد !

سورة الأحزاب (١)

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ، يَقُولُونَ : يَا لَيْتَ أَطَعْنَا اللَّهَ

(١) السورة (٩١) مدته

وأطعنا الرسولاً ! وقالوا : ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلُّون
السيلا ربنا آتاهم ضعفين من العذاب ، والعنهم لعناً كبيراً ﴿

* * *

عرفنا من قس كذب الوجوه في النار ، وكسبة المحرمين في حهم ،
وسحهم على الوجوه في السعير . فهذا مشهد منظر آخر : مطر الوجوه
تقلب في النار ، وما هي بحاجة إلى التقلب فإسار تعشاها من كل
حانب ، ولكنه مشهد مفرع ، فيه العناية بإيصال النار إلى كل جزء وإلى
كل صفحة وجه ! ولا عرانة في أن سمعهم يقولون في لحظة صارعة
دليلة ، وفي نرة ندامة حسيرة : « يا ليت أطعنا الله وأطعنا الرسول »
ثم ترتفع السرة البائسة النادمة . فترتد حقاً أليماً وسحقاً مريراً على
أولئك الذين أصاروهم إلى هذا المصير :

« وقالوا : ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلُّون السيلا ربنا آتاهم
ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » .

ثم يحتم المشهد ، فلا حواب على هذا كله ، ولا يحتفظ المحيلة
إلا بتقريب الوجوه ، والحسرة والكصم . والحق مرير .

سورة النساء^(١)

١ ﴿ فكيف إذا حسنا من كل أمة بشهيد ، وجشاً بك على
هؤلاء شهيداً ؟ يومئذ يودُّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى

(١) السورة (٩٢) مدنية سبقتها سورة « المحتجة » وليس بها إلا إشارة للمصاحفة

بهم الأرض ، ولا يكتمون الله حديثاً ﴿

٢ - ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصليهم نارا ، كلما
نصبت جلودهم بدلهم جلوداً غيرها لينوقوا العذاب ، إن الله
كان عزيزاً حكيماً ﴾ .

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري
من تحبها الأنهار خالدون فيها أزواج مطهرة ، ودخلهم
ظلاً طليلاً ﴾ .

٣ ﴿ ومن بطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ﴾ !
٤ ﴿ إن المناهقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم
نصيراً ﴾

* * *

١ . في المشهد الأول ترسم صورة قوية عميقة للشعور بالحزي
القتل والحمل الميت ، وقد أحضر المتهمون وجي « بالشهداء » ووقف
كل رسول يشهد على قومه بما صنعوا في هذا الوقت « يؤذ الدين
كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض » ولتعبير عن هذا الجو
قيمة خاصة لا يسعها التعبير المباشر عن الشعور بالحزي والدمامة ،
مهما تبع من القوة والسلاعة « لو تسوى بهم » إن جمال التعبير
وعمق الطلال النفسية ولشعورية التي يلقبها ، والمحال لدي يفتحها

تأمل مواضع الشمس ، وحسنت الحس ، في هذا الموقف
 كنه يحول بيني وبين ترحمة هذه الألفاظ القلائل في أي تعبير سره .
 وفي هذا التعبير المختصر لحافل تلك الطلال . ليعيد إلى نفسي تلك
 لصورة التي مروت في قوله « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يعيه » .
 وكلاهما فريد في تصوير أهول النفسي لحث لذلك اليوم لرهب
 وفيه يسع في تصوير هذا أهول أن يطغى على الأهوال مادية من
 انقطاع السماء ، وارتخاف الأرضين ، وانتثار الكواكب ، وانكدار
 الشمس إلى آخر تلك الأهوال مادية التي تتحلل في عالم الطبيعة
 العظيمة هذا هول يشيع في عالم الشمس . وإيه لأعمق من عالم الحس ،
 يا كنت أهول الصيغة العظمى ! وكل ذلك في كلمات ثلاث أو
 أربع تلقي حشداً عميقاً من الصور والفضال

٢ أم المشهد الثاني فهو مشهد مطوّل لعدد بحسبي ومع أن
 ألفاظه ليست طويّله ، ولكنه يأخذ لتطويل من التكرار « كما
 صبحت حلودهم سلاهم حلوداً غيرهم ليدوقوا العذاب » وتلك
 إحدى وسائل التطويل في عرض المسطر في لقرن « فلفظ » كلما « هذا
 يدع الخيال يستعرض المشهد المروع ، ويكرر العملية المفزعة ، وكلما
 راد فزعاً وارتدعاً ، راد إقبالاً على لتكرار . والهول المروع يشد الحس
 إلى المطر المتحيل شداً ، ويقفه أمام المشهد لا يرسم ، إلا أن يتقل مع
 السياق إلى مشهد الدين آمنوا في حنات محري من تحبها الأهار ، وفي
 ظل ظليل ، يقابل ذلك الإنصاح للحلود ، والنصح والشواظ . وفيه
 لسر على الحس في هذه المناسبة برداً وسلاماً ، وروحاً واستحماماً ،
 بعد مشهد العذاب الشديد ، ومشهد انشيء والوقود !

٣ ويعرض في المشهد لثالث لون حديد من المعيم باستكريه

الحاصل . وهذا التكريم ها هو مصاحبة السيير و لشهداء والصالحين .
 بحسب إنسان أن يكون مع هؤلاء « وحسب أو ثلث رقيقاً » وهو نوع
 من العجم بأسب دوي لقوس اطيبة والأحسب السبلة ، ولث لدبر
 بهمهم العجم الأدبي المعوي . فلا يعدلوا به أشهى العجم لحسي وفي
 هذا المشهد نوع من ذلك العجم

٤ وللمرة الأولى يعرض المشهد الربيع للمدققين يعرضه في
 « الدرك الأسفل من الدنيا » حسياً أو معنوياً ، وانعير يبغي في النفس
 طل لاحتقار والامتداد . مع شعور لتثقيف ، في العذاب المكتوم
 المصعوط تحت بطواق العليا ، في الدرك الأسفل من الدنيا !!!

سورة الزلزلة (١)

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَحْرَحَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا ،
 وَقَالَ الْإِنْسَانُ : مَا لَهَا ؟ . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ، مَا رَكَّ أَوْحَى
 هَا . يَوْمَئِذٍ يَصْنَعُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ . مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
 ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

« « «

هذه السورة شبه شيء في نظامها وفي مشاهدتها ، لسور المكنة .
 وهي تنحى لمشاهد انقيامة في سور التكوين والانفطار والانشقاق
 الخ والهول هنا مادي في مشاهد لصيعة ، وحسي في داخل الحس
 الإنساني . فالأرض ترتزل زلزالها ، والأرض تخرج أنقالها : من حدث

مدفونة . ومعادن مطموره . وكور مكنوة . ويبس الإنسان هذا
 مشهد الذي لم يأله . ولدي يصعب حسه ونفسه ، فيسأل ما هذا ؟ ها
 ترلزل وتصطرب . وتخرج ما فيها من دهائن وأحساد ؟
 وهما نبذة لإسان مشهد لعه أشد من مشهد الرلزلة والانهجار
 فهذه هي الأرض « تحدث أخبرها بأن ربك أوحى لها ، وقد انقلت
 هذه الأرض شخصية حية ، تسأل فتحيب . وتبدي الطاعة للحاق
 المدرس « يومئذ يصبئ الناس أشتاتاً » ويسعثون أفراداً ، يعثرهم الهول
 الهائل ، ويفرقهم الشعل ، الشاعل . إهم صدروا : « نبروا أعماهم »
 لا لبروها طوعاً ، بل لبحملوها على الرؤفة حملاً ، ثم تبدأ عملية
 الوزن في الميزان الدقيق الذي تميله الدرة إن خيراً وإن شراً « فمن
 يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

سورة الحديد^(١)

١ - ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ سَعَىٰ يَوْمَهُم مِّنْ أَيْدِيهِمْ
 وَبِأَيْمَانِهِمْ تُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ حَبَّاتٌ تُحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ
 آمَنُوا انظُرُوا بِقَسْرٍ مِّنْ نَّوْرِكُمْ قِيلَ : ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا
 نُورًا . فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ : بَاطِنُهُ هِيَ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ
 قَبْلِ الْعَذَابِ ، يَادُونَهُمْ : أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ؟ قَالُوا بلى ! وَلَكِنْ كُنْتُمْ
 تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ، وَتَرْتَضَوْنَ ، وَارْتَضَيْتُمْ ، وَعَرَّيْتُمْ الْأُمَانِي ، حَتَّىٰ جَاءَ

(١) السورة (٩٤) مدنيه

أمر الله وغرركم بالله الغرور . فليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ، مأواكم النار هي مولاكم ونشر المصير ﴿ ١ 〉 .

٢ ﴿ سبِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَحَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ
السماء والأرض أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

• • •

١ - المشهد هنا بإجماله ونصصيه حديد ، وهو من المشاهد التي يحييها الحوار ، بعد أن ترسم صورتها المتحركة رسماً قوياً . فتحن شهداء هذا مطراً عحناً ، وهؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات برهم ، ولكنا نرى بين أيديهم وبأيديهم إشعاعاً لطيفاً هادئاً ذلك نورهم يشع منهم ويفيض بين أيديهم . وذلك مشهد لطيف حقاً . وهذه الأقسام الإلهية المعصية ، قد أشرقت وأضعت ، وأشعت نوراً يمتد منها فيرى أمامها ويرى عن يمينها ، وتوجهه نصرباً نحو النظارة في ساحة العرض إلى هذا السور ، ثم هو نحو أولاء يراه وهو نحو أولاء نسمع ما يوجه إلى المؤمنين والمؤمنات هؤلاء من تكريم وتثني : « نُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ حَتَّى نَخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَسْهَارَ حَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »

وكأن المشهد لا ينتهي عند هذا المطر ، لطيف الطيف إن هناك جماعة من المنافقين ، وهم كعادتهم في الدنيا أولو ملق وبطاهر ، ثم لعنهم هنا صادقون فيما يظنون . « يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا : انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ بَرِّكُمْ » فحينئذ توجه أقطار المؤمنين والمؤمنات شمع ذلك النور اللطيف الشفاف ولكن أئى للمنفقين أن يقتسروا من هذا النور وقد عاشوا حياتهم كلها في ظلام ! إن صوتاً محلاً يناديهم « ارجعوا وراءكم فاتمسكوا بنوراً » ، والظاهر أنه

صوب لتهكم ولتذكر بما كان منهم في الدنيا من بقاء وفساد في
 انصافهم رجعوا وراءكم في الدنيا إلى ما كنتم تعملون رجعوا فالور
 يسبح من هناك ، ومعته هو العمل في الدنيا ، وقد هتأواه
 رجعوا فليس اليوم يلتبس السور ، ولعلهم لا يهتمون اسحره
 فيترجعوا قليلاً ! انه نعيمهم فهموها وأحسوا الدامة والأسى على أية
 حال لقد صرت بين الفريقين سور فصل بحجب هؤلاء عن هؤلاء .
 في جانب منه نعيم النعمين ، وفي جانب منه عذاب المعذنين ويبدو انه
 سور يجمع الرؤية وكنه لا يجمع الصوت فها هم أولاء اساقفون ينادون
 مؤمنين « أم يكن معكم » هـ بالنا يفرق عنكم . ألم يكن معكم في
 الدنيا يعيش في صعيد واحد . وقد نعتنا ها معكم في صعيد واحد
 « قلوا بلى » كان لأمر كذلك ، « ولكم فنتم أنفسكم »
 وصرفتموها عن هدى ، « وترى صتم » فلم تعلموا ولم يكتاروا بحيرة
 لأحيرة ، لأنه لم يكن لكم من ليفس ما يدعكم إلى لاختيار الحاسم
 « ورستم » وعزركم الأماني « لناظلة في أن سحوا هذه الدامة ، وأن
 تمسكو بعضاً من طرفيها ، فتحو العائدة مصعفة « حتى جاء أمر
 لله » ونهى لأمر « وعركم بالله لعرور » وهو اشيطان عالماً ذلك الذي
 ظممعكم في السور . وإب لم تثوبوا إلى يقين ثم يستمر المؤمنون في
 لتذكير والتفكير . كأنهم أصحاب موقف المحكمون « فاليوم
 لا يؤحد معكم قدياً ولا من الدين كهروا ، ماؤكم البأ هي مولاكم
 ويا ها من مولى ! « وثس المصير !

وبتكرر في سورة ذكر السور « ولدين آمنوا بالله ورسله أولئك
 هم الصديقون والشهداء ، عذرهم ، هم أحرهم وبورهم » و . « يا أيها
 الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله ، يؤتكم كفلين من رحمته ،

ويجعل لكم نوراً تمشون به .

وسطر محمد بنورها حكمة خاصة ، تشيع النسيق في المشهد
كأنه إن الحديث هنا عن اساقف وأساقفون يحمون باطنهم -
وبتظاهرون بغير ما في انصمير المكفون ، ويعيشون في ظلام من اتفاق
والدس والوقية . والور يكشف الخوء ، ويوضح المستور ، فهو
أبقى شيء هنا بأن تطلق أشعته على المشهد الكبير ! وأن نسر كذلك
بين يدي المؤمنين والمؤمنات من المنفقين في الدرث لأسهل من الدر
كما عرفنا من قبل . أي في بطون الظلمات التي تناسب ظلمات
الانصمير ، وظلمات الحافي المستور !

٢ . والمشهد الثاني في سياق السورة ، هو مشهد المساحة الواسعة
تشعبها الحجة «عرضها كعرض سمء والأرض» وهي مساحة واسعة
شامة تصح المجال لتصور مشاهد لعم الخافل في هذا المجال انفسج
وتلك وطيفة المشهد هـ . فهو يحيى بعد ذكر متاع الدن وقصره .
« عمنوا أنما أحياه الله لعب وهو وريته وتعاخر بيسكم . وتكثر
في الأموال والأولاد . كمثل عيث أغضب الكفار بالله ، ثم يهيج
قتره مضفراً ، ثم يكون خطماً . وفي لآخرة عذاب شديد ، ومعقرة من
الله ورضون وما الحياة الدن إلا متاع العور . » ثم يذكر الحجة
وعرضها فيصح المجال للمواردية الشعورية بين ذلك المتاع الضيق
لقصير ، وهذا العيم الرحب الواسع .

سورة محمد (١)

﴿مَثَلُ الْحِجَةِ لِي وَعِدِ الْمُتَّقُونَ ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسٍ ،

(١) السورة (٩٥) مدنية إلا آية نزلت في الطريق في أثناء الهجرة

وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ م يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمَرٍ لَذَّةٍ لَشَارِبِينَ ،
وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَمَغْفِرَةٌ
مِنْ رَبِّهِمْ . كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ ﴿

° ° °

ذلك عرض للون من ألوان النعيم : نهار من ماء ، وأنهار من
لبن ، وأنهار من حمرة ، وأنهار من عسل . وكل شيء هنا ملاحظ
وكل شيء هنا لا ينضب له معين ، فهي نهار تجري بأطياب الحياة
التي يتشابهها الإنسان . ولا يعد منها إلا القدر ليسير ، وهذه الأنهار
من نوع أحواد . ومن ضعم ألد ومع هذا كله فكهة من كل الثمرات ،
ومع الطعام والشراب « مغفرة من ربهم »

هذا كله في ناحية ولحوود في الدار . والماء الحميم يقطع لأمعاء
ويشري الطول في الدحية الأخرى وهذا مثل ذلك كلاهما نهاية
الطرف في النعيم والعداب !

وشهد هنا لوناً من التناسق في تصميم اللوحة : اشهد كنه مشهد
أشربة أشربة في الحلة وشراب في الدار . الماء واللبن والحمرة
والعسل ، ومأمها الحميم الذي يقطع الأمعاء . وبكته بعد شرب
انتحط الحوادث . ويتوحد الأساس في رسم المشاهد واللوحات

سورة الرعد^(١)

١ ﴿ وَإِنْ تَفْجَتْ فَعِجَّتْ قَوْلُهُمْ : أَتَدَا كُنَّا تُرْبًا أَثْنَا لَفِي

(١) السورة (٩٦) مدية

خلق حديد ؟ أولئك الذين كفروا برؤسهم ، وأولئك الأعداء في
أعدائهم ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿

٢ ﴿ حاتٌ عَدُوٌّ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَدُرِّيَّاتِهِمْ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
بِمَا صَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿

٣ ﴿ مَثَلُ الْحِمَةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَحْرِي مِنْ نَحْتِهَا لَأَنْهَارٍ ،
أَكْنُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ، تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ
الدَّارُ ﴿

* * *

١ طرقة مشهد الأول أنه يعرض صورة لقوم من الكفار ،
يقولون «أنا كنا تراباً أنما نبني خلق حديد ؟» وبنيهم هم يقولون ذلك
يصورهم ساو «الأعداء في أعدائهم» وهذه الأعداء سيلقونها في
الآخرة ولكن الصرافة هي في التعجب بذلك اليوم ، ومرحله بالوقف
الحاضر ، حتى لكان لأعداء الآل في أعدائهم في اللحظة التي يقولون
هو قولتهم وهو تحييل سريع . وهو كذلك طريف عجيب

٢ . وقد سبق أن شاهدنا الملائكة يتلقون المؤمنين بالتحية ، أو
يشيرونهم بالحمة . أو يتفهمهم طيبين فالآن شهدهم يدخلون من كل
باب على المؤمنين . ومعهم روحانهم ودرجاتهم . يدخلون عليهم من كل
باب بالتحية والتكريم . «سلام عليكم بما صرتم فنعمة عقبي اندر»
والتعبير «يدخلون عليهم من كل باب» يهيئ للطر مشهداً للدخول
الكثير من جهات متعددة ، ويقع في محسنة كثرة الترحيب والتأهيل .
ودوام التسميم والتكريم

٣ - ولمشهد الذئب مشهد الأهمار الحارية والأكل الدائم واصل
لدي لا يحسر . وهو مشهد المتاع والحمال والاسرواح . بك عصي
لذين اتقوا ، تقابلها عقبي الكافرين : البار !

سورة الرحمن (١)

﴿وإذا اشقَّتِ السماءُ وكانتَ ورْدَةً كأنَّها نيرانٌ﴾ (٢)
ربُّكما تكذِّبان ؟ فيومئذٍ لا يُسألُ عن دُنيهٍ إسرٌ ولا حانٌ . فأيُّ
آلاءِ ربِّكما تكذِّبان ؟ يُعرِّفُ المحرَّمونَ نسيماهم فيؤخِّدُ بالخواصي
والأقدامِ . فأيُّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان ؟ هذه جهنمُ التي يكذبُ بها
المحرَّمونَ يطوفونَ فيها وبينَ حمِيمٍ آلٍ . فأيُّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان ؟ ﴿
ولمَّ خافَ مقامَ رَبِّه حَتَّانٌ . فأيُّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان ؟
دَوَانًا أَمَانٌ . فأيُّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان ؟ فيهما عِبانٌ تحريانُ .
فأيُّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان ، فيهما من كُلِّ فاكهةٍ زوجانُ . فأيُّ
آلاءِ ربِّكما تكذِّبان ؟ متكئينَ على فُرُشٍ بطَّشها من استبرقٍ وحنَّي
الجَنِّينَ دَانٍ . فأيُّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان ؟ فيهنَّ قاصراتُ الطَّرفِ
لم يَطْمِئِنَّهُنَّ إسرٌ قَلْبُهُنَّ ولا حانٌ . فأيُّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان ؟ كأنَّهم
الياقوتُ والمرجانُ . فأيُّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان ؟ هل جِراءُ الإحسانِ
إلاَّ الإحسانُ ؟ فأيُّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان ؟ ومن دونهم جَنَّتَانِ

(١) السورة (٩٧) مدية

(٢) مع

هَيَّيْ آلاءَ رَبِّكُمُ التَّكْذِبَ ؟ مُذْهَمَّتَانِ هَيَّيْ آلاءَ رَبِّكُمُ التَّكْذِبَ ؟
 هَيَّيْمَا عِيَانُ نَصَاحَتَانِ هَيَّيْ آلاءَ رَبِّكُمُ التَّكْذِبَ ؟ هَيَّيْمَا وَكْهَةٌ
 وَحَلُّ دَرَمَانٍ . هَيَّيْ آلاءَ رَبِّكُمُ التَّكْذِبَ ؟ هَيَّيْ خَبَرَاتُ حَسَانٍ
 هَيَّيْ آلاءَ رَبِّكُمُ التَّكْذِبَ ؟ حَوْرٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْحَيِّمِ هَيَّيْ آلاءَ
 رَبِّكُمُ التَّكْذِبَ ! لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِسْرَ قُلُوبُهُنَّ وَلَا جَارُ هَيَّيْ آلاءَ رَبِّكُمُ
 التَّكْذِبَ ؟ مَتَّكِينَ عَلَى رَقَرَفٍ نَخُصِرُ وَعَقْرِي حَسَانٍ هَيَّيْ آلاءَ
 رَبِّكُمُ التَّكْذِبَ ؟ ﴿١٠﴾

﴿ تَذَكُّرُ اسْمِ رَبِّكَ فِي الْحَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾

« * * »

يسير لسياق في هذه السورة على سبق خاص كالذي مر في سورة
 المرسلات وسورة القمر . يعرض نعم الخلق على مخلقه ويعددتها ، ثم
 يسأل بعد كل منها ، « هَيَّيْ آلاءَ رَبِّكُمُ التَّكْذِبَ » والخطاب موجه فيها
 إلى الإِسِّ والجن ؛ ثم يستطرد من نعم الخلق على خلقه في الدنيا إلى
 آلائه عليهم في الآخرة ؛ ويعد الخزي على بخير وأشر بالنعم والعذاب
 من بين هذه النعم ، ويزيها كذلك . فالعدالة في الخزي نعمة إلهية
 كبرى ، يعجز عنها الإنسان ولا يحققها إلا إله

وسأشهد القيمة هذا ناشقاق السماء . ولمصره الأولى شهدها
 حمراء وردة سائبة كالهدى ؛ وبرى كذلك مشهداً عربياً عليها بعض
 شيء في مشهد القيامة . فسبما لوحوه تدل عليها . والمحرمون
 يعرفون سببهم - وبلا سلام ولا كلام . يؤخذ بنو صبيهم وأقدامهم
 فيقدهون . حيث « لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْ هُوَ لَا حَنْ » وما الحاجة إلى

سؤال ، والوحده ناطقة والفريقان معروفان ؟ ! .

وبينا لأحد بالوصي والأقدام يدهل العقول ويرحف الأفتدة ،
توجه أبطارنا إلى حقيقة الموقف . « هذه جهنم التي يكذب بها المحرمون »
هذه هي وه هم أولاء « يصوفون بينها وبين حميم أن « متده في الحرارة ،
وهم يتراوحون بين جهنم وبين هذا الماء الآي . فيا له ويا لها من
عذب !

« ولمن خاف مقدم ربه حَتَّان » وللمرة الأولى كذلك تذكر
الختان وهما صمن اخنة الكبيرة المعروفة ولكن اختصاصهما قد
يكون لوعهما أو مرتبتهما وكما عرفت في سورة الواقعة أن هناك
مراتب في الجنة فهناك السابقون المقربون وهناك أصحاب البمين .
ولكن منهما نعم . فهنا كذلك يسمح أن هاتين الختتين هما لفريق دي
مرتبة عالية ، ثم يرى ختتين أخريين فيهما من هاتين مشابه ، ولكنهما
أقل درجة ، ويسمح أنهما لفريق الذي يلي هذا الفريق

فلشاهد الختتين الأوليين فهما « دوتا نهران .. فيهما عيس
تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان » وأهل الختتين ما حالهما ؟
أنظر تجددهم « متكئين على فرش بضئها من إسترق » وتلك رفاهة
ظاهرة في انقراش « وحنى الختتين دان » لا تتعب في القطار ، وذلك
أيضاً ترف مدحوظ ، ولكنه لا يستقصي ما فيهما من متاع « فيمن
قاصرات الطرف م يطمثهن إيس قنهم ولا حان » عصفدت البصر
والشمس ، لا يمددن بأبصارهن ، ولم يمسسهن إيس ولا حن . وليس
هد وحده . فهن بصيرات لامعات ثميت « كأنهن الياقوت
وبرحان » . وذلك كله جزاء حق لمن خاف مقدم ربه ، وتوقع
الآخرة ، وحشي الله فيها . « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان »

« ومن دونهما حستان » أخر بان لديث لهر بق الآخر . ووصافهما
 كذلك أدنى من أوصاف هتين ، فهما : « مُدْهَامَتَانِ » أي مخضرتان
 حصرة تميل إلى السواد لما فيهما من أعشب « فيهما عيون بصحاتان »
 بصحات سماء وتسحاب وديث دور الخريين « فيهما » كفه وحن
 ورمين « وهالك » من كل « كهة روحان » « فيهن حيرت حيسان »
 ومن هن هؤلاء الحيرات لحسان ؟ هن « حور مقصورت في الخيام »
 ومن كلمة الخيام نفهم أنهن شبه بالندويات ، وأنه نعم ندوي
 دور النعم الحضري الذي مر في نيلك ، لختين لأخرين ! « لم يطمئن
 إيس قبهم ولا حان » فهن يشتركن في الصور والعرف مع أولئك ،
 ولكن لم يذكر هنا أنهن « كأسن ساهوت والمرحان » وأهل هتين
 لختين ؟ نظر نخدمهم : « متكئين على رفرف حضر » أي سطة
 « وعقري حسان » وهي حملة كسها من صبع عنقر ، ولكن المتكآت
 كانت هالك سطة بالإستراق ! وهالك « حتى لختين دان » هما
 درحتان من اسعيم ، تمثل الدرجة الأولى بالترف والرفاهية في الحصر ،
 وتمثل الثانية بالترف والرفاهية في نور ، ترى هذه الصور والأشكال
 مجرد مثل لسعيم تقره للحسن . وتصوره للحسان ؟ لا أحرم شيء .
 فليس لدي برهان .

سورة الإنسان (١)

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا . إِنَّا أَعَدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
 سُلَاسِلَ وَأَعْلَالًا وَسَعِيرًا . إِنَّ الْأَنْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا

(١) السورة (٩٨) مدسة

كفوراً عيماً يشربُ بها عبأُ الله يُفحرونها تفحيراً يوفون بالذر
وبخافون يوماً كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه
مستكياً ويتيمماً وأسيراً إيماناً يطعمكم لوجه الله لا يريد منكم حراً
ولا شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً غنياً قططيراً فوقاهم الله شر
ذلك اليوم ، ولقاهم نضرة وسروراً ، وحراهم بما صبروا حنة
وحريراً متكين فيها على الأرائك ، لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً .
ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تدنياً . ويطاف عليهم نآية
من فصة ، وأكواب كانت قوارير . قوارير من فصة قدروها تقديراً .
ويستقون فيها كنساً كان مزاحها رنجيلاً عيماً فيها تُسعى سنسلاً .
ويطوف عليهم ولدان محللون ، إذ رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً مشوراً . وإذا
رأيت - ثم - رأيت عيماً ومكاً كبيراً ، عاليهم ثياب سسس خضر
واسترق ، وحلوا أسود من فصة ، وسعاهم رنهم شراباً طهوراً .
إن هذا كان لكم حراً وكان سعيكم مشكوراً ﴿

﴿ إن هؤلاء يحور العجلة ، ويدرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾

« » »

تبدأ هذه المشهد بتقدمة عن الإنسان ، الذي خلقه الله فحبه
« سعيماً بصيراً » وهذه السنين وترك له حرية الاختيار « إما شاكراً وإما
كفوراً » ثم تنتهي بما ينتهي إليه الطريق طريق لشكر وصبر
الكفرون . وكأنما نحن شهداء الآن ، على طريقة القرآن !
فإن الكافرون فقد هياهم « سلاسل وأغلالاً وسعيراً » وذلك

بحمال لوسائل العذب . لا يريد عليه هذا ، بل يعتمد إلى صور العجم
فيقصصها تفصيلاً وقد وردت معظم مشاهد العجم هذه من قبل .
وكن التنويع في عرصها ، والتفصيل في حداثتها . وبيان أسماؤها .
يحملها من وجهة اعرض الفني جديدة .

فالأبرار يشربون من كأس كانت توصف من قبل بأنها « لا
لغو فيها ولا تأثيم » أو أسهم لا يصدعون بها ولا يبرقون ، ولكن لم يكن
علم ماهيتها ونوعها . ومرة واحدة عرفنا أنها « من تسميم » . فالآن
نعرف لون آخر من الشراب ، فهذه الكأس « كان مراحها كاهوراً »
مرة « وكن مراحها رحيلاً » مرة . فالكأس إذن متعددة الموارد ، وإن
اشتركت في الصفات العامة من حيث أثرها في شاربها

وفي أثناء السياق يأتي ذكر عباد الله الذين يشربون من هذه
الكأس فيستطرد السياق في تعداد أوصافهم ، فهم قوم يطعمون الطعام -
على حبه مسكيناً ويقيمون أسيراً ، وهم قوم يفعلون الخير لوجه الله
لا يريسون من الناس حياء ولا شكوراً ، وهم قوم يخافون الله ويخشون
يوماً عبوساً قمطريراً . هو ذلك اليوم الذين يحس فيه ، وقد وقاهم الله
شر ذلك اليوم « ولقاهم بصره وسروراً » وحنة وحريراً . فشهدهم الآن
في حستهم الهدئة المريحة لمعهودة « مكئين فيها على الأرائك » ولكن
لشهد حالة لم عرض من قبل ، أو عرضت بغير هذه الصيغة « لا يرون
فيها شمساً ولا دمهيراً » وقد عرفنا من قبل أن هالك طلاً ضيقاً ،
وعرفنا مرة أن « أكنها دائم وطنها » فشهد الآن هذا المشهد الجديد
« لا يرون فيها شمساً ولا دمهيراً » ويكمل المشهد « ودانية عليهم ظلالها »
وذلكت قصوفها تذليلاً » .

ثم تشهد لطواف عليهم بالأكواب ولكنا نشهد الآن أنها قوارير

من قصة . فهي قصة شقة يد لا تحب ما حلها وتنتهي
 لإبداع في الصعة ونهية لترى في النعم ثم لشهد العمان إهم
 «محسنون» لا يفعل فيهم الزمن ، ولا تؤثر فيهم السن ، وإهم لهم
 نصارة وسجة «إذا رأيتم حسبتهم لؤلؤاً مثوراً» ثم بعد السياق
 بأصارتنا إلى المشهد كله ، وإلى ما وراء هذه الحريات ، فإذا هلك
 حينها اتجه الطر ، نعم عظيم وملك كبير ، ومعمون تعلوهم ثياب من
 اسدس والإسترق وحلى من القصة ، وهم يشربون شراباً طهوراً ،
 يريد من قيمته أن ربه هو الذي سقاهاهم إياه

وعند هذه الصورة شاملة سمع القرار الشامل «إن هذا كان
 لكم حراً» وكان سعيكم مشكوراً» .

٢ - أما النص الثاني فيهم منه وصف ليوم بأنه ثقل وهو وصف
 محسن ليوم ، كوصفه العذب بأنه عليل ، يصبه حبه للعاحلة ،
 فكأنهم يستخفون هذه ويدرون وراءهم يوماً ثقيلاً هو أولى بالاهتمام ،
 لأنه ثقل يعوق خطاهم ويقعد بهم ، ويسب لهم العاء

سورة التور (١)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ
 وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ، وَيَعْلَمُونَ
 أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ .

« . . . »

(١) السورة (١٠٢) مدية سقنا سور «الطلاق والبينة وحشر» وفيها حصفاً ذكر لجنة
 والنار ولكنه لا يلع أن يكون مشهداً من مشهد القيامة

رأيا من قبل ذلك المشهد العجيب . الذي يقف فيه المحرمون .
 فشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وحلودهم بما كانوا يفعلون ، وحصرنا
 ذلك الحور الطريف بينهم وبين حلودهم . وسمع الرد منهم لهذه
 الحلود !

والآن نشهد طائفة أخرى من حورح تشهد : الألسنة والأيدي
 ولأرجل . وبالألسنة هنا شأن لأنها هي التي لاكوها في الديب ،
 فقدوها بها المحصنات العافلات المؤمنات زوراً ومهاجاً . فهي اليوم
 تشهد عليهم حملاً وصدقاً ويومئذ يوعيههم الله دينهم الحق ، ويعصمهم
 حراءهم المستحق . ويعسور كذلك أن الله هو الحق . وتكرر
 هذه لفظة الحق وتؤكد تأكيداً . لأنها أمام مشهد افتراء وكذب في
 الدنيا ، يقال له مشهد صدق وحق في الآخرة . حتى لتسقط بهذا
 الحق تلك لأسنة التي تحركت بالكذب ، وتؤديها الأيدي والأرجل ،
 وهي أعاصير من هؤلاء الأفاكين ، تدمعهم بالحق المبين

سورة الحج (١)

١ ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مِنْ بَنِي إِدْرِيسَ نَكْتَلُ مِنْ دُونِ الْكَافِرِينَ أَمْ نَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ
 يَوْمَ تَرَوْهَا مُتَبَذَةً كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ
 حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ
 شَدِيدٌ ﴾

٢ ﴿ هَذَا حَصْبَانِ احْتَصِمُوا فِي رِبِّهِمْ هَالِكِينَ كَفَرُوا
 قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ .

(١) السورة (١٠٣) مدنية الآية ١٠٣ من كتاب تبارك وتعالى

يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بَصُوهِمْ وَاجْتِنُودَ ، وَلَهُمْ مَقَامٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلُّهُمْ
أَرَدُوا أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ عَمٍّ أَعِيدُوا فِيهَا ، وَدُقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ ﴿

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ حَتَّى تَخْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، تُخَلَّوْنَ مِنْهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَتُؤْتَوْنَ ، وَلِيْسَ فِيهَا
فِيهَا حَرِيرٌ ، وَهَبُوتُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ، وَهَبُوتُوا إِلَى صِرَاطِ
الْحَمِيدِ ﴿

• • •

١ . المشهد الأول مشهد حامل بكل مرصعة ذهلة عما أرصعت .
تضر ولا ترى ، وتتحرك ولا تعي ، وكل حامل تسقط حملها .
للهمول المروع يتسببها ، ولباس سكارى وما هم سكارى ، يتسبب
السكر في بطونهم الداهلة ، وفي حطوانهم المترجعة مشهد مردحم
بذلك الحشد المتناوح ، تكاد العين تنصره ببها الحيات يتملاؤه ،
وهو الشاحص يدهله ، فلا يكاد يبلغ أقصاه ، وهو هول حي
لا يقاس بالحجم والضخامة ، ولكن بوقعه في النفوس الأدمية .
في المرصعات الداهلات عما أرصعن ، والحوامل المنقيات حمهن ،
والسكارى وما هم سكارى «ولكن عذاب الله شديد» . ويبدأ
المشهد بسهيل المحمل إن رلوة الساعة شيء عظيم ، وينتهي
بدهول لفصل ، فإذا هو مصدق ذلك الإحمال

٢ . والمشهد الثاني مشهد عفيف صاحب . حامل بالحركة
المتكررة مطول بالتحيين الذي يبعثه السق ، فلا يكاد ينهي الحيال
من تنعه في تحدده

هذه ثياب من النار تقطع وتمصل وهذا حميم يصب من فوق
الرؤوس ، يصهر به ما في البطون والجلود وهذه مقامع من حديد .
وهذا هو العذاب يشتد ويتجاوز الصاف ، فيب « الدين كفروا »
من الوهن والحميم ، والصرب الاليم ، يهيمون بالحروح من هذا
« العم » وها هم أولاء بُردون بعنف : « ذوقوا عذاب الحريق ! »
ويظل الحيايا يكرر هذه الصورة من أولى حلقاتها إلى آخرتها .
حتى يصل إلى حلقة الحروح ثم لرد العيف . لبدأ العرص من
حديد !

ولا يبارح انجبال هذه لصورة متحددة الغيبة إلا أن يستمت
إلى لحاب لآخر لدي يستطرد إليه السياق يعرضه فأصل القصة .
أن هناك حصصين اختصموا في رسم فأما الذين كفروا فقد كنا
نشهد مصيرهم المجمع منذ لحظة ، وأما الذين آمنوا فهم هالك
في الجذب تحري من تحت الأهار ، وملابسهم تم تقطع من نار
وبما فصلت من الحرير ، وهم فوقها حتى من اذهب وللؤنؤ .
وقد هداهم الله إلى الطيب من القول وإلى صراط الحميد وتلك
عاقبة الحصام في الله فهذا فرق وذلك فرق !

ثم رجع إلى مشهد عرصا به من قل في سورة « السجدة »
وقل إن الآيات التي عرست هذا لمشهد مديية ، ورحح أن
يكون ناريخها قريباً من تاريخ هذه الآيات من سورة الحج ، لما
لاحظناه من أن المشاهد لمشبهة كثيراً ما تأتي متقاربة . وذلك
المشهد هو :

« وأما الذين فسقوا فإواهم النار . كلما أرادوا أن يخرجوا
مها أعيدوا فيها ، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون »

وهو مشهد قريب الشبه من بعض لوحه «مشهد النبي عرساه» هـ . و لكلام فيه كالكلام في سابقه . فلا حاجة بنا إلى التكرار .

سورة المجادلة^(١)

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ جَمِيعًا ، فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِلَهُهُمْ هُمْ لَكَادُونَ﴾

• • •

شهد من قبل هـ . المشهد المصحح السادس مشهد المشركين الذين بعثوا فقالوا « والله رب ما كنا مشركين » وهم يحسبون أنهم لا يزالون في الدنيا . أو أن الكذب قد يجوز في الآخرة وقد سحرنا هـ كـ م سحر من أولئك المفضين ! فيها هم أولاء إخوان لهم مردوا على الكذب في الدنيا . وعلى بحلف بمؤمنين وهم كاذبون ! ثم يبعثهم الله جميعاً « فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء » ! فليسحر هؤلاء كما سحر أولئك فهي عملة تلد للساحرين !

سورة التحريم^(٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِبْكُم بَارًا ، وَفُودَهَا النَّاسُ وَابْحَارَةً ، عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ عِلَاطٌ شِدَادٌ ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ . إِنَّمَا

(١) السورة (١٠٥) مدنية سبقها سورة « المدفون » وليس بها مشاهد للقيامة

(٢) السورة (١٠٧) مدنية سبقها سورة « المحمرات » وليس فيها مشاهد للقيامة

تُجْرُونَ ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً ،
 عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ، ويدخلكم جنات تجري
 من تحتها الأنهار ، يوم لا يحزى الله النبي والذين آمنوا معه ، نورهم
 يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ، واعفر
 لنا ، إنك على كل شيء قدير ﴿

» . . .

لقد شهد من قبل جهنم ، وهي تتعدى بالناس كما تتعدى
 بالحجارة . وهذه وثقت عندها سوء ، في المهابة والحقرة فالآن
 شهد هذا المشهد أيضاً . وكنا لا نقف عنده ، لأن هلك ما يلفتنا
 بشدة وما يرهبنا بقوة : إياهم حراس جهنم ، وهم « غلاط شداد »
 وإياهم في الوقت ذاته المصدقون للأوامر سرعاً « لا يعصون الله ما أمرهم
 ويفعلون ما يؤمرون » ، وبمعنى كنا في أول السياق شهد هذا المشهد من
 بعد إذ نحن ما نزال في الدنيا ، حيث يحذر الله المؤمنين من هذه
 الدس التي وقودها الدس والحجارة إذا نحن في لمح البصر قد صرنا
 في الأخرى ؛ وإذا نحن سمع لخطاب يوجه للكافرين . « يا أيها
 الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تحزنون ما كنتم تعملون »

وبالسرعة عينها رتد إلى الدنيا - على هذا المشهد - ليوجه الخطاب
 إلى المؤمنين أن يتوبوا توبة نصوحاً ، عسى أن يكفر الله عنهم سيئاتهم ،
 ويدخلهم الجنة « يوم لا يحزى الله النبي والذين آمنوا معه »

ثم إذا ما في الآخرة مرة أخرى . ليرى النبي ولذين آمنوا معه
 « نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم » وقد رأينا هذا النور من قبل
 فالآن يرى المؤمنون يبتهون إلى ربهم كما دأبوا دائماً يقولون

ربما أنعم لنا نورنا ، واعصر ما إليك على كل شيء قدير « ولقد عصفهم .
وكسهم من خشية ربهم يدعونه . لأن مرد كل نعيم إلى عصفه

سورة التغابن^(١)

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْحَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يَوْمَ
بِاللهُ وَيَعْمَلُ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، ويدخله جنت تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الدَّرْ خَالِدِينَ فِيهَا . وشن مصير ﴾

* * *

الحسد في هذا المشهد هو « التغاس » ولتغاس من المتداعين أن
يعين بعضهم بعضاً لما التغاس في ذلك اليوم الذي « لا بيع فيه ولا
حلال » ؟ تلك تسمية لنوجيه لسطر هسم الآخرة : الحنة والبار ،
هي الحقيقة أن يتغاس الناس عليها ، وأن يحسدوا في الفور بها ،
وذلك بالعم الصالح في الدنيا ذلك هو التغاس لحقيقي الذي
يستحق الساق والجهاد ، وسيقع في الآخرة : حيث يفوز مؤمنون
بأطيب سعة وحيث يحصل الكافرون فيها على لدون !

سورة المائدة^(٢)

١ - ﴿ إِنْ الدِّينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ هُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ، وَمِثْلَهُ

(١) السورة (١٠٨) مدنية

(٢) السورة (١١٢) مدنية إلا آية رب يعرفات في حجه يوداع سميها سورة «الصف» وفيها
إشارات بليانه وسوره «الجمعة» وهي حلولها وسورة «الفتح» وفيها إشارات لامشهد

معه ، ليقتدوا به من عذاب يوم القيامة ما نُفِّلَ منهم ، ولهم عذاب أليم ، يريدون أن يحرقوا من النار ، وما هم بخارجين منها ، ولهم عذاب مقيم ﴿ ١ 〉 .

٢ ﴿ يوم يجمعُ الله الرسل ، فيقول : ماذا أُجِيتُمْ ! قلوا لا عِشْمَ لنا . إياك أنت علامُ العيوب ﴾ .

٣ ﴿ وإذ قال الله : يا عيسى ابن مريم آئتِ قِلَاسَ لِبَاسٍ اتَّخِذِي وَأُتِّيَ إِلَهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قال : سحَابُكَ ! ما يكونُ لي أن أقولَ ما ليسَ لي بحَقٍّ ، إن كنتُ قَتَلْتُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ ما في نَفْسِي ، ولا أَعْلَمُ ما في نَفْسِكَ . إياكَ أنتَ علامُ العُيُوبِ . ما قَتَلْتُ لَهُمْ إِلَّا ما أَمَرْتَنِي بِهِ : أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكَنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ ، هَمًّا تَوَفَّيْتَنِي كَتَبْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . إِنَّ بَعَثْتَهُمْ فَإِلَهُمْ عَذَابُكَ ، وَإِنْ نَعَصَرَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

﴿ قال الله : هذا يومُ يَمْعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ، هم حُجَّاتٌ تُخْرَجُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، حَانِدِينَ فِيهَا أُنْدَاءٌ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ . ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

* * *

يتكرر المشهد الأول في مشهد القيامة مشهد محاولة الافتداء بملء الأرض ذهباً ، أو لاهداء في الأرض جميعاً ومثله معه ،

وعدم قول لهدية أباً كان نوعها وقمتها . وكذلك تتكرر محاولة الحروح من النار والفشل في هذه محاولة وهي من محاولة هادئة لا عنف فيها . وقد سبقها ذلك مشهد العيب الذي عرصناه في سورة الحج وشبهه في سورة السجدة . وكلها من واد واحد مع اختلاف بعض حريجات

ورقص لهدية هـ وهي مـ في الأرض جميعاً ومثله معه . وهي كـ من طاقة الجميع رقصها في هذه الصورة الصالحة كناية عن استحالة الهداء أي شيء كان ولكن لأسلوب التصويري في القرآن يسوقها هذه المساق التحليلي ، فتشعل مساحة من مكان كما تشمل فترة من الزمان الذي ينفصلي بين العرض والرقص مساحة ما في الأرض جميعاً ومثله معه براه وتخييه . ومسافة الزمن وحس تملئ هذا وتمثله . فتشعل الحس وليس . وتؤدي في لهابة ذلك المعنى الذهبي استحالة الهداء ولكن في صورة حية من لأداء .

٢- أم لمشهد الذي فيصور لنا اجتماع الرسل جميعاً بين يدي ربهم . وهو سألهم ماذا أحكمكم الناس ؟ وهو أعلم بما أحكمهم الناس ؟ ولكنه تسحيل أو استيهاء للإجراءت في الحكمة ، سطرة !

ومع أن المنتصر أن يتحدثوا عما أحكمهم الناس . وأن يقصوا أساء يمدهم وكفرهم ، ويعرضوا ما لاقوا من الجهد في الدعوة للشاقة . فإن هول الموقف - فيما يبدو - أساهم كل شيء . وأداهلهم عن الذكرى « قالوا لا علم لنا ، إنك أنت علام الغيوب » ! ومن خلال هذه الإحانة نستطيع أن نتصور مدى الدهور وأن سطر من ورائه إلى أهول أرهيب أسى يدهل الرسل وليسين

وهم وانقبوا آمون . بها بصعة ألقا تلقى طلالاً رهبة ، وما بين
السطور فيها أكثر بكثير مما تعنيه السطور .

٣ - أما المشهد الثالث بين الله وعيسى حصة . وهو يدايه
في هذا الموقف لرهب . « يا عيسى ابن مريم ! لأن هذه السعة هنا
قيمة في موضوع هناك جماعة آلهوا عيسى الشر ابن مريم .
في حين أنه دعاهم لعبادة الله ربه ورهبهم (والحق أن الدعوة لله واضحة
في لأناجيل انبياء أديب ، وإد حاعت الشبه من قوله عن الله
« أبي الذي في السموات » فقد قال كذلك لحواريين : « أبيكم
الذي في السموات » فهو تعبير محاري طاهر)

بها هو د يسأل أمه ربه . إن كان فيه دعاهم لعبادة نفسه
ومنه ؟ فيكون الجواب هو هذا الشرع الطويل من تلك التهمة ، وهو
تفويض الأمر لله يتصرف في شأنهم كما يشاء . وعندئذ يصدر
لحكم الذي لا يرد ، ويشار فيه إلى الصديق بمناسبة كذب هذه
الدعوى . ويعبر عن المؤمنين بأنهم رضي الله عنهم ورضوا عنه
فالرعى متبادل شمل ، وهم من رهبهم قريبون في هذا اليوم العظيم ١

سورة التوبة (١)

﴿ وَالَّذِينَ يَكِرُونُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
فَشَرُّهُمْ عَذَابِ أَلِيمٍ يَوْمَ يُخْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَتُكْوَى

(١) السورة (١١٢) مدية إلا آتبي مكتبي

بها جباههم وجنوتهم وظهورهم . هذا ما كنتم لأنفسكم ، فذوقوا
ما كنتم تكثرزون ﴿ ٢٦٥ 〉 .

* * *

يعرض هذا المشهد المفرع - وهو آخر مشهد بتطويل وأناة
يبلغ من انفس أعماقها وهي تشهد التفصيل والحريثات
فهو أولاً أحمل العذاب « فشرهم بعداب أيم » وقصع اسياق
ليستريح اشاهد ، ويأخذ نفسه . ويستعد للتفصيل ثم أحد في
التفصيل .

وهو ثانياً . حينما بدأ التفصيل بعد الإحمال بدأ عمل من
أول مرحلة ، وسار فيها على مهل فالذهب وانقصة قد صار
جمعاً لا مشى بالإبداع إلى قطعهم الكثيره « يوم يحمى عليهم »
لا عليهم وفي هذا تطويل بالتكثير ثم ها هي ذي يحمى
عليهم . فستطر حتى تصير ! لقد صهرت ، فلندأ العملية الرهبة
هذه هي الحياه تكوى لقد فرع من الكي في الحياه . ولتحرك
الأحسام بالحجوب هذه هي الحبوب تكوى لقد فرع من الكي
في الحبوب ، ولتحرك لأحسام للظهور هذه هي الظهور تكوى .
مهل . فلم ينته العرض بعد . هالك التقريع والتأنيب ، عند الانصراف
من الصف ، لكي يتناول الكي جماعة أخرى على الإثر « هذا ما
كنتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكثرزون » !
وقد جعل الحس بصور شتى من لحركات وتمي عدد من
الأوضاع واسمات

التصوير الفني في القرآن

بدأ في أثناء طبع هذا الكتاب ، ن هناك إيضاحاً واحداً
يسعي أن يقال ، بعدما بدأت كلمة « الفن » يساء استخدامهما ،
أو يساء فهمهما ، أو يساء تأويلها في مجال القرآن .

وإني لأعرف أنني حين أكتب عنوان « التصوير الفني في
القرآن » لكتابي الأول مد حوالي ثلاثة أعوام . لم يكن هـ في عصبي
إلا مدلول واحد هو جمال العرض ، وسبق الأداء . وبرعة
الإخراج ولم يحل في حاضري قط أن « هي » ما نقبس إلى القرآن
معناه المنطق ، أو المخرج . أو نقائض على مجرد الجبال ! ذلك أن
درسي نظرية القرآن لم يكن فيها ما يسحقني إن هـ لفهم أو هـ
تأويل

وأنا أنهر بهذه الحقيقة الأخيرة ، وأنهر معها أنني لم أضع
في هذا العقيدة ديبية تعلل فكري عن الفهم ؛ بل دفعني إليها شيء
م أحد مرور لسواه ، وعلى لعكس وحدث أن حترم العقل الشرعي
دائه هو أنني يحتم علي لا أتحاور به طاقته . وألا أهدف به في
مجاهيل ، ليس عليها لدي من دليل !

وإني لأعجب أن تنصرف كلمة « هي » حتماً إلى حبلى المنطق ،
ولا أعتقد أنني لا يسده أواقع ، والاحترع الذي يحرج على المعقون
لماداً ٩

ألا يمكن أن تعرض حقائق لواقعة عرصاً فباً وعرصاً عميقاً .

ثم تنهى لها في الحالتين صفها الأساسية من اصدق والواقعية ؟
 لأن « هومبروس » كان يصوغ إبدته وأوديسته من الأساطير ؟
 لأن كتاب لروية والأفصوصة والتمثيلية في أوروبا م يكونو
 يتوحدن الوقائع الحقيقية في قسم اطلاق ؟

إن هذا من وكه ليس نهر كنه ، وحقيقة تصحح ن تعرض
 عرضاً قياً كاملاً ، ومن من نعرض ن تصور هذا . متى خلصنا
 لحظة من « العقلية المترجمة » التي يعيش ه ، ومتى خلصنا تصورنا
 من التماذج العرسة السحتة ، ونطربا إلى الاصطلاحات نظرة موضوعية
 شاملة

~ ~ ~

وعني أوضح شيئاً مما عسته باصطلاح « التصوير الفني في
 لقرآن » في الفقرات التي تقتطعها في صدر هذا الكتاب من كتاب
 التصوير . والتي لا أرى بأساً في إعدادها ه بصح .

« لتصوير هو الأده المصصة في أسلوب لقرآن . فهو يعبر بالصورة
 المحسة المتحيزة عن المعنى الذهني واحالة النفسية ، وعن الحادث
 محسوس ، والمشهد المطور - وعن لمودح إنساني ، والطبيعة
 بشرية . ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها ، ويمسحها المحبة الشخصية .
 والحركة المحددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا
 احالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا لمودح إنساني شاخص
 حي ، وإذا الطبيعة البشرية محسنة مرئية ، فاما الحوادث والمشاهد .
 ولقصص واساطير ، فيردها شخصية حاضرة ، فيها الحياة ، وفيها
 الحركة ، وإذا أصاف إليها الحوار ، فقد استوت لها كل عناصر
 التحيل ، فما يكاد يد العرص حتى يحيل المستمعين نظرة ، وحتى

يقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول ، الذي وقعت فيه أو سيقع .
 حيث تتولى المذخر ، وتتحدد الحركات ، وبسبب المستمع أن هذا
 كلام يتلى ، ومثل يصرب ، وبتحليل أنه مطر يعرض ، وحدث
 يقع فهذه شحوص تروح على المسرح وتعدو ، وهذه سمات الأفعال
 شتى الوحدات سبعة من موقف ، التساوقة مع الحوادث ، وهذه
 كلمات تتحرك بها الألسنة ، فتم عن الأحاسيس المصممة
 إنها الحية ها ، وليست حكاية الحياة»

وعندما أردت أن أتحدث عن خلاصة بحثي للقصة في القرآن
 في الفصل الطويل الذي عقده ها ، واستغرق سعا وحسين صفحة
 من كتابي : جاءت هذه الفقرات :

« القصة في القرآن ليست عملاً في موضوعه ، وطريقة
 عرضه ، وإداره حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة ،
 التي ترمي إلى أداء عرض في طيف ، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن
 لكثيرة إلى أعراضه الدينية والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء ،
 والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتشتب : شأنها في ذلك
 شأن الصور التي يرسمها لقيامه ، ولتعليم والعباد ، وشأن الأدلة
 التي بسوقها على لعن وعلى قلرة الله ، وشأن الشرائع التي يفصلها ،
 والأمثال التي يصربها . إلى آخر ما جاء في القرآن من موضوعات

«وقد خصصت القصة لقرآنية في موضوعها ، وفي طريقة عرضها .
 وإدارة حوادثها يختص الأعراس الدينية . وظهرت آثار هذا الخضوع
 في سمات معينة ، منعرض لها بعد قليل ولكن هذا الخضوع الكامل
 لعرص الديني ، ووفاءها هذا العرض تدم الوفاء ، م يجمع برور
 الخصائص الفنية في عرضها . ولا سيما خصيصه القرآن الكبرى في

التعبير ، وهي التصوير .

« وقد لاحظنا من قبل أن التعبير القرآني يؤلف بين عرض لديني وعرض الهي . فيما يعرضه من الصور والمشاهد . من لاحظنا أنه يجعل الجمال الهي أداة مقصودة لتأثير توحيدني . ويحاطب حاسة وحدان الدينية . بلغة الجمال الفنية . والحق والدين صنوان في أعماق حس . وقررة لحس . وإدراك الجمال الهي دليل استعداد لتلقي لتأثير الديني . حين يرتفع من هذا المستوى الرفيع . وحين نصور النفس لتلقي رسالة الجمال »

م تكن هذه كلمات رجل نفعه حرية التفكير . وبني لأعتر بالكمة القصيرة الحاسمة التي وصف بها الأستاذ المحقق الكبير عبد العزيز مهدي باشا هذا الاتحاد فقال : « إنه ينم عن تحرر في العقل لم يتفق أن سمعنا بمثله من قبل »

ولكن تحرر العقل لا يستدعي حياً نهجاً وانتوقع والشطط . ولتجرد القرآن من كل قداسة دينية . ثم سطر إليه كمصدر تاريخي بحث فاداً محد؟ محد أنا لا تملك كتاب آخر . ولا أثراً تاريخياً آخر في تاريخ البشرية كلها . توافرت له أسس التحقيق العلمي السخنة . كما توافرت لهذا الكتاب .

وبسهي أنا لا نمت في إنب صخه أحداث التي تحدث بها القرآن أو علم صحتها إلا وسيلتين اثنتين ولكن وحدة منهما ليست قطيعة ، وليس له من قوة الثبوت ما للقرآن .

إحدى اوسيتين المتين في أيديب الأسابيد التاريخة الأخرى وإذا نحن جردنا القرآن من قداسته - كما قلت - فإنه ككتاب تاريخي . يكون أقوى إسداد من الوجهة عسمية لسخنة من كل مرجع

تاريخي آخر في الوجود . راوي هذا الكتاب هو « محمد بن عبد الله » وهو رجل يعترف حصومه قديم وحديثاً أنه رجل صادق . ولا يشد على هذا إلا شهادته أو كونه متعصبون ! وقد جمع هذا لكتاب بطريقة علمية لا يطعن فيها أحد . حتى السادة المستشرقون الذين يؤمن بهم عندما لا يحبون أن يؤمنوا بالأدبان !

ومثل هذا التحقيق العلمي لم يتهأ لكتاب آخر ، لا من الكتب المقدسة ، ولا من الكتب التاريخية ! ولا من الآثار التاريخية أيضاً . فالكتب المقدسة الأخرى . قد انفصلت فترات طويلة بين حياة أصحابها وعصر تدوينها ، ولم نرو إلا ساد التي رويها أنقران والكتب التاريخية والآثار التاريخية لا ترتفع فوق مستوى شهادات ويست هناك حادثة تاريخية واحدة في تاريخ البشرية تعد بفيسية يقباً عمياً خالصاً .

إذن لا يجوز محاكمة القرآن ككتاب تاريخي بحسب إلى أي كتاب تاريخي آخر . أو أي سد تاريخي . ليس له من قوة الثبوت ما لكتاب القرآن .

والوسيلة الأخرى التي بن أيديا هي العقل . ولست أتردد في لتصريح بأن احترام العقل بشري ذاته . يوجب عليه أن يصح للمجهول محله . وأن يحسب أنه حسنة لا عن طريق الإيمان الديني ، ولكن عن طريق التفكير لعني . وإن انعقل بشري ليسقط احترامه حين يدعي أنه يعلم كل شيء . وهو لا يعلم نفسه . ولا يدري كيف يدرك المدركات !

ولقد قلت شيئاً من هذا عن هذه القصيدة في كتاب التصوير ، توصحه هذه لفترات .

« وبعض الناس يكبرون من قيمة الذهب في هذه الأيام ، بعد ما
فتى الناس بأثر الذهب في المخرعات والمصوغات والكشوف .
وبعض لسطاء من أهل الدين تهرده هذه الفتنة ، فيؤمن بها . ويحاول
أن يدعم الدين بتطبيق نظرياته على قواعد المطلق الذهبي . أو التحريف
العلمي !

« إن هؤلاء في عتقدي يرفعون الذهب إلى آفاق فوق آفاقه .
فالذهب الإنساني خلق بأن يدع للمجهول حصته . وأن يحسب له
حسابه . لا يدعوا إلى هذا مجرد القداسة الدسة ، ولكن يدعوا إليه
تساع الآفاق النفسية . وتفتح منافذ المعرفة « فالمعقول » في عالم
الذهب . و« المحسوس » في تحارب العلم ، ليس هما كل « المعروف »
في عالم النفس وما الفكر الإنساني . لا لذهب وحده إلا كوة
وحدة من كوى أنفس لكثيرة . ومن يعلق إنسان على نفسه هذه
المنافذ . إلا وفي نفسه صيق ، وفي قوه احسار . لا يصلح بهما
للمحكم في هذه الشؤون الكبار

« فليدع الذهب يدير أمر لحياة اليومية الواقعة . أو يتناول من
المسائل ما هو نسب من هذه الحياة »

وليس في هذه المقررات إنكار للفكر الإنساني وحرية ، ولكن
فيها احتراماً لهذا الفكر ، بمعرفة قدره ومجاليه

وإذا كان رجال الدين في أوروبا لا اندس دته قد وقفوا في
صريق حرية بحث العلمي حتى في العالم المادي - فنشأت عدوة
خارفة بين رجال الفكر ورجال الدين . فلا يجوز أبداً أن يسقل الموضوع
برمته إلى الشرق . وإلى الإسلام . فيكون مظهر حرية الفكر الوحيد
عندنا . هو التهميم والتهميم . فلا سند إلا هذا السند الذي يتحاور

دائرته . فهذا نفسه هو التقيد لمعيب ، الذي يدل على أن حرية
الفكر هذه ري من أرباء « المودة » تقده تقيد العبد ؟

* * *

وبعد فست أكر أن شهادات اعترضت طريقي . وأنا أبحث
موضوع « القصة في القرآن » و « مشاهد القيمة في القرآن »
أهد كنه مسوق على أنه حاصل واقع ؟ أم إن نعصه مسوق على
أنه صور وأمثال ؟

ووقفت طويلاً أمام هذه الشهادات وبكفي م أحد بين يدي
حقيقة واحدة من حقائق التاريخ أو حقائق التفكير أطمش في
نفسيتها وقطيعتها ، فأحاكم القرآن إليها وما كان يجوز لدي أن أحاكم
القرآن إلى ظل أو ترجيح

لم أكر في هذه الواقعة رحل دين تصده لعقيدة البعثة عن البحث
الطليق بل كنت رحل فكر يحترم فكره عن التحديق والتلصيق .
فإذا وجد سواي هذه الحقيقة التي يحاكم إليها القرآن . وأنا على
ستعداد أن أستمع إليه . في هدوء واطمئنان أما قبل أن توحيد .
فإنه يكون من الحمة والطيش . إن لم يكن من احتقار « الفكر »
وتعريفه لسمانة أن يقضي الإنسان برأي ، يكذب به هذا الكتاب ،
ولو لم يكن له نصيب من عقيدة أو دين .

المر في القرآن . إبداع في العرص ، وحماس في التسيق . وهو
في الأداء ونبيء من هذا كنه لا يقتضي أنه يعتمد على الحيات والتلصيق
والاحتراع متى استفاد لتفكير وصحت الأهمام ؟

مراجع هذا الكتاب

كان مرجعي الأول في هذا الكتاب هو المصحف الشريف .
وقد اعتمدت على فهمي الحاصل لأسلوب القرآن الكريم وطريقته
في التعبير ، وإن كنت قرأت كثيراً من التفسير ، لأعرف ماذا يقال
ولكنني لا أستطيع أن أثبتها هنا ، لأنها لم تكن مراجع لي في الحقيقة .
واستعنت في ترتيب السور وبيان الآيات المكية والمدنية بتحقيقات
المصحف الأميري . وما ورد في بعض كتب التفسير ومخاصة .
البيضاوي . وأبي السعود . والزمخشري . والرازي . وترجيحي
الحاصل في النادر .
أما بقية مراجع الفصول الأولى من الكتاب فهي مذكورة في
الصب أو الحاشية في مواضعها .

المحتويات

صفحة

٥	الإهداء
٧	بيان
١٣	العالم الآخر في الضمير البشري
٤٢	العالم الآخر في القرآن
٥٨	مشاهد لقائمة

صفحة

٩٢	سورة الطارق
٩٤	سورة القمر
٩٧	سورة (ص)
٩٩	سورة الأعراف
١٠٧	سورة يس
١١٠	سورة المرقاة
١١٦	سورة طه
١١٨	سورة مريم
١٢١	سورة طه
١٢٤	سورة الواقعة
١٣٢	سورة الشعراء
١٣٤	سورة المل
١٣٨	سورة القصص
١٤٢	سورة الإسراء
١٤٤	سورة يونس

صفحة

٥٨	سورة القلم (ن)
٥٩	سورة المزمل
٦١	سورة المدثر
٦٥	سورة المسد
٦٧	سورة التكويد
٦٩	سورة الأعلى
٧٠	سورة الصحر
٧٢	سورة العاديات
٧٣	سورة عبس
٧٤	سورة الروح
٧٦	سورة القارعة
٧٧	سورة القيامة
٨٠	سورة الحمرة
٨٢	سورة المرسلات
٨٧	سورة (ق)

صفحة	صفحة
٢١٦ .. سورة الماعج	١٤٧ .. سورة هود
٢١٩ .. سورة البقرة	١٤٩ .. سورة الحجر
٢٢٢ .. سورة النازعات	١٥٠ .. سورة الأنعام
٢٢٦ .. سورة الامطار	١٥٣ .. سورة الصافات
٢٢٧ .. سورة الانشقاق	١٦٠ .. سورة لقمان
٢٢٩ .. سورة الروم	١٦١ .. سورة ساء
٢٣٠ .. سورة المعنوت	١٦٤ .. سورة غافر
٢٣١ .. سورة المطففين	١٦٧ .. سورة الزمر
٢٣٣ .. سورة لقمة	١٧١ .. سورة فصلت
٢٣٥ .. سورة آل عمران	١٧٥ .. سورة الشورى
٢٣٨ .. سورة الأحزاب	١٧٧ .. سورة الزحرف
٢٣٩ .. سورة النساء	١٨٠ .. سورة الدخان
٢٤٢ .. سورة الزلزلة	١٨١ .. سورة الخاتمة
٢٤٣ .. سورة الحديد	١٨٣ .. سورة الأحقاف
٢٤٦ .. سورة محمد	١٨٤ .. سورة الدارجات
٢٤٧ .. سورة الرعد	١٨٥ .. سورة لعاشة
٢٤٩ .. سورة الرحمن	١٨٧ .. سورة الكهف
٢٥٢ .. سورة الإنسان	١٨٩ .. سورة السجل
٢٥٥ .. سورة النور	١٩٢ .. سورة برهم
٢٥٦ .. سورة الحج	١٩٧ .. سورة الأنبياء
٢٥٩ .. سورة محادلة	١٩٩ .. سورة مؤمنون
٢٥٩ .. سورة لتحريم	٢٠٢ .. سورة السحرة
٢٦١ .. سورة لتعابن	٢٠٣ .. سورة الطور
٢٦١ .. سورة المائدة	٢٠٧ .. سورة الملك
٢٦٤ .. سورة لقمة	٢٠٩ .. سورة الحاقة
٢٦٦ ..	التصوير الفني في القرآن
٢٧٣ ..	مراجع هذا الكتاب ..

بصرى دار الشريعة

في شرعية قانونية كاملة

مكتبة الاستاذ سيد قطب

- في ظلال القرآن
- مشهد القيامة في القرآن
- لتصوير الهي في القرآن
- الإسلام ومشكلات الحضارة
- حصائص التصور الإسلامي ومقوماته
- الفقد الأدبي أصوله وماهجه
- مهمة الشاعر في الحداثة
- هذا الدين
- السلام العالمي والإسلام
- معام في الطريق
- دراسات إسلامية
- نحو مجتمع إسلامي
- في التاريخ فكره ومبادئ
- تفسير آيات القرآن
- تفسير سورة الشورى
- كتب وشخصيات
- المستنير ضد نكبات
- معركتنا مع اليهود
- معركة الإسلام والراسمالية
- العدالة الاجتماعية في الإسلام

مكتبة الاستاذ محمد قطب

- لإسناد بين المادية والإسلام
- مسيح الفس الإسلامي
- مسيح التربية الإسلامية (الجزء الأول)
- مسيح التربية الإسلامية (الجزء الثاني)
- معركة التقليد
- في النفس والمجتمع
- التطور والذات في حداثة الشرية
- دراسات في النفس الإنسانية
- هل نحن مسلمون
- فسات من الرسول
- شهادت حول الإسلام
- حادلة نقر العشريين
- دراسات قرآنية
- مفاهيم ينبغي أن تصحيح
- كيف نكتب التاريخ الإسلامي
- نحت لطبع
- المستشرقون والإسلام

من كتب دار الشروق الإسلامية

- مصحف الشروق المفسر المبسر
مختصر تفسير الإمام الطبري
تحفة المصاحف وقمة التفسير
في أحجام مختلفة وطبعات منفصلة لبعض الأجزاء
- تفسير القرآن الكريم
الإمام الأكبر محمود شلتوت
الإسلام عقيدة وشريعة
الإمام الأكبر محمود شلتوت
الفتاوى
الإمام الأكبر محمود شلتوت
من توجيهات الإسلام
الإمام الأكبر محمود شلتوت
إلى القرآن الكريم
الإمام الأكبر محمود شلتوت
الوصايا العشر
الإمام الأكبر محمود شلتوت
المسلم في عالم الاقتصاد
الأستاذ مالك بن نبي
أنبياء الله
الأستاذ أحمد بهجت
نبي الإنسانية
الأستاذ أحمد حسين
ربانية لا رهبانية
أبو الحسن علي الحسيني الندوي
الحجة في القراءات السبع
تحقيق وتقديم الدكتور عبد العال سالم مكرم
- الفكر الإسلامي بين العقل والوحي
الدكتور عبد العال سالم مكرم
على مشارف القرن الخامس عشر الهجري
الأستاذ إبراهيم بن علي الرزير
الرسالة الخالدة
الأستاذ عبد الرحمن عزام
محمد رسولاً نبياً
الأستاذ عبد الرزاق نوفل
صلمون بلا مشاكل
الأستاذ عبد الرزاق نوفل
الإسلام في مفترق الطرق
الدكتور أحمد عروة
العقوبة في الفقه الإسلامي
الدكتور أحمد فتحي بهسي
موقف الشريعة من نظرية الدفاع الاجتماعي
الدكتور أحمد فتحي بهسي
الجرائم في الفقه الإسلامي
الدكتور أحمد فتحي بهسي
مدخل الفقه الجنائي الإسلامي
الدكتور أحمد فتحي بهسي
القصاص في الفقه الإسلامي
الدكتور أحمد فتحي بهسي
الدية في الشريعة الإسلامية
الدكتور أحمد فتحي بهسي
الإسراء والمعراج
فضيلة الشيخ متولي الشعراوي

مناسك الحج والعمرة في ضوء المذاهب الأربعة

الدكتور عبد العظيم المطعني

أيها الولد المحب

الإمام الغزالي

الأدب في الدين

الإمام الغزالي

شرح الرصايا العشر

للإمام حسن البنا

القرآن والسلطان

الأستاذ فهمي هويدي

خفايا الأسراء والمعراج

الأستاذ مصطفى الكيك

الخطابة وإعداد الخطيب

الدكتور عبد الجليل شلي

تأريخ القرآن

الأستاذ إبراهيم الأبياري

الإسلام والمبادئ المستوردة

الدكتور عبد المنعم النمر

سلسلة أعلام الإسلام ١٦/١

سلسلة أهل البيت ٦/١

إسهام علماء المسلمين في الرياضيات

تأليف الدكتور علي عبد الله الدقاع

تمريب وتعليق الدكتور جلال شوقي

مراجعة الدكتور عبد العزيز السيد

الخبر الواحد في السنة والتراث وأثره في الفقه

الإسلامي

الدكتورة سهر رشاد مهنا

الاديان القديمة في الشرق

دكتور رؤوف شلي

القضاء والقدر

فضيلة الشيخ متولي الشعراوي

قضايا إسلامية

فضيلة الشيخ متولي الشعراوي

التعبير الفني في القرآن

الدكتور بكري الشيخ أمين

أدب الحديث النبوي

الدكتور بكري الشيخ أمين

الإسلام في مواجهة الماديين والملحدين

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

اليهود في القرآن

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

أيام الله

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

مسلمون وكفى

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

الدعوة الوهابية

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

قال الأولون - أدب ودين

الأستاذ السيد أبو ضيف المدني

قل يا رب

الأستاذ السيد أبو ضيف المدني

الإيمان الحق

المستشار علي جريشة

الجديد حول أسماء الله الحسنى

الأستاذ عبد المغني سعيد

الجائر والمنوع في الصيام

الدكتور عبد العظيم المطعني

رقم الإيداع ٧٩٢٨ ٨٨
لرقم لوق : ٥ - ٢٧٥ - ١٤٨ - ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع ميمنة المصري - ت. ١٠٢٣٢٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص. ب. ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)



في ظلال القرآن
العدالة الاجتماعية في الإسلام
خصائص النصوص الإسلامي ومقوماته
النقد الأدبي أصوله ومناهجه
كتب وشخصيات
الإسلام ومشكلات الحضارة
التصوير الفني في القرآن
مشاهد القيامة في القرآن
معاركنا مع اليهود
تفسير سورة الشورى
تفسير آيات الربا
دراسات إسلامية
السلام العالمي والإسلام
معركة الإسلام والرأسمالية
في التاريخ فكرة ومنهج
معالم في الطريق
هذا الدين
المستقبل لهذا الدين
نحو مجتمع إسلامي

